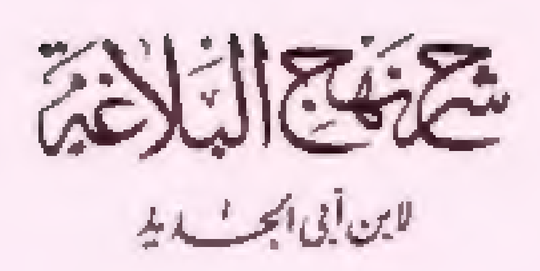


لابن أبي الحديد

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء العشرون

١٩٦٤

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيان

هذا هو الجزء العشرون من كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، بحسب التجزئة التى وضعها المؤلف لهذا الكتاب ، المترامى الأطراف ، المتشعّب الأغراض ، الجامع لصنوف المعارف والفنون والآداب .

ولقد لقيتْ هذه الطبعة عند الأدباء والباحثين من بشاشة القبول وحسن التقدير وجميل الثناء ما يملأ النفس اطمئنانا وارتياحا ؛ وأقبل الناس على اقتنائها من مختلف النواحى والأرجاء ؛ كما عمرت بها دور الكتب وخزائن العلماء . وكان حرصنا على معارضته بأصوله ، وتحقيقه على مراجعه ، والاهتمام بضبط ألفاظه ، وشرح ما انبهم من كلامه ، والتعليق عليه بما يقرّب بعيده ، ويدنى أقاصيه ؛ يعادل حرصنا على المضىّ فى إخراجه ونشره ، وتيسيره لدى العلماء وجمهرة القرّاء والمتأدبين ؛ بما يسّر الله وهدى ، ووفّق وأعان .

وقد ذكرت فى مقدّمة الجزء الثالث أنى سوف لا أنقطع عن النظر فيما يتمّ طبعه من أجزائه ؛ كلّما رأيت مجالا للتصحيح ، أو موضعاً للتعليق ، أو سبيلا إلى الاستدراك والتعقيب ؛ مما يتهيّأ لى من مراجعة ما يجدّ من النّسخ ، أو أحصل عليه من الأصول ، أو يتبيّن لى من توجيه الرأى عند معاودة النظر ، أو يظهر لى من أخطاء الطّبع ، أو ينبّهنى إليه إخوانى من العلماء الغُيُر على العربيّة وآدابها ، وأن أثبت هذا تباعا فى باب الاستدراك والتعقيب ؛ فى آخر كلّ جزء من أجزاء الكتاب ، وشرعت فى ذلك فعلا فى نهاية بعض الأجزاء ؛ إلّا أنّ مواصلة العمل فى الكتاب ، وما اقتضاه من جهد ووقت فى تحقيقه ومراجعته وتحرير نصوصه ، والرغبة الملحّة عند العلماء والباحثين فى التوفر على

إنجازه ومتابعة إخراجه ما صلح أن يكون عذرا فى تأجيل نشر ما عنّ من الملاحظات وما اقتضاه المقام من الاستدراكات ، إلى حين .

والآن وقد تمّ والحمد لله طبعه جميعه ، وأوشكت الأجزاء الأولى منه على النفاد ؛ فإن الأمل قد انفسح فى معاودة تحقيقه ، وتعلّق الرجاء فى إمكان الحصول على نُسخ أخرى لم نرجع إليها فى هذه الطبعة ، والوقوف على مراجع لم يتيسّر لنا الوقوف عليها من قبل ؛ وصحّت النيّة على إصدار طبعة جديدة منه ؛ نستدرك فيها مافات ؛ ونثبت بها ماظهر من تصويبات واستدراكات ، ونضيف إليها من التعليق مانراه نافعا فى تقريب الكتاب والتهدّى إلى مقاصده ومراميه ؛ رغبةً منّا فى أن نصل بهذا الكتاب إلى المنزلة التى نرجوها له من التوفيق والكمال .

أمّا الفهارس العامّة ، فإنّنا ماضون فى العمل فيها ؛ ونرجو أن تصدر فى جزء مستقلّ إن شاء الله .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدىَ لولا أن هدانا الله ؛ هو الواحد المقصود لا ربّ سواه .

مصر الجديدة فى { ١٢ ذى القعدة سنة ١٣٨٣ هـ / ٢٧ مارس سنة ١٩٦٤ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

(٥٨٦ — ٦٥٦)

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء العشرون


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد العدل

---

(٤٠٩)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ .

* * *

الشرح :

إلى هذا نظر المتنبي في قوله :

وخَلّةٍ في جليسٍ أتّقيه بها ... كَيما يرى أننا مِثلانِ في الوَهَنِ (١)

وكِلْمةٍ في طريقٍ خِفتُ أُعرِبُها ... فيُهتدَى لي فلم أقدِرْ على اللَّحَنِ

وقال الشاعر :

وما أنا إلّا كالزّمانِ إذا صحا ... صحوتُ وإن ماقَ الزمانُ أموقُ (٢)

وكان يقال : إذا نزلتَ على قوم فتشبّه بأخلاقهم ، فإنّ الإنسان من حيث يوجَد ، لا من حيث يُولَد . وفي الأمثال القديمة : من دَخَل ظَفار حَمّر .

شاعر :

أحامِقُه حتى يُقال سجيّة ... ولو كان ذا عقلٍ لكنتُ أعاقِلُهْ

---

(١) ديوانه ٤ : ٢١٢

(٢) لبشار ، الأغاني ٣ : ٢٢٥

(٤١٠)

الأصْلُ :

وَقَالَ عليه السَّلاَمُ لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْغَرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلِ مِثْلِهَا :
لَقَدْ طِرْتَ شَكِيراً ، وَهَدَرْتَ سَقْباً .

• • •

قَالَ : الشَّكِيرُ هاهنا: أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ.
وَالسَّقْبُ : الصَّغِيرُ مِنَ الإِبِلِ ، وَلَا يَهْدِرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ .

• • •

الشَّرْحُ :

هذا مِثلُ قولهم : قد زَبَّبَ قبل أن يُحصرم .
ومن أمثال العامّة : يقرأ بالشّواذّ ، وما حفظ بعدُ جزء المفصّل .

(٤١١)

الأصلُ :

وقال عليه السلام :

مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ .

* * *

الشرحُ :

قيل في تفسيره : من أستدلّ بالمتشابه من القرآن في التوحيد والعدل انكشفتْ حيلتهُ ، فإنّ علماء التوحيد قد أوضحوا تأويلَ ذلك .

وقيل : مَن بَنَى عقيدةً له مخصوصةً على أمرين مختلفين : حقٍّ وباطل، كان مُبطلا .

وقيل : من أومأَ بطمعه وأمله إلى فائتٍ قد مَضى وأنقضى لن تَنفعه حِيلة ، أى لا يُتعِبنَّ أحدُكم أمله ماقد فاته ؛ وهذا ضعيف لأنّ المتفاوت فى اللغة غيرُ الفائت .

(٤١٢)

الأَصْـلُ :

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ : إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئاً ، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا ، فَتَى مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا ، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا .

•••

الشَّرْحُ :

معنى هذا الكلام أنه عليه السلام جعل الحولَ عبارةً عن المِلْكية والتصرف ، وجعل القوّة عبارةً عن التكليف ، كأنه يقول : لا تَملُّك ولا تصرُّف إلّا بالله ، ولا تكليف لأمرٍ من الأمور إلّا بالله ؛ فنحن لا نَملِك مع الله شيئاً ، أي لا نستقلّ بأن نَملِك شيئاً ؛ لأنه لولا إقداره إيّانا وخلقته لنا أحياء لم نكن مالكين ولا متصرّفين ، فإذا ملّكنا شيئاً هو أملك به ـ أي أقدرُ عليه منّا ـ صرْنا مالكين له كالمال مثلا حقيقة ، وكالعقل والجوارح والأعضاء مجازاً ، وحينئذ يكون مكلِّفاً لنا أمراً يتعلّق بما ملّكنا إيّاه ، نحو أن يكلّفنا الزكاة عند تمليكنا المال ، ويكلّفنا النظَر عند تمليكنا العقل ، ويكلّفنا الجهادَ والصّلاة والحجّ وغيرَ ذلك عند تمليكنا الأعضاء والجوارح ، ومتى أخذ منّا المالَ وضَع عنا تكليفَ الزكاة ، ومتى أخذَ العقل سقط تكليفُ النظَر ، ومتى أخذَ الأعضاء والجوارح سقط تكليف الجهاد وما يجرى مجراه .

هذا هو تفسيرُ قوله عليه السلام ؛ فأمّا غيرُه فقد فسّره بشيء آخر ، قال

أبو عبد الله جعفرُ بنُ محمد عليه السلام : فلا حَوْلَ على الطاعة ولا قوّةَ على تركِ المعاصى إلّا بالله ؛ وقال قوم — وهم المجبرة : لا فعل من الأفعال إلّا وهو صادرٌ من الله ، وليس فى اللفظ ما يدلّ على ما ادّعَوْا ، وإنما فيه أنّه لا اقتدار إلّا بالله ، وليس يلزم من نفى الاقتدار إلا بالله صِدْق قولنا: لا فعل من الأفعال إلّا وهو صادرٌ عن الله ؛ والأوْلى فى تفسير هذه اللفظة أن تُحمَل على ظاهرِها ، وذلك أنّ الحَوْل هو القوّة ، والقوّة هى الحَوْل كلاهما مُترادِفان ؛ ولا ريبَ أنّ القدرة من الله تعالى ، فهو الذى أقدرَ المؤمنَ على الإيمان ، والكافرَ على الكفر ، ولا يلزم من ذلك صحّةُ القول بالجبْر ؛ لأنّ القدرة ليست موجِبة .

فإن قلتَ : فأىّ فائدةٍ فى ذِكر ذلك وقد علم كلّ أحد أنّ الله تعالى خلَق القُدْرة فى جميع الحيوانات ؟

قلت : المرادُ بذلك الردّ على من أثبت صانعاً غير الله ، كالمجوسِ والثَّنويّة ، فإنّهم قالوا بالهيّن : أحدهما يخلُق قدرةَ الخيْر ، والآخر يخلُق قدرةَ الشّرّ .

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ لِعَمّارِ بنِ ياسِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالَى وقَدْ سَمِعَهُ يُراجِعُ المُغيرَةَ ابنَ شُعْبَةَ كلاماً :

دَعْهُ يا عَمّارُ ، فإنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إلاَّ ما قارَبَهُ مِنَ الدُّنْيا ، وعَلَى عَمْدٍ لَبَّسَ على نَفْسِهِ ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهاتِ عاذِراً لِسَقَطاتِهِ .

* * *

الشَّرْحُ :

[المغيرة بن شعبة]

أصحابُنا غيرُ متّفقين على السكوت على المغيرة ، بل أكثر البغداديِّين يفسّقونه ، ويقولون فيه ما يقال في الفاسق ؛ ولما جاء عروة بن مسعود الثقفيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عامَ الحُدَيْبيَة نظر إليه قائماً على رأس رسول الله مقلّداً سيفاً ، فقيل : من هذا ؟ قيل : ابنُ أخيك المغيرة ، قال : وأنت ها هنا يا غُدَر ! والله إني إلى الآن ما غسلتُ سوءتَك .

وكان إسلامُ المغيرة من غير اعتقاد صحيح ، ولا إنابة ونيّة جميلة ؛ كان قد صَحِب قوما في بعض الطُّرق ، فاستغفلهم وهم نيام ، فقتلهم وأخذ أموالهم وهرب خوفا أن يُلحَق فيُقتل ، أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم ؛ فقَدِم المدينة فأظهر الإسلام ، وكان رسول الله صلى الله

عليه وآله لا يردّ على أحدٍ إسلامَه ؛ أسلمَ عن عِلّة أو عن إخلاص ، فامتنع بالإسلام ، واعتصم ، وحُمِي جانبه .

ذَكر حديثه أبو الفرج عليّ بنُ الحسين الأصفهانيّ في كتاب " الأغاني " [1] ، قال : كان المغيرة يحدّث حديث إسلامه ، قال : خرجتُ مع قوم من بني مالك ونحن على دين الجاهليّة إلى المُقَوْقِس مَلِك مصر ، فدخلنا إلى الإسكندرية ، وأهدَيْنا للمَلِك هدايا كانت معنا ، فكنتُ أهونَ أصحابي عليه ، وقبَضَ هدايا القوم ، وأمر لهم بجوائز ، وفضّل بعضهم على بعض ، وقصّر بي فأعطاني شيئاً قليلا لا ذِكْر له ، وخرجْنا ، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ، ولم يَعرِض أحدٌ منهم عليّ مواساةً ، فلما خرجوا حَمَلوا معهم خمرا ، فكانوا يشربون منها ، فأشربُ معهم ، ونفسي تأبى أن تدعني معهم ، وقلتُ : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا ، وما حَبَاهم به الملك ، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدرائه إياي ! فأجمعتُ على قتلهم ، فقلت : إنّي أجد صُداعا ، فوضعوا شرابَهم ودعَوْني ، فقلت رأسي يُصدَع ، ولكن اجلسوا فأسقيكم ، فلم يُنكِروا من أمري شيئاً ، فجلست أسقيهم وأشرب القدَح بعد القدَح ، فلمّا دبّت الكأس فيهم اشتهَوْا الشراب ، فجعلتُ أصرِف لهم وأُترع الكأس ، [فيشربون ولا يدرون [2]] ، فأهمدتهم الخمرُ حتى ناموا ، ما يعقلون ، فوثبتُ إليهم فقتلتهم جميعا ، وأخذت جميع ما كان معهم .

وقَدِمتُ المدينة فوجدتُ النبيّ صلى الله عليه وآله بالمسجد وعنده أبو بكر — وكان بي عارفا — فلما رآني قال : ابن أخي عُرْوة ؟ قلت . نعم ، قد جئتُ أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمدا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحمد لله : فقال أبو بكر من مصرَ أقبلتَ ؟ قلت : نعم ؟ قال : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان

---

(١) الأغاني ١٦ : ٨٠ — ٨٢ (طبعة دار الكتب) مع اختلاف الرواية .
(٢) من الأغاني .

بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ، ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم ، وأخذت أسلابهم، وجئتُ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليُخَمِّسَها [ويرى فيها رأيه] [1] ؛ فإنها غنيمة من المشركين ، فقال رسولُ الله : أمّا إسلامُك فقد قبلتُه ، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ولا نخمسها ، لأنّ هذا غدر ، والغَدْر لا خير فيه ، فأخذني ما قَرُب وما بَعُد ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنما قتلتهم وأنا على دين قومى ، ثم أسلمتُ حين دخلتُ إليك الساعة ، فقال عليه السلام : الإسلام يَجُبّ ما قبله . قال : وكان قَتل منهم ثلاثة عشر إنساناً ، واحتوى على ما معهم ؛ فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف ، فتداعَوْا للقتال ، ثم اصطلَحوا على أن حمل عمّى عُرْوة بن مسعود ثلاث عشرة دِيَة .

قال : فذلك معنى قول عُرْوة يوم الحُدَيْبية : « يا غُدَر ، أنا إلى الأمس أغسل سوءتك ، فلا أستطيع أن أغسلها » ، فلهذا قال أصحابنا البغداديون : مَنْ كان إسلامُه على هذا الوجه ، وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به ؛ من لعن علىّ عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل ، وكان المتوسط من عمره الفِسْق والفُجور وإعطاء البَطْن والفَرْج سؤالهما ، وممالأة الفاسقين ، وصرف الوقت إلى غير طاعة الله ، كيف نتولاه ! وأىّ عُذْر لنا فى الإمساك عنه ، وألّا نكشف للناس فِسْقه !

* * *

[إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة والرّد عليه]

وحضرت عند النقيب أبى جعفر يحيى بن محمد العَلَوىّ البَصْرىّ فى سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد ، وعنده جماعة، وأحدهم يقرأ فى الأغانى لأبى الفرج ، فمرّ ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم ، فذمّه بعضهم ، وأثنى عليه بعضهم ، وأمسك عنه آخرون ؛ فقال

(١) من الأغانى .

بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتمل طرف من علم الكلام على رأى الأشعرى : الواجب الكفّ والإمساك عن الصحابة ، وعما شجر بينهم ، فقد قال أبو المعالى الجوينى : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك ، وقال : « إياكم وما شجر بين صحابتى » ، وقال : « دَعُوا لى أصحابى ، فلو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهبا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه » ؛ وقال : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » ، وقال : « خيرُكم القرن الذى أنا فيه ثم الذى يليه ، ثمّ الذى يليه ، ثم الذى يليه » ، وقد ورد فى القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « وما يُدْريك لعلّ الله اطّلع على أهل بَدْر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم » ؛ وقد رُوِى عن الحسن البصرى أنه ذُكر عنده الجمل وصِفِّين ، فقال : تلك دماء طهّر اللهُ منها أسيافَنا ، فلا نلطّخ بها ألسنتَنا .

ثم إنّ تلك الأحوال قد غابت عنا وبَعُدتْ أخبارُها على حقائقها ؛ فلا يليق بنا أن نخوضَ فيها ؛ ولو كان واحدٌ من هؤلاء قد أخطأ لوَجب [أن يُحفَظ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فيه ، ومن المروءة][1] أن يُحفَظ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فى عائشةَ زوجته ، وفى الزبير ابن عمته ، وفى طلحة الذى وَقاه بيده . ثمّ ما الذى ألزمنا وأوْجب علينا أن نلعَن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه ! وأىّ ثواب فى اللّعنة والبراءة ! إنّ الله تعالى لا يقول يومَ القيامة للمكلّف : لِمَ لَمْ تَلْعَن ؟ بل قد يقول له : لِمَ لعنتَ ؟ ولو أنّ إنسانا عاش عمرَه كلّه لم يلعَن إبليسَ لم يكن عاصيا ولا آثما ، وإذا جعل الإنسانُ عِوَض اللعنة أستغفر الله كان خيراً له . ثمّ كيف يجوز للعامّة أن تدخل أنفسَها فى أمور الخاصّة ، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمّة وقادتَها ، ونحن اليوم فى طبقة سافلة جدا عنهم ؛ فكيف نحسن بنا التعرّض لذكرهم ! أليس يقبُح من الرعيّة أن تخوضَ فى دقائق أمور الملك وأحواله وشئونه التى تجرى بينه وبين أهله وبنى عمّه ونسائه وسَرارِيه ! وقد كان رسولُ الله صلى

(١) تكملة من ا .

الله عليه وآله صِهراً لمعاوية . وأخته أمّ حبيبة تحته ، فالأولى أن تُحفظ أمّ حبيبة وهى أمّ المؤمنين فى أخيها .

وكيف يجوز أن يُلعَن مَن جعل لله تعالى بينه وبين رسوله مَوَدَّة ! أليس المفسِّرون كلّهم قالوا : هذه الآية أنزلت فى أبى سُفيان وآله ، وهى قوله تعالى : ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ﴾[1] ! فكان ذلك مُصاهَرة رسول الله صلّى الله عليه وآله أبا سُفيان وتزويجه ابنته . على أنّ جميع ماتنقُله الشّيعة من الاختلاف بينهم والمشاجَرة لم يَثبُت ، وما كان القومُ إلا كنفس واحدة ولم يتكدّر باطنُ أحدٍ منهم على صاحبه قطّ ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع .

فقال أبو جعفر رحمه الله : قد كنتُ منذ أيّام عَلّقتُ بخطّى كلاما وجدتُه لبعض الزّيديّة فى هذا المعنى نقضا وردّا على أبى المعالى الجوينىّ فيما اختاره لنفسه من هذا الرأى، وأنا أخرجه إليكم لأستغنى بتأمّله عن حديث على ماقاله هذا الفقيه ، فإنّى أجدُ ألما يمنعنى من الإطالة فى الحديث ؛ لا سيّما إذا خرج مخرَج الجدَل ومُقاومة الخصوم . ثم أخرَج من بين كتبه كرّاسا قرأناه فى ذلك المجلس واستحسنه الحاضرون ، وأنا أذكر هاهنا خلاصته .

قال : لولا أنّ الله تعالى أوجب معاداة أعدائه ، كما أوجب مُوالاة أوليائه ، وضيّق على المسلمين تركَها إذا دلّ العقل عليها ، أو صحّ الخبرُ عنها بقوله سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[2] ، وبقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾[3] ، وبقوله سبحانه : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا

---

(١) سورة الممتحنة ٧

(٢) سورة المجادلة ٢٢

(٣) سورة المائدة ٨١

غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾[١] ؛ ولإجماع المسلمين على أنّ الله تعالى فرضَ عداوة أعدائه ، وولاية أوليائه ، وعلى أنّ : البغض فى الله واجب ، والحبّ فى الله واجب — لما تعرّضنا لمعاداة أحدٍ من الناس فى الدّين ، ولا البراءة منه ، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفا .

ولو علمنا أنّ الله عزّ وجلّ يعذرنا إذا قلنا : ياربّ غاب أمرهم عنّا ، فلم يكن لخوضنا فى أمرٍ قد غاب عنّا معنًى ، لاعتمدنا على هذا العذر ، وواليناهم ، ولكنّا نخاف أن يقول سبحانه لنا : إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم ، فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم ؛ قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التى بمثلها ألزمتم أنفسكم الإقرار بالنبىّ صلّى الله عليه وآله وموالاة من صدّقه ، ومعاداة من عصاه وجحده ، وأمرتم بتدبّر القرآن وما جاء به الرسولُ ، فهلاّ حذرتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غداً : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾[٢] .

فأمّا لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها ، وأوجبها ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾[٣] ، فهو إخبارٌ معناهُ الأمر ، كقوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ[٤] ﴾ ؛ وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ[٥] ﴾ ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا[٦] ﴾ ، وقوله : ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا[٧] ﴾ ، وقال الله تعالى لإبليس : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ[٨] ﴾ وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا[٩] ﴾ .

---

(١) سورة الممتحنة ١٣
(٢) سورة الأحزاب ٦٧
(٣) سورة البقرة ١٥٩
(٤) سورة البقرة ٢٢٨
(٥) سورة المائدة ٧٨ .
(٦) سورة الأحزاب ٥٧
(٧) سورة الأحزاب ٦١
(٨) سورة ص ٧٨
(٩) سورة الأحزاب ٦٤

فأما قولُ من يقول : « أيّ ثواب فى اللّعن ! وإن الله تعالى لا يقول لمكلَّف لِمَ لم تلعن ؟ بل قد يقول له : لِمَ لَعَنْتَ ؟ وأنه لو جعل مكان لَعَن الله فلانا ، اللّهم اغفر لى لكان خيراً له ، ولو أنّ إنسانا عاش عمره كلّه لم يَلعَن إبليس لم يُؤاخذ بذلك » ؛ فكلامُ جاهلٍ لا يدرى ما يقول ؛ اللّعن طاعة ، ويُستحقّ عليها الثوابُ إذا فُعِلتْ على وجهها ، وهو أن يُلعَن مستحقُّ اللّعن لله وفى الله ، لا فى العصبيّة والهوى ، ألا ترَى أن الشّرع قد وَرَد بها فى نَفْى الولد ، ونطق بها القرآن ، وهو أن يقول الزوج فى الخامسة : ﴿ أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين[1] ﴾ فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عبادُه بهذه اللفظة وأنه قد تعبّدهم بها ، لما جعلها من معالم الشّرع ، ولما كرّرها فى كثير من كتابه العزيز ، ولما قال فى حق القاتل : ﴿ وغضِب الله عليه ولعنه[2] ﴾ ، وليس المراد من قوله : « ولعنه » إلاّ الأمر لنا بأن نلعنه ، ولو لم يكن المرادُ بها ذلك لكان لنا أن نلعنه ، لأن الله تعالى قد لعنه ، أفيلعن الله تعالى إنسانا ولا يكون لنا أن نلعنه ! هذا ما لا يَسُوغ فى العقل ؛ كما لا يجوز أن يمدح اللهُ إنسانا إلاّ ولنا أن نمدحَه ، ولا يذمّه إلاّ ولنا أن نذمّه ؛ وقال تعالى : ﴿ هَلْ أنبئكم بشرٍّ من ذلك مَثُوبةً عند الله مَن لعنه الله[3] ﴾ ، وقال : ﴿ ربّنا آتِهِم ضِعْفَين من العذاب والعَنْهم لَعْناً كبيراً ﴾[4] ، وقال عزّ وجلّ : ﴿ وقالت اليَهُود يدُ الله مَغْلولة غُلّت أيديهم ولُعنُوا بما قالوا[5] ﴾ . وكيف يقول القائل : إنّ الله تعالى لا يقول للمكلّف : لِمَ لم تلعن ؟ ألا يعلم هذا القائل أنّ الله تعالى أمر بولاية أوليائه ، وأمر بعداوة أعدائه ، فكما يَسأل عن التولّى يَسأل عن التبرّى ! ألا ترَى أن اليهوديّ إذا أسلم يُطالَب بأن يقال له : تلفّظْ بكلمة الشهادتين ، ثمّ قلْ : برئتُ

---

(١) سورة النور ٧
(٢) سورة النساء ٩٣
(٣) سورة المائدة ٦٠
(٤) سورة الأحزاب ٦٨
(٥) سورة المائدة ٦٤

من كلّ دين يخالف دين الإسلام ، فلا بدّ من البراءة ، لأنّ بها يتمّ العمل ! ألم يسمع هذا القائلُ قول الشاعر :

تودّ عـــدوّى ثم تزعمُ أنني صديقُك، إنّ الرأىَ عنكَ لعازبُ

فودّة العدوّ خروجٌ عن ولاية الولىّ ، وإذا بطلت المودّة لم يبق إلّا البراءة ؛ لأنه لا يجوز أن يكون الإنسانُ فى درجة متوسطة مع أعداء الله تعالى وعُصاتِه بألا يودّهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفى هذه الواسطة .

وأما قولُه : « لو جعل عِوضَ اللعنة أستغفِر الله لكان خيراً له » ، فإنه لو استغفر من غير أن يَلعَن أو يعتقِد وجوبَ اللعن لما نفعه استغفارُه ولا قُبل منه ، لأنه يكون عاصيا لله تعالى ، مخالفا أمره فى إمساكه عمّن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه ، وإظهار البراءة ، والمُصِرّ على بعض المعاصى لا تُقبَل توبته واستغفاره عن البعض الآخر ، وأمّا من يعيش عمره ولا يَلعن إبليسَ ، فإن كان لا يعتقد وجوبَ لعنِه فهو كافر ، وإن كان يعتقد وجوبَ لعنِه ولا يلعنه فهو مخطىء ؛ على أنّ الفرق بينه وبين ترك لعنه رءوس الضلال فى هذه الأمة كمعاوية والمغيرة وأمثالهما ، أنّ أحدا من المسلمين لا يُورِث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة فى أمر إبليس ، والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهةً عند كثيرٍ من المسلمين فى أمرهم ، وتجنُّب ما يُورِث الشبهة فى الدين واجب ، فلهذا لم يكن الإمساكُ عن لعن إبليس نظيرا للإمساك عن أمر هؤلاء .

* * *

قال : ثمّ يقال للمضالين : أرأيتم لو قال قائلٌ : قد غاب عنا أمر يزيد بنَ معاوية والحجّاج بن يوسف ، فليس ينبغى أن نخوض فى قصتهما ، ولا أن نلعنهما ونعاديهما ونبرأ منهما ؛ هل كان هـــذا إلاّ كقولكم : قد غاب عنا أمرُ معاوية والمغيرة بن

شُعبة وأضرابُهما ، فليس لخوضنا فى قصتهم معنًى !

وبعد ، فكيف أدخلتمُ أيها العامّة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم فى أمر عثمان وخُضتم فيه ، وقد غاب عنكم ! وبرئتم مِن قَتَلتِه ، ولعنتموهم ! وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصّديق فى محمد ابنِه فإنّكم لعنتموه وفسّقتموه ، ولا حفِظتم عائشة أمّ المؤمنين فى أخيها محمد المذكور ، ومنعتمونا أن نخوض وندخِل أنفسنا فى أمر علىّ والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما ، المتغلّب على حقّه وحقوقهما ! وكيف صار لعنُ ظالم عثمانَ من السّنّة عندكم ، ولعن ظالم علىّ والحسن والحسين تكلّفا ! وكيف أدخلت العامّة أنفسها فى أمر عائشة وبرئتْ ممّن نظر إليها ، ومِن القائل لها : ياحُمَيراء ، أو إنما هى حُمَيراء ، ولعَنَته بكشفه سترَها ، ومنعَتْنا نحن عن الحديث فى أمر فاطمةَ وما جرى لها بعد وَفاةِ أبيها .

فإن قلتم : إنّ بيت فاطمة إنما دُخِل ، وسترها إنما كُشِف ، حِفظا لنظام الإسلام ، وكَيلا يَنتشر الأمرُ ويخرُج قومٌ من المسلمين أعناقهم من رِبقة[1] الطاعة ولزوم الجماعة .

قيل لكم : وكذلك ستر عائشة إنما كُشِف ، وهَودجها إنما هُتِك ، لأنها نشرت[2] حبل الطاعة ، وشقّت عصا المسلمين ، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول علىّ بن أبى طالب عليه السلام إلى البَصرة ، وجرى لها مع عثمان بن حُنيف وحَكيم بن جَبَلة ومَنْ كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسَفْك الدماء ما تنطق به كُتبُ التواريخ والسِّيَر ؛ فإذا جاز دُخولُ بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كَشْف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق ، فكيف صار هَتْك ستر عائشة من الكبائر التى يجب معها التّخليد فى النار ،

---

(١) ربقة الطاعة : عروتها .

(٢) نشرت حبل الطاعة : أى قطعته

والبراءة من فاعله ، ومن أوكد عُرا الإيمان ، وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها وجمع حطب ببابها ، وتهددها بالتحريق من أوكد عُرا الدين ، وأثبت دعائم الإسلام ؛ ومما أعز الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة ؛ والحرمتان واحدة ، والستران واحد . وما نحب أن نقول لكم : إن حرمة فاطمة أعظم ، ومكانها أرفع ، وصيانتها لأجل رسول الله صلى الله عليه وآله أولى ، فإنها بَضعة منه ، وجزء من لحمه ودمه ، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نسب بينها وبين الزوج ، وإنما هي وُصْلة مستعارة ، وعقد يجري مجرى إجارة المنفعة ، وكما يملك رق الأمة بالبيع والشراء ، ولهذا قال الفرضيون : أسباب التوارث ثلاثة : سبب ، ونسب ، وولاء ؛ فالنسب القرابة ، والسبب النكاح ، والولاء : ولاء العتق ؛ فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب ، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين .

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة ، وقد أجمع المسلمون كلهم من يحبها ومن لا يحبها منهم أنها سيدة نساء العالمين !

قال : وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجته ، وحفظ أم حبيبة في أخيها ، ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في صهره وابن عمه عثمان بن عفان ، وقد قتلوهم ولعنوهم ؛ ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة ؛ منهم عائشة كانت تقول : اقتلوا نعثلاً ، لعن الله نعثلاً ؛ ومنهم عبد الله بن مسعود ؛ وقد لعن معاوية علي بن أبي طالب وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحياء يرزقون بالعراق ، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ، ويقنت عليهم في الصلوات ، وقد لعن أبو بكر وعمر سعد بن عبادة وهو حي ، وبرئا منه ، وأخرجاه من المدينة إلى الشام ، ولعن عمر

خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة ، وما زال اللعن فاشيا فى المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضى اللعن والبراءة .

قال : ولو كان هذا أمراً معتبرا وهو أن يُحفَظ زيدٌ لأجل عمرو فلا يُلعَن ، لوجب أن تُحفَظ الصحابةُ فى أولادهم ، فلا يلعنوا لأجل آبائهم ، فكان يجب أن يُحفَظ سعدُ بنُ أبى وقاص فلا يُلعن ابنُه عمر بن سعد قاتل الحسين ، وأن يحفظ معوية فلا يلعن يزيد صاحب وَقعة الحرّة وقاتل الحسين ، ومخيف المسجد الحرام بمكّة ، وأن يُحفظ عمر بن الخطّاب فى عبيد الله ابنه قاتل الهرمُزان ، والمحارب عليّا عليه السلام فى صفّين .

• • •

قال : عَلى أنه لو كان الإمساك عن عداوةِ من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله فى أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نُعادِهم ولو ضُرِبتْ رقابُنا بالسيوف ، ولكن محبّة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبّة الجهّال الذين يضع أحدُهم محبّته لصاحبه موضع العصبيّة ، وإنما أوجب رسولُ الله صلى الله عليه وآله محبّة أصحابه لطاعتهم لله ، فإذا عصَوا الله وتركوا ما أوجب محبّتهم ؛ فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محاباة فى تَرْك لزوم ما كان عليه من محبّتهم ، ولا تغطرسٌ فى العُدولِ عن التمسك بموالاتهم ، فلقد كان صلى الله عليه وآله يحبّ أن يُعادِيَ أعداء الله ولو كانوا عِترته ، كما يحبّ أن يوالىَ أولياء الله ولو كانوا أبعدَ الخلقِ نسباً منه ؛ والشاهد على ذلك إجماع الأمّة على أنّ الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتدّ بعدَ الإسلام ، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذى أمرَ بذلك ودعا إليه

وذلك أنه صلى الله عليه وآله قد أوجب قطع السارق وضرب القاذف ، وجَلْد البِكْر إذا زَنَى ، وإن كان من المهاجرين أو الأنصار ؛ ألا تَرَى أنه قال : لو سَرَقَتْ فاطمةُ لقطعتُها ؛ فهذه ابنته ، الجارية مُجْرَى نفسه ، لم يُحابِها في دين الله ، ولا رَاقَبها في حُدود الله ، وقد حدّ أصحاب الإفك ، ومنهم مِسطح بن أثاثة ، وكان من أهلِ بَدْر .

قال : وبعد ، فلو كان محلّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محلّ من لا يعادَى إذا عَصى الله سبحانه ولا يُذْكر بالقبيح ، بل يجب أن يُراقَب لأجل اسم الصُّحبة ، ويُغضَى عن عُيوبه وذُنوبه ، لكان كذلك صاحبُ موسى المسطور شأنُه في القرآن لمّا اتَّبع هواه ، فانسلخ مِمّا أُوتِيَ من الآيات وغَوَى ، قال سبحانه : ﴿ واتلُ عَلَيْهِمْ نَبَأ الّذي آتيناه آياتِنا فانسَلَخ منها فأتْبعه الشيطانُ فكان من الغاوين ﴾[1] ، ولكان ينبغي أن يكون محلّ عَبَدة العِجْل من أصحاب موسى هذا المحلّ ، لأنّ هؤلاء كلّهم قد صحبوا رسولاً جليلا من رُسُل الله سبحانه .

قال : ولو كانت الصَّحابة عند أنفسِها بهذه المنزلة ؛ لعلمتْ ذلك من حالِ أنفسها ، لأنّهم أعرف بمحلّهم من عوامّ أهل دهرنا ، وإذا قدّرتَ أفعالَ بعضهم ببعض دلّتْك على أنّ القصّة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب النّاس اليوم ؛ هذا عليّ وعمّار ، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان ، وخزيمة بن ثابت ، وجميعُ من كان مع عليّ عليه السلام من المهاجرين والأنصار ، لم يرَوْا أن يتعقّبوا عن طلحة والزّبير حتّى فعلوا بهما وبمن معهما ما يفعَل بالشُّراة في عصرنا ، وهذا طلحة والزّبير وعائشة ومَنْ كان معهم وفي جانبهم لم يرَوْا أن يُمسكوا عن عليّ ؛ حتّى قصَدوا له كما يُقصَد للمتغلّبين في زماننا ، وهذا معاوية وعَمْرو لم يريَا

---

(١) سورة الأعراف ١٧٥

عليًّا بالعين التى يرى بها العمّى صديقَه وجارَه، ولم يقصّرا دونَ ضرب وجهه بالسّيف ولعنِه ولعنِ أولاده وكلّ من كان حيًّا من أهله، وقتلِ أصحابه، وقد لعنَهما هو أيضا فى الصّلوات المفروضات، ولعَن معهما أبا الأعور السُّلَمى، وأبا موسى الأشعرىّ، وكلاهما من الصّحابة، وهذا سعدُ بن أبى وقّاص، ومحمّد بن مسلمة، وأسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعبد الله بن عمر، وحسّان بن ثابت، وأنس بن مالك، لم يروا أن يقلّدوا عليًّا فى حرب طلحةَ، ولا طلحةَ فى حرب علىّ، وطلحة والزّبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين، لأنّهم زعموا أنّهم قد خافوا أن يكون علىٌّ قد غلط وزلّ فى حربهما، وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلّا فى حرب علىّ؛ وهذا عثمانُ قد نفَى أبا ذرّ إلى الرَّبَذة كما يُفعل بأهل الحَدَث والرِّيَب، وهذا عمّار وابنُ مسعود تلقّيا عثمانَ بما تلقّياه به لمّا ظهر لهما من تغييره منه ماوَعَظاه لأجله، ثمّ فعل بهما عثمانُ ماتناهى إليكم، ثم فعَل القومُ بعثمانَ ماقد علمتم وعَلِم الناس كلّهم، وهذا عمر يقول فى قصّة الزّبير بن العوّام لمّا استأذنه فى الغزو: ها إنّى ممسكٌ بباب هذا الشِّعب أن يتفرّق أصحابُ محمّد فى الناس فيضلّوهم، وزعم أنه وأبو بكر كانا يقولان: إنّ عليًّا والعبّاس فى قصّة الميراث زعماها كاذبَيْن ظالمَيْن فاجرَيْن؛ وما رأينا عليًّا والعبّاس اعتذرا ولا تنصّلا، ولا نقل أحدٌ من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحابَ رسول الله صلّى الله عليه وآله أنكروا عليهما ماحكاه عمرُ عنهما، ونسبه إليهما، ولا أنكروا أيضا على عمرَ قوله فى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّهم يريدون إضلالَ الناس ويهمّون به، ولا أنكروا على عثمانَ دوْسَ بطن عمّار، ولا كسْر ضِلَع ابنِ مسعود، ولا على عمّار وابن مسعود ماتلقّيا به عثمان، كإنكار العامّة اليومَ الخوضَ فى حديث الصحابة، ولا اعتقدت الصحابة فى أنفسها مايعتقده العامّة فيها؛ اللهمّ إلا أن يزعموا أنّهم أعرف بحقّ القوم منهم. وهذا علىٌّ

وفاطمة والعباس مازالوا على كلمة واحدة يكذّبون الرواية : « نحن معاشرَ الأنبياء لا نُورَث » ، ويقولون : إنها مختلَقة .

قالوا : وكيف كان النبي صلى الله عليه وآله يعرِّف هذا الحكم غيرَنا ويكتمه عنا ونحن الورَثة ؛ ونحن أولى الناس بأن يُؤدَّى هذا الحكم إليه ، وهذا عمرُ بنُ الخطاب يَشهد لأهل الشورى أنهم النفَر الذين توفِّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ ، ثم يأمر بضرب أعناقهم إن أخّروا فصل حال الإمامة ، هذا بعد أن ثلّبهم ، وقال في حقّهم ما لو سمِعَته العامّة اليومَ من قائل لوضعتْ ثوبَه في عنقه سَحْبًا إلى السلطان ، ثم شهدتْ عليه بالرّفض واستحلّت دمَه ، فإن كان الطّعن على بعض الصّحابة رفضا فعمر بن الخطّاب أرفضُ الناس وإمام الرّوافض كلّهم . ثم ما شاع واشتهر من قول عمر : كانت بيعةُ أبي بكر فَلْتة ، وَقَى اللهُ شرّها ؛ فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، وهذا طعنٌ في العَقْد ، وقَدْح في البَيْعة الأصليّة .

ثم ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته ، وقوله عن عبد الرحمن ابنه ، دُوَيْبّة سوء ولهوَ خيرٌ من أبيه . ثم عمر القائل في سعد بن عُبادة ، وهو رئيس الأنصار وسيّدُها : اقتلوا سعدا ، قتَل الله سَعْدا ، اقتلوه فإنه منافق . وقد شتَم أبا هريرة وطعَن في روايته ، وشتَم خالدَ بنَ الوليد وطعَن في دِينه ، وحَكم بفِسْقه وبوجوب قتله ، وخوَّن عمرو بن العاص ومعاويةَ بنَ أبي سُفيان ونسبهما إلى سرقة مال الفَيْء ، واقتطاعه ، وكان سريعا إلى المساءة ، كثيرَ الجَبْه والشّتْم والسّبّ لكلّ أحد ، وقلّ أن يكون في الصّحابة من سَلِم من معرّة لسانه أو يدِه ، ولذلك أبغضوه وملُّوا أيامه مع كثرة الفُتوح فيها ، فهلاّ احترم عمرُ الصّحابة كما تحترمهم العامّة ! إمّا أن يكون عمر مخطئا ، وإمّا أن تكون العامّة على الخطأ !

فإن قالوا : عمرُ ما شَتم ولا ضرب، ولا أساء إلا إلى عاصٍ مستحقٍ لذلك ، قيل لهم : فكأنّا نحن نقول : إنّا نريد أن نبرأ ونعادى من لا يستحق البراءة والمعاداة ، كلاّ ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل .

وإنما غرضنا الذى إليه نجرى بكلامنا هذا أن نوضّح أنّ الصّحابة قومٌ من النّاس لهم ما للناس ، وعليهم ما عليهم ، مَن أساء منهم ذممناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبيرُ فضلٍ إلاّ بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربّما كانت ذنوبُهم أفحش من ذنوب غيرهم ، لأنهم شاهدوا الأعلامَ والمعجزات ، فقرُبت اعتقاداتُهم من الضرورة ، ونحن لم نشاهدْ ذلك ، فكانت عقائدُنا محض النظر والفكر ، وبعرضيّة الشّبه والشكوك ، فمعاصينا أخفّ لأنّا أعذر .

***

ثم نعود إلى ما كنّا فيه فنقول : وهذه عائشة أم المؤمنين؛ خرجت بقميص رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالت للناس : هذا قميصُ رسول الله لم يَبْلَ ، وعثمانُ قد أبلى سنّته ؛ ثم تقول : «اقتلوا نَعْثَلاً ، قَتَلَ الله نَعْثَلاً» ، ثم لم ترض بذلك حتى قالت : أشهدُ أنّ عثمانَ جيفةٌ على الصّراط غداً . فمن الناس من يقول : روَتْ فى ذلك خبراً ، ومن النّاس من يقول : هو موقوفٌ عليها؛ وبدون هذا لو قاله إنسانٌ اليوم يكون عند العامّة زنديقاً . ثمّ قد حصر عثمانَ؛ حصرتْه أعيانُ الصحابة ، فما كان أحدٌ يُنكر ذلك ، ولا يُعظمه ولا يَسعَى فى إزالته ، وإنما أنكروا على من أنكر على الحاصرين له ، وهو رجلٌ كما علمتَ من وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثمّ من أشرافهم ، ثم هو أقرب إليه من أبى بكر وعمر ؛ وهو مع ذلك إمامُ المسلمين ، والمختارُ منهم للخلافة ، وللإمام حقٌ على رعيّته عظيم ، فإن كان القومُ قد أصابوا فإذَنْ ليست الصحابةُ فى الموضع الذى وضعْتها به العامّة ، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذى نقول؛ من أنّ الخطأ جائزٌ على

آحاد الصّحابة ؛ كما يجوز على آحادنا اليوم . ولسنا نقدح فى الإجماع ، ولا ندّعى إجماعاً حقيقيّا على قتل عثمان ، وإنما نقول : إنّ كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك والخصم يسلّم أنّ ذلك كان خطأ ومعصية ، فقد سلّم أنّ الصحابىّ يجوز أن يخطئ ويعصى ، وهو المطلوب .

وهذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة ، ادّعى عليه الزنا ، وشهد عليه قومٌ بذلك ، فلم ينكر ذلك عمر ، ولا قال : هذا محال وباطل لأنّ هذا صحابىٌّ من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله لا يجوز عليه الزنا . وهلّا أنكر عمرُ على الشهود وقال لهم : ويحكم هلّا تغافلتم عنه لمّا رأيتموه يفعل ذلك ، فإنّ الله تعالى قد أوجب الإمساكَ عن مساوى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأوجب السترَ عليهم ! وهلا تركتموه لرسول الله صلى الله عليه وآله فى قوله : « دَعُوا لى أصحابى » ، ما رأينا عمر إلا قد انتصب لسماع الدعوى ، وإقامة الشهادة ، وأقبل يقول للمغيرة : يامغيرة ، ذهب ربعك ، يامغيرة ، ذهب نصفك ، يامغيرة ، ذهب ثلاثة أرباعك ، حتى اضطرب الرابع ، فجلد الثلاثة . وهلّا قال لهم : كيف تسمع فى قول هؤلاء ، وليسوا من الصّحابة ، وأنا من الصحابة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد قال : « أصحابى كالنجوم ، بأيّهم اقتديتم اهتديتم » ! ما رأيناه قال ذلك ، بل استسلم لحكم الله تعالى . وهاهنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل ، قدامة بن مظعون ، لمّا شرب الخمر فى أيام عمر ، فأقام عليه الحدّ ، وهو رجلٌ من علية الصحابة ، ومن أهل بدر ، والمشهود لهم بالجنة ، فلم يردّ عمر الشهادة ، ولا درأ عنه الحدّ لعلّة أنه بدرىّ ، ولا قال : قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذكر مساوئ الصحابة . وقد ضرب عمرُ أيضا ابنه حدًّا فمات ، وكان ممّن عاصر رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تمنعه معاصرته له من إقامة الحدّ عليه .

وهذا علىٌّ عليه السلام يقول : ماحدّثنى أحدٌ بحديثٍ عن رسول الله صلى الله عليه

وآله إلّا استحقّه عليه ؟ أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب ! وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ماوَرَد فى الخبر ، وقد صرّح غيرَ مرّة بتكذيب أبى هريرة ، وقال : لا أحد أكذَبُ من هذا الدَّوْسى على رسول الله صلّى الله عليه وآله . وقال أبو بكر فى مرضِه الّذى مات فيه : وَدِدْتُ أنّى لم أكشف بيتَ فاطمة ولو كان أُغلِق على حرب فتلم ، والندم لا يكون إلّا عن ذَنْب .

ثم ينبغى للعاقل أن يفكّر فى تأخر علىّ عليه السلام عن بَيْعة أبى بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمةُ ، فإن كان مصيبا فأبو بكر على الخطأ فى انتصابه فى الخلافة ، وإن كان أبو بكر مصيباً فعلىّ على الخطأ فى تأخره عن البَيْعة وحضور المسجد ؛ ثم قال أبو بكر فى مرض موته أيضا للصّحابة : فلمّا استخلفتُ عليكم خيرَكم فى نفسى — يعنى عُمَر — فكلُّكم وَرِمَ لذلك أنفُهُ ، يريد أن يكون الأمر له ، لمّا رأيتم الدنيا قد جاءت ، أما والله لتتخذُنّ ستائرَ الدّيباج ونَضائد الحرير[1] ؛ أليس هذا طَعْنا فى الصحابة ، وتصريحا بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمَر ، لما نصّ عليه بالعهد ! ولقد قال له طلحة لمّا ذكر عمر للأمر : ماذا تقول لربّك إذا سألك عن عباده ، وقد ولّيتَ عليهم فظّا غليظا ! فقال أبو بكر : أجلسونى أجلسونى ، بالله تخوّفنى ! إذا سألنى قلتُ : ولّيت عليهم خيرَ أهلك ؛ ثم شتمه بكلام كثير منقول ؛ فهل قول طلحة إلاّ طعنٌ فى عمرَ ، وهل قولُ أبى بكر ألاّ طعنٌ فى طلحة !

ثم الذى كان بين أُبَىّ بن كعب وعبدِ الله بن مسعود من السِّباب حتى نفى كلّ واحد منهما الآخر عن أبيه ، وكلمةُ أُبَىّ بن كعب مشهورة منقولة : ما زالت هذه الأمّة مكبُوبةً على وجهها منذ فقدوا نبيَّهم ، وقوله : ألا هلك أهلُ العقيدة ، والله ما آسَى عليهم إنما آسَى على من يضلّون من الناس .

---

(١) الكامل للمبرد ١ : ٧ .

ثم قولُ عبد الرحمن بن عوف : ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان : يا منافق ؛ وقوله : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما ولّيت عثمان شِسْع نعلى[1] ؛ وقوله : اللّهم إن عثمان قد أبَى أن يقيم كتابك فافعلْ به وافعل .

وقال عثمانُ لعلىّ عليه السلام فى كلامٍ دارَ بينهما : أبو بكر وعمرُ خيرٌ منك ؛ فقال علىّ : كذبت ، أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما ، وعبدْتُه بعدَهما .

وروى سُفيانُ بن عُيينة عن عمرو بن دينار ، قال : كنت عند عروةَ بن الزبير ، فتذاكرْنا كم أقام النبيُّ بمكّةَ بعد الوَحْى ؟ فقال عروة : أقام عشرا ، فقلت : كان ابنُ عبّاس يقول : ثلاث عشرة ، فقال : كذب ابنُ عبّاس . وقال ابنُ عباس : المُتْعة[2] حلال ؛ فقال له جُبَير بنُ مُطعِم : كان عمرُ ينهى عنها ، فقال يا عُدَىّ نفسِه ، مِنْ ها هنا ضللتم ، أحدّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتحدّثنى عن عمر !

وجاء فى الخبر عن علىّ عليه السلام : لولا ما فعَل عمرُ بنُ الخطّاب فى المُتْعة ما زَنَى إلاّ شقىّ ؛ وقيل : ما زَنَى إلا شفًا ، أى قليلا .

فأمّا سبّ بعضهم بعضا وقَدْح بعضهم فى بعض فى المسائل الفقهيّة فأكثرُ من أن يُحصَى ، مِثلُ قول ابن عبّاس وهو يردّ على زيد مذهبه القول فى الفرائض : إن شاء ــ أو قال : من شاء ــ باهَلْته[3] إن الذى أحصى رَمْل عالج[4] عددًا أعدَل من أن يجْعل فى مال نِصْفا ونصفا وثلثا ، هذان النّصفان قد ذهبا بالمال ، فأين موضعُ الثلث !

---

(١) الشسع : قبال النعل .
(٢) نكاح المتعة : هو أن يتزوج الرجل امرأة يتمتع بها أياما ثم يتركها .
(٣) باهل القوم بعضهم بعضاً وابتهلوا : تلاعنوا .
(٤) عالج : موضع به رمل ، معروف .

ومثل قول أبيّ بن كعب فى القرآن : لقد قرأتُ القرآن وزَيْدٌ هذا غلام ذو ذُؤابتين يلعب بين صبيان اليهود فى المكتب .

وقال علىٌّ عليه السلام فى أمّهات الأولاد وهو على المنبر: كان رأيى ورأى عمرَ ألاّ يُبَعْنَ ، وأنا أرى الآن بيعهنّ ، فقام إليه عبيدة السّلمانى ، فقال : رأيك فى الجماعة[1] أحبُّ إلينا من رأيك فى الفُرْقة .

وكان أبو بكر يرَى التّسوية فى قَسْم الغنائم ، وخالفه عمر وأنكر فعله .

وأنكرتْ عائشة على أبى سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس فى عِدّة المتوفَّى عنها زوجُها وهى حامل ؛ وقالت : فَرّوجٌ يصفع[2] مع الدِّيَكَة .

وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله فى الصّرف ، وسفّهوا رأيه حتى قيل : إنه تابَ من ذلك عند موته .

واختلفوا فى حدّ شارب الخمر حتى خطّأ بعضهم بعضا .

ورَوَى بعض الصّحابة عن النبىّ صلّى الله عليه وآله أنه قال : الشؤم فى ثلاثة : المرأة والدّار ، والفرَس ، فأنكرتْ عائشة ذلك ، وكذّبت الراوى وقالت : إنه إنما قال عليه السلام ذلك حكايةً عن غيره

ورَوَى بعض الصّحابة عنه عليه السلام أنه قال : التاجرُ فاجرٌ ، فأنكرتْ عائشةُ ذلك ، وكذّبت الراوىَ وقالت : إنما قاله عليه السلام فى تاجر دلّس .

وأنكر قومٌ من الأنصار روايةَ أبى بكر : « الأئمة من قريش » ، ونَسَبوه إلى افتعال هذه الكلمة .

---

(١) ب : « الجماعة » .

(٢) صفع الديك صفعا : صاح .

وكان أبو بكر يقضي بالقضاء فينقضه عليه أصاغر الصحابة كبلال وصهيب ونحوهما . قد روي ذلك في عدة قضايا .

وقيل لابن عباس : إن عبد الله بن الزبير يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى بني إسرائيل ؛ فقال : كذب عدو الله ! أخبرني أبي بن كعب، قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر كذا ؛ بكلام يدل على أن موسى صاحب الخضر هو موسى بني إسرائيل .

وباع معاوية أواني ذهب وفضة بأكثر من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ذلك ، فقال معاوية : أما أنا فلا أرى به بأسا ؛ فقال أبو الدرداء : من عذيري من معاوية ! أخبره عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يخبرني عن رأيه ! والله لا أساكنك بأرض أبدا .

وطعن ابن عباس في أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يدخلن يده في الإناء حتى يتوضأ » ، وقال : فما نصنع بالمهراس [1] !

وقال علي عليه السلام لعمر وقد أفتاه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها : إن كانوا راقبوك فقد غشوك ، وإن كان هذا جهد رأيهم فقد أخطئوا .

وقال ابن عباس : ألا يتقي الله زيد بن ثابت ، يجعل ابن الابن ابنا ، ولا يجعل أب الأب أبا !

وقالت عائشة : أخبروا زيد بن أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) المهراس : إناء مستطيل منقور يتوضأ منه .

وأنكرت الصحابة على أبى موسى قوله : إنّ النوم لا ينقض الوضوء ، ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل ، وكذلك أنكرت على أبى طلحة الأنصارىّ قوله : إن أكلَ البَرَد لا يُفطِّر الصائم ، وعرّفته به ونسبته إلى الجهل :

وسمع عمرُ عبدَ الله بنَ مسعود وأبىّ بن كعب يختلفان فى صلاة الرجل فى الثوب الواحد ، فصعِد المنبر وقال: إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن أىّ فتياكم يصدر المسلمون ! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامى هذا إلاّ فعلتُ وصنعتُ .

وقال جرير بنُ كُلَيب : رأيتُ عمرَ ينهى عن المتعة ، وعلىّ عليه السلام يأمرُ بها ، فقلت : إنّ بينكما لشرًّا ، فقال علىّ عليه السلام : ليس بيننا إلاّ الخير ، ولكن خيرُنا أتبعُنا لهذا الدِّين .

قال هذا المتكلم : وكيف يصحّ أن يقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أصحابى كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم » ؛ لا شبهةَ أنّ هذا يُوجب أن يكون أهلُ الشام فى صفّين على هُدًى ، وأن يكون أهلُ العراق أيضا على هُدًى ؛ وأن يكون قاتل عمّار بن ياسر مهتديا ؛ وقد صحّ الخبرُ الصحيحُ أنه قال له : « تقتلك الفئة الباغية » ، وقال فى القرآن : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ؛ فدلّ على أنّها ما دامت موصوفة بالمقام على البغى ، مُفارقة لأمر الله ، ومَن يفارق أمر الله لا يكون مهتديا .

وكان يجب أن يكون بُسْرُ بن أبى أرطاة الذى ذبح ولدَىْ عُبيد الله بن عباس الصغيرين مُهتديا ، لأنّ بُسْراً من الصحابة أيضا ، وكان يجب أن يكون عمرو بنُ العاص ومعاوية اللّذان كانا يلعنان عليّا أدبارَ الصلاة وولديه مهتديين ؛ وقد كان فى الصحابة من يزنى ومن يشرب الخمر كأبى مِحْجَن الثقفى ، ومن يرتدّ عن الإسلام كطليحة ابن خُوَيلد ، فيجب أن يكون كلّ من اقتدى بهؤلاء فى أفعالهم مُهتديا .

قال : وإنما هذا من موضوعات متعصبة الأموية ، فإن لهم من ينصرهم بلسانه ، وبوضعه الأحاديث إذا عجز عن نصرهم بالسيف .

وكذا القول فى الحديث الآخر ، وهو قوله : « القرن الذى أنا فيه » ، ومما يدل على بطلانه أن القرن الذى جاء بعده بخمسين سنة شر قرون الدنيا ، وهو أحد القرون التى ذكرها فى النص ، وكان ذلك القرن هو القرن الذى قتل فيه الحسين ، وأوقع بالمدينة ، وحوصرت مكة ، ونقضت الكعبة ، وشربت خلفاؤه والقائمون مقامه والمنتصبون فى منصب النبوة الخمور ، وارتكبوا الفجور ، كما جرى ليزيد بن معاوية وليزيد بن عاتكة وللوليد بن يزيد ، وأريقت الدماء الحرام ، وقتل المسلمون ، وسبى الحريم ، واستعبد أبناء المهاجرين والأنصار ، ونقش على أيديهم كما ينقش على أيدى الروم ، وذلك فى خلافة عبد الملك وإمرة الحجاج . وإذا تأملت كتب التواريخ وجدت الخمسين الثانية شراً كلها لا خير فيها ، ولا فى رؤسائها وأمرائها ، والناس برؤسائهم وأمرائهم ، والقرن خمسون سنة ، فكيف يصح هذا الخبر .

قال : فأما ما ورد فى القرآن من قوله تعالى : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين ﴾[1] . وقوله : ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾[2] .

وقول النبى صلى الله عليه وآله : إن الله اطلع على أهل بدر ؛ إن كان الخبر صحيحا فكله مشروط بسلامة العاقبة ، ولا يجوز أن يخبر الحكيم مكلفا غير معصوم بأنه لا عقاب عليه ، فليعمل ما شاء .

قال هذا المتكلم : ومن أنصف وتأمل أحوال الصحابة وجدهم مثلنا ، يجوز عليهم ما يجوز علينا ، ولا فرق بيننا وبينهم إلا بالصحبة لا غير ، فإن لها منزلة وشرفا ،

---

(١) سورة الفتح ١٨

(٢) سورة الفتح ٢٩

ولكن لا إلى حدٍّ يمتنع على كلّ من رأى الرسولَ أو صحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن يخطئ ويزلّ ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت عائشةُ إلى نزول براءتها من السماء ، بل كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله من أوّل يوم يعلم كذب أهل الإفك ، لأنّها زوجتُه ، وصحبتُها له آكدُ من صحبة غيرها . وصفوان بن المعطّل أيضاً كان من الصّحابة ، فكان ينبغي ألّا يضيق صدرُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، ولا يحمِل ذلك الهمّ والغمّ الشديدَين اللذَين حملهما ويقول : صفوان من الصّحابة ، وعائشة من الصّحابة ، والمعصيةُ عليهما ممتنعة .

وأمثالُ هذا كثير ، وأكثر من الكثير؛ لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم ، وقد كان التابعونَ يسلكون بالصحابة هذا المسلك ، ويقولون في العُصاة منهم مثلَ هذا القول ، وإنما اتخذهم العامّة أرباباً بعد ذلك .

قال : ومَن الذي يجترئ على القول بأنّ أصحابَ محمد لا تجوز البراءةُ من أحدٍ منهم وإن أساء وَعصى بعدَ قول الله تعالى للذي شرّفوا برؤيته : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [1] بعد قوله : ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [1] وبعد قوله : ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [2] ، إلا من لا فهمَ له ولا نظرَ معه ، ولا تمييزَ عنده .

* * *

قال : ومَنْ أحبّ أن ينظر إلى اختلاف الصحابة ، وطعن بعضهم في بعض وردّ بعضهم على بعض ، وما ردّ به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم ، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم ، وقدح بعضهم في بعض ، فلينظرْ في كتاب النّظّام ، قال الجاحظ : كان النظّام

---

(١) سورة الزمر ٦٥ (٢) سورة ص ٢٦

أشدَّ الناس إنكارا على الرافضة ، لطعنهم على الصحابة ، حتى إذا ذكر الفُتيا وتنقُّل الصحابةِ فيها ، وقضاياهم بالأمور المختلفة ، وقول من استعمل الرأى فى دين الله ، انتظم مطاعن الرافضة وغيرها ، وزاد عليها ؛ وقال فى الصحابة أصناف قولها .

قال : وقال بعض رؤساء المعتزلة : غلطُ أبى حنيفة فى الأحكام عظيم ، لأنه أضل خلقًا وغلطُ حمّاد[1] أعظمُ من غلط أبى حنيفة ، لأنّ حمادا أصلُ أبى حنيفة الذى منه تفرّع ، وغلط إبراهيم أغلظ وأعظمَ من غلط حمّاد ، لأنه أصلُ حمّاد وغلط علقمة[2] والأسود[3] أعظم من غلط إبراهيم لأنهما أصله الذى عليه اعتمد ، وغلط ابن مسعود أعظمُ من غلط هؤلاء جميعا ، لأنه أول من بدر إلى وضع الأديان برأيه ، وهو الذى قال : أقول فيها برأيى ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى .

قال : واستأذن أصحابُ الحديث على ثمامة[4] بخراسان حيث كان مع الرشيدِ بنِ المهدىّ ، فسألوه كتابه الذى صنّفه على أبى حنيفة فى اجتهادِ الرأى ، فقال : لستُ على أبى حنيفة كتبتُ ذلك الكتاب ، وإنما كتبته على علقمة والأسود وعبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأى قبل أبى حنيفة .

قال : وكان بعض المعتزلة أيضا إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال: صاحبُ الذؤابة يقول فى دين الله برأيه .

وذكر الجاحظ فى كتابه المعروف « بكتاب التوحيد » أنّ أبا هريرة ليس بثقة فى الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ قال : ولم يكن علىٌّ عليه السلام يوثقه فى الرّواية ، بل يتهمه ، ويقدح فيه ، وكذلك عمر وعائشة .

---

(١) حماد هو حماد بن أبى سليمان (٢) علقمة بن قيس
(٣) الأسود بن يزيد (٤) ثمامة بن أشرس

وكان الجاحظ يفسّق عمرَ بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفّره ، وعمر بن العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثرُ العامة يَرى له من الفضل ما يراه لواحدٍ من الصحابة .

وكيف يجوز أن نحكم حُكمًا جزْمًا أنّ كل واحد من الصحابة عدْل ، ومن جملة الصحابة الحكم بنُ أبى العاص ! وكفاك به عدوّا مُبغضا لرسول الله صلى الله عليه وآله ! ومن الصحابة الوليدُ بنُ عُقْبة الفاسقُ بنصّ الكتاب ، ومنهم حبيب بن مسلَمة الذى فعَل ما فعل بالمسلمين فى دَوْلة معاوية ، وبُسْر بن أبى أرطاة عدوّ الله وعدوّ رسوله ، وفى الصحابة كثيرٌ من المنافقين لا يعرفهم الناس . وقال كثيرٌ من المسلمين : مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يُعرِّفه الله سبحانه كلَّ المنافقين بأعيانهم ، وإنما كان يعرف قوما منهم ، ولم يُعلم بهم أحداً إلا حذيفة فيما زعموا ، فكيف يجوز أن نحكم حُكما جزْما أن كلّ واحد ممن صَحِب رسول الله أو رآه أو عاصَرَه عدْل مأمون ، لا يقع منه خطأ ولا معصية ، ومن الذى يمكنه أن يتحجّر واسعا كهذا التحجّر ، أو يحكم هذا الحكم !

قال والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصى الأنبياء ، ويثبتون أنهم عصَوا الله تعالى ، وينكرون على من ينكر ذلك ، ويطعنون فيه ، ويقولون : قَدَرىّ معتزلىّ ، وربما قالوا : مُلحِد مخالِف لنصّ الكتاب ؛ وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يُجادِل فى هذا الباب ، فتارة يقولون : إنّ يوسف قعد من امرأة العزيز مَقْعد الرّجل من المرأة ، وتارةً يقولون : إن داود قتل أوريا لينكح امرأته ، وتارةً يقولون : إنّ رسول الله كان كافراً ضالاً قبل النبوة ، وربما ذكروا زينب بنت جَحْش وقصّة الفِداء يوم بدر .

فأما قدحُهم فى آدم عليه السلام ، وإثباتُهم معصيته ومناظرتهم مَن يذكر ذلك

فهو دأبُهم ودَيْدَنُهم ، فإذا تكلَّمَ واحد فى عمرو بنِ العاص أو فى معاويةَ وأمثالِهما ونسبَهم إلى المعصية وفعل القبيح ، احمرَّت وجوهُهم ، وطالت أعناقُهم ، وتخازرتْ أعينُهم ، وقالوا : مبتدِع رافضىّ ، يسبّ الصَّحابة ، ويَشتمُ السَّلَف ، فإن قالوا : إنّما اتّبعْنا فى ذِكر معاصى الأنبياء نصوصَ الكتاب ؛ قيل لهم : فاتّبعوا فى البراءة من جميع العُصاة نصوصَ الكتاب ، فإنّه تعالى قال : ﴿ لا تَجِدُ قوماً يُؤْمِنون بالله واليومِ الآخرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ ورَسُولَهُ ﴾[1] ، وقال : ﴿ فإنْ بَغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتِلوا التى تَبغِى حتّى تَفِىءَ إلى أمرِ اللهِ ﴾[2] ، وقال : ﴿ أطيعوا الله وأطيعُوا الرسول وأُولِى الأمرِ منكم ﴾[3] .

ثمّ يسألون عن بيعة علىّ عليه السلام ، هل هىَ صحيحة لازمة لكلّ الناس ؟ فلابدّ من « بلى » ، فيقال لهم : فإذا خرَج على الإمام الحقّ خارجٌ أليسَ يجب على المسلمين قتاله حتّى يعودَ إلى الطاعة ؟ فهل يكون هذا القتال إلّا البراءة التى نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين ، وإنّما برئنا منهم لأنّا لسنا فى زمانهم ، فيمكننا أن نقاتلَ بأيدينا ، فقصارَى أمرِنا الآن أن نبرأ منهم ونلعنَهم ، ويكون ذلك عوضاً عن القتال الّذى لا سبيلَ لنا إليه .

قال هذا المتكلّمُ : على أنّ النظّام وأصحابَه ذهَبوا إلى أنّه لا حُجّة فى الإجماع ، وأنّه يجوز أن تجتمع الأمّة على الخطأ والمعصية ، وعلى الفِسق ، بل على الرِّدّة ، وله كتابٌ موضوع فى الإجماع يطعن فيه فى أدلّة الفقهاء ، ويقول : إنّها ألفاظ غيرُ صريحة فى كون الإجماع حجّة ، نحو قوله : ﴿ جعلْنا كم أمّة وَسَطاً ﴾[4] وقوله : ﴿ كنتمْ خيرَ أمّة ﴾[5] وقوله : ﴿ ويتّبعْ غيرَ سبيلَ المؤمنينَ ﴾[6] .

---

(١) سورة المجادلة ٥ — (٢) سورة الحجرات ٩
(٣) سورة النساء ٥٩ — (٤) سورة البقرة ١٤٣
(٥) سورة آل عمران ١١٠ — (٦) سورة النساء ١١٥

وأما الخبر الذى صورته : « لا تجتمع أمّتى على الخطأ » خبرٌ واحد ، وأمثلُ دليل الفقهاء قولهم : إنّ الهِمم المختلفة ، والآراء المتباينة ، إذا كان أربابُها كثيرة عظيمة ، فإنّه يستحيل أجتماعُهم على الخطأ ، وهذا باطل باليهودِ والنّصارى وغيرِهم من فِرَق الضلال .

هذه خلاصةُ ما كان النّقيب أبو جعفر علّقه بخطّه من الجزء الذى أقرأناه .

* * *

ونحن نقول : أمّا إجماع المسلمين فحجّة ، ولسنا نرتضى ماذكره عنا من أنّه أمثل دليل لنا أنّ الهِمَم المختلفة ، والآراء المتباينة ، يستحيل أن تتفق على غير الصّواب ؛ ومن نظر فى كتبنا الأصوليّة علم وثاقة أدلتنا على صحّة الإجماع وكونه صوابا ، وحجّة تحريم مخالفته ، وقد تكلّمتُ فى اعتبار الذّريعة للمُرتضى على ماطعن به المُرتضى فى أدلّة الإجماع .

وأما ماذكره من الهجوم على دارِ فاطمة وجمع الحطَب لتحريقها فهو خبرٌ واحدٌ غير موثوق به ، ولا معوّل عليه فى حقّ الصّحابة ، بل ولا فى حقّ أحدٍ من المسلمين ممّن ظهرت عدالتُه .

وأما عائشة والزّبير وطلحة فمذهبُنا أنّهم أخطئوا ثمّ تابوا ، وأنّهم من أهل الجنّة ، وأن عليًّا عليه السلام شهدَ لهم بالجنّة بعد حرْب الجمَل .

وأما طعن الصّحابة بعضهم فى بعض ، فإنّ الخلاف الذى كان بينهم فى مسائل الأجتهاد لا يوجب إثما ، لأنّ كلّ مجتهد مُصيب ، وهذا أمرٌ مذكور فى كتُب أصول الفقه وما كان من خلاف خارجاً عن ذلك فالكثيرُ من الأخبار الواردة فيه غيرُ موثوقٍ بها وماجاء من جهة صحيحةٍ نظر فيه ورجّح جانب أحد الصحابيّين على قدْر منزلته فى الإسلام كما يُرْوَى عن عُمر وأبى هريرة .

فأمّا علىّ عليه السلام فإنّه عندنا بمنزلة الرسول صلّى الله عليه وآله فى تصويب قوله، والاحتجاج بفعله، ووجوب طاعته؛ ومتى صحّ عنه أنّه قد برئ من أحد من الناس برئنا منه كائناً من كان، ولكنّ الشأن فى تصحيح مايُروَى عنه عليه السلام فقد أكثر الكذب عليه، وولّدت العصبيّة أحاديثَ لا أصل لها.

فأمّا براءته عليه السلام من المغيرة وعمرو بن العاص ومعاوية، فهو عندنا معلوم جارٍ مجرَى الأخبار المتواترة، فلذلك لا يتولّاهم أصحابنا، ولا يُثنون عليهم، وهم عند المعتزلة فى مقامٍ غير محمود، وحاشَ لله أن يكون عليه السلام ذَكَرَ مَن سلَف من شيوخ المهاجرين إلّا بالجميل والذِّكر الحسن بموجب ماتقتضيه رئاسته فى الدِّين، وإخلاصه فى طاعة ربّ العالمين، ومَنْ أحبّ تتبّع مايُروَى عنه ممّا يُوهِم فى الظاهر خلافَ ذلك فليراجع هذا الكتاب، أعنى شرح نهج البلاغة، فإنا لم نترك موضعاً يُوهِم خلافَ مذهبنا إلّا وأوضحناه وفسّرناه على وجهٍ يُوافق الحقّ، وبالله التوفيق.

* * *

[عمّار بن ياسر وطرف من أخباره]

فأما عمّار بنُ ياسر رحمه الله، فنحنُ نذكر نسبه وطرَفاً من حاله ممّا ذكَره ابنُ عبد البرّ فى كتاب الاستيعاب[1]، قال أبو عمر بنُ عبد البرّ رحمه الله.

هو عمّار بنُ ياسر بنِ عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن لُوذ بن ثَعلبة بن عَوف بن حارثة بن عامر بن يام بن عنس — بالنون — بنِ مالك بن أُدد العَنسى المَذْحِجىّ، يكنَى أبا اليَقظان، حليفٌ بنى مخزوم، كذا قال ابن شهاب وغيره.

---

(١) الاستيعاب ٤٣٤ وما بعدها (طبعة الهند)

وقال موسى بن عقبة : وممن شهد بدرا عمار بن ياسر حليفٌ لبنى مخزوم بن يقظة .

وقال الواقدى وطائفةٌ من أهل العلم : إنّ ياسراً والد عمار بن ياسر عربى قحطانى من عنس ، من مذحج ، إلّا أن ابنه عمارا مولى لبنى مخزوم ، لأنّ أباه ياسرا تزوّج أمَةً لبعض بنى مخزوم فولدت له عمارا ، وذلك أنّ ياسرا قدِم مكة مع أخوين له يقال لهما : الحارث ومالك فى طلب أخ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالكٌ إلى اليمن ، وأقام ياسرٌ بمكة ، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فزوّجه أبو حذيفة أمةً له يقال لها سُمَيّة بنت خياط ، فولدت له عمارا فأعتقه أبو حذيفة ، فصار ولاؤه لبنى مخزوم، وللحِلف والوَلاء الذى بين بنى مخزوم وعمار بن ياسر كان اجتماع بنى مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غِلمانُ عثمانَ ما نالوا من الضرب ، حتى انفتق له فتق فى بطنه وكسروا ضِلَعا من أضلاعه ، فاجتمعتْ بنو مخزوم ؛ وقالوا : والله لئن مات لا قتلنا به أحداً غيرَ عثمان .

قال أبو عمر : وأسلم عمار وعبدالله أخوه وياسر أبوهما وسُمَيَّة أمّهما ، وكان إسلامهم قديما فى أوّل الإسلام فعُذّبوا فى الله عذابا عظيما ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يَمرّ بهم وهم يعذّبون فيقول : « صبراً يا آلَ ياسر ، فإن موعدَكم الجنّة » ، ويقول لهم أيضا : « صَبْرا يا آلَ ياسر ، اللّهم اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت »[٢] .

قال أبو عمر : ولم يزل عمار مع أبى حُذَيفة بن المغيرة حتى مات وجاء الله بالإسلام .

فأمّا سُمَيّة فقتلها أبو جهل ، طعنها بحَرْبة فى قُبُلها فماتت ، وكانت من الخيّرات

الفاضلات وهي أول شهيدة في الإسلام، وقد كانت قريش أخذت ياسراً وسُمية وابنيهما: وبلالا وخبابا وصُهيبا فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كلّ مبلغ، فأعطوهم ماسألوا من الكفر، وسبّ النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم جاء إلى كلّ واحد منهم قومُه بأنطاع الأدَم فيها الماء فألقوهم فيها، ثم حملوا بجوانبه، فلما كان العشيّ جاء أبو جهل فجعل يشتم سُمية ويرفث، ثم وجأها بحربة في قُبُلها فقتلها؛ فهي أولُ من استُشهد في الإسلام، فقال عمار للنبيّ صلى الله عليه وآله: يارسول الله بلغ العذاب من أمي كلّ مبلغ، فقال: « صبراً ياأبا اليقظان، اللهم لا تُعذّب أحداً من آل ياسر بالنار »، قال أبو عمر: وفيهم أُنزل: ﴿ إلا مَنْ أُكرِه وقلبُه مطمئنٌ بالإيمان ﴾ [1].

قال: وهاجر عمار إلى أرض الحبشة وصلّى القبلتين، وشهد بدرا والمشاهدَ كلّها وأبلى بلاء حسنا، ثم شهد اليمامة، فأبلى فيها أيضا، ويومئذ قُطعت أذنه.

قال: وذكر الواقديّ عن عبدالله بن نافع، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، قال: رأيتُ عمارَ بن ياسر يومَ اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يامعشرَ المسلمين، أمِن الجنة تفرّون؟ أنا عمار بنُ ياسر، هلُمّوا إليّ، وأنا أنظر إلى أُذنه قد قُطعت، فهي تذبذب وهو يقاتل أشدّ القتال.

قال أبو عمر: وكان عمار طويلا أشهَل، بعيدَ مابين المنكبين، قال: وقد قيل في صفته: كان آدمَ طُوالاً مضطرباً، أشهَل العينين، بعيد مابين المنكبين، رجلا لا يغيّر شيبَه.

---

(١) سورة النحل ١٠٦

قال : وكان عمّار يقول : أنا تِرْبُ[1] رسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، لم يكن أحدٌ أقرب إليه سِنًّا منّى .

قال : وقُتِل عمّار وهو ابنُ ثلاثٍ وتسعين سنةً ، والخبرُ المرفوعُ مشهور فى حقّه : « تقتلُك الفئةُ الباغية » ، وهو من دلائل نبوّة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، لأنّه إخبارٌ عن غَيْب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله فى عمّار : « مُلِئ إيمانا إلى مُشاشِه[2] » ، ويُرْوَى : « إلى أخمص قَدَمَيه » .

وفضائلُ عمّار كثيرة ، وقد تقدم القولُ فى ذِكر عمار وأخباره ، وما ورد فى حقّه .

(١) ترب الإنسان : من ولد معه فى العام الذى ولد فيه

(٢) المشاشة : الأصل

(٤١١)

الأصـل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

ما أحسَنَ تَواضُعَ الأغنِياءِ لِلفُقَراءِ طَلَباً لِما عِندَ اللهِ ، وَأحسَنُ مِنهُ تِيهُ الفُقَراءِ على الأغنِياءِ اتِّكالاً عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ .

الشـرحُ :

قد تقدم شرح مثل هذه الكلمة مراراً.

* * *

وقال الشاعر :

قنعتُ فأعتقتُ نفسي ولنْ ... أملكَ ذا ثروةٍ رِقَّهـــا

ونزّهتُها عن سُـــؤالِ الرجا ... لِ ومِنَّةِ من لا يَرى حَقَّهـا

وإنّ القَنــاعةَ كَنزُ اللبيب ... إذا ارتَفقتْ فتقتْ رتقَهـا

سيَبعثُ رِزقُ الشَّقاءِ العِراثِ ... وخمصِ البطونِ الذي شَقَّهـا[1]

فما فارقَتْ مُهجةٌ جِسمَهـا ... لعَمرُكَ أو وُفِّيَتْ رِزقَهـا

مواعيدُ ربِّكَ مصدوقةٌ ... إذا غيرُها قَدَّتْ صِدقَهـا

---

(١) العراث : الطعام .

(٤١٢)

الأصْـلُ :

قال عليـهِ السلامُ :

ما اسْتَوْدَعَ اللهُ امرأً عَقْلاً إلّا لِيَسْتَنْقِذَهُ بِهِ يَوْماً مَا .

• •

الشَّـرْحُ :

لا بدّ أن يكون للبارى تعالى فى إيداع العقل قلبَ زيد مثلا غرَض ، ولا غرَض إلّا أن يستدلّ به على مافيه نجاتُه وخلاصُه ، وذلك هو التكليف ، فإنْ قصّر فى النظر وجَهِل وأخطأ الصّواب فلا بدّ أن يُنقذه عقلُه مِن وَرْطة مِن وَرَطات الدنيا ، وليس يخلو أحدٌ عن ذلك أصلا ، لأنّ كلّ عاقل لا بدّ أن يتخلّص من مَضرّة وسببُها أن تُنال بإعمال فِكرته وعقله فى الخلاص منها ؛ فالحاصل أنّ العقل إمّا أن ينقذ الإنقاذ الدّينى ، وهو الفلاح والنّجاح على الحقيقة ، أو يُنقذ من بعض مَهالِك الدّنيا وآفاتها ، وعلى كل حال فقد صحّ قولُ أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد رُويتْ هذه الكلمة مرفوعة ، ورُويتْ : « إلّا استنقذه به يوماً مّا » .

وعنه صلّى الله عليه وآله : « العقل نورٌ فى القلب يُفرّق به بين الحقّ والباطل » .

وعن أنس قال : سئل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عن الرّجل يكون حَسَنَ العقل كثيرَ الذنوب ، فقال : ما من بَشَر إلّا وله ذنوب وخطايا يَقترفها ، فمن كانت سجيّتُه العقل ، وغريزتَه اليقين ، لم تضرّه ذنوبُه ؛ قيل : كيف ذلك يارسولَ الله ؟ قال :

كلّما أخطأ لم يَلبث أن يتداركَ ذلك بتوبةٍ وندامةٍ على مافرط منه ، فيمحو ذُنوبه ، ويَبقى له فضل يدخُل به الجنّة .

● ● ●

[نُـكَت في مدح العقل وما قيل فيه]

وقد تقدّم من قولنا في العقل وما ذُكر فيه مافيه كفاية . ونحن نذكر هاهنا شيئاً آخر :

كان يقال: العاقل يُرَوِّى ثم يَرْوِى ويَخْبُرُ ثم يُخبِر .

وقال عبدُ اللهِ بن المعتز : ما أبينَ وجوهَ الخير والشّر في مرآة العقل !

لقمان : يابُنيّ ، شاوِرْ مَن جرّب الأمور فإنّه يُعطيكَ مِن رأيه ماقام عليه بالغلاء وتأخذه أنتَ بالمجّان .

أردشير بن بابك : أربعــة تحتاج إلى أربعــة : الحَسَب إلى الأدب ، والسرورُ إلى الأمْن ، والقَرابة إلى المودّة ، والعقل إلى التجربة .

الإسكندر : لا تحتقر الرأيَ الجزيلَ من الحقير ، فإنّ الدُّرّة لا يُستهانُ بهــا لِهَوان غائصها .

مَسلمة بن عبد الملك : ماابتدأتُ أمراً قطُّ بحَزمٍ فرجعتُ على نفسي بلائمة ، وإن كانت العاقبة عليّ ، ولا أضعتُ الحزم فسُررتُ وإن كانت العاقبة لي .

وَصَف رجلٌ عضدَ الدّولة بن بُويه ، فقال : لو رأيتَه لرأيتَ رجلاً له وجهٌ فيه ألفُ عَين ، وفمٌ فيه ألفُ لسان ، وصدرٌ فيه ألفُ قلب .

أثنى قومٌ من الصّحابة على رجل عند رسول الله صلّى الله عليه وآله بالصّلاة والعبادة وخصال الخَير حتى بالغوا ، فقال صلّى الله عليه وآله : كيف عقلُه ؟ قالوا : يارسولَ الله

يخبرك باجتهاده فى العبادة وضروب الخير، وتسألُ عن عقله! فقال: إنّ الأحمق ليصيبُ بحُمْقه أعظمَ ممّا يصيبُه الفاجر بفجوره، وإنما ترتفع العِباد غداً فى درجاتهم، وينالون من الزُّلْفى من ربّهم على قَدْر عقولهم.

الرَّيْحانى: العقل مَلِك، والخصال رعيّته، فإذا ضَعُف عن القيام عليها، وصَل الخلَل إليها. وسمِع هذا الكلامَ أعرابىّ فقال: هذا كلامٌ يقطُر عسَلُه.

قال مَعْنُ بنُ زائدة: ما رأيتُ قفَا رجلٍ إلّا عرفتُ عقلَه؛ قيل: فإن رأيتَ وجهَه؟ قال: ذا كتابٌ يُقرأ.

بعض الفلاسفة: عقلُ الغريزة مُسلَّمٌ إلى عَقْلِ التجربة.

بعضُهم: كلّ شىء إذا كثُر رخُص إلّا العقل، فإنه إذا كثُر غلا.

قالوا فى قوله تعالى: ﴿ لِيُنذِرَ من كان حيًّا ﴾[1]، أى من كان عاقلا.

ومن كلامهم: العاقل بخشونة العَيْش مع العقلاء آنَس منه بلِين العيش مع السُّفهاء.

أعرابىّ: لو صُوِّر العقلُ أظلمتْ معه الشمس، ولو صُوِّر الحمق لأضاء معه الليل.

قيل لحكيم: متى عقَلْتَ؟ قال: حين وُلِدتُ، فأنكرُوا ذلك، فقال: أمّا أنا فقد بكَيت حين جُعْت، وطلبتُ الثدْىَ حين احتجتُ، وسكتُّ حين أُعطيت؛ يريد أنّ من عرَف مقاديرَ حاجته فهو عاقل.

للمأمون: إذا أنكرتَ من عقلِك شيئاً فاقدَحْه بعاقل.

بُزُرْجُمِهْر: العاقل الحازم إذا أشكل عليه الرأىُ بمنزلة من أضلّ لؤلؤةً فجمَع ما حولَ مسقطها من التراب، ثم التمسها حتى وجدها، وكذلك العاقلُ يجمع وجوهَ

---

(١) سورة يس ٧٠

الرأى فى الأمر المُشكِل، ثم يَضرب بعضها فى بعض حتى يستخلص الرأى الأصوب.

كان يقال : هجينٌ عاقلٌ خيرٌ من هِجان جهل .

كان بعضهم إذا استُشير قال لمشاوِره : أنظِرنى حتى أصقُلَ عقلى بنَوْمة .

إذا نزلت المقادير، نزلت التدابير. من نظر فى العَواقب، ظفِر بالحاجة. من اشتدَّت عرائِمه اشتدَّت دَعائمه. الرأىُ السَّديد، أجدى من الأيْد الشَّديد.

بعضهم :

وما ألف مَطرُور السِّنان مشدَّد ... يُعَارِض يوم الرَّوع رأياً مسدَّدا

أبو الطَّيِّب :

الرأىُ قبل شجاعةِ الشجعان ... هو أوّلٌ وهى المحلّ الثانى[1]

فإذا هما اجتمعا لنفسٍ حُرّةٍ ... بلغت من العلياء كلَّ مكانِ

ولربّما طَعَن الفتى أقرانَه ... بالرأى قبل تطاعُن الأقرانِ

لولا العقولُ لكان أدنَى ضَيغَمٍ ... أدنى إلى شرَفٍ من الإنسانِ

ولَمَا تفاضلت النفوسُ ودبَّرتْ ... أيدى الكُماة عَوالىَ المُرّانِ

ذَكر المأمونُ وَلَدَ علىٍّ عليه السلام فقال : خُصّوا بتدبير الآخرة، وحُرِموا تدبيرَ الدنيا .

كان يقال : إذا كان الهوى مقهوراً تحت يد العقل، والعقل مسلَّط عليه، صُرِفتْ مَساوِئُ صاحبه إلى المحاسن، فعُدَّت بلادته حلماً، وحِدّته ذكاء، وحَذَره بلاغة، وعِيُّه صمتاً، وجُبنه حَذَراً، وإسرافُه جُوداً .

---

(١) ديوانه ٤ : ٢٨٦

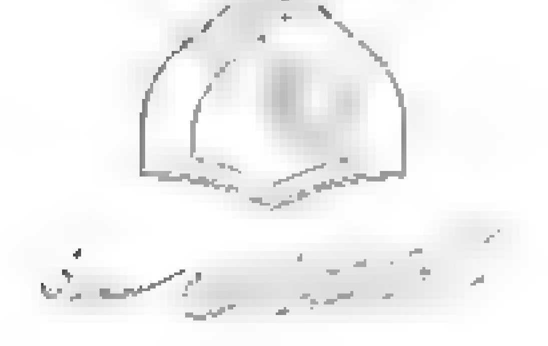
وذكر هذا الكلام عند بعضهم فقال : هذه خصيصة الحظ فيها مرتّب هذا الكلام إلى العقل .

سمع محمد بن يزداد كاتبُ المأمون قولَ الشاعر :

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكن ذا عزيمةٍ فإنّ فسادَ الرأي أن تتردّدا

فأضاف إليه :

وإن كنت ذا عزمٍ فأنفِذه عاجلاً فإنّ فساد العزم أن يتقيّدا



الأصل :

وقال عليه السلام :
مَنْ صارَعَ الحقَّ صرَعَهُ .

•••

الشرح :

هذا مِثلُ قوله في موضع آخر : مَنْ أبدى صفحته للحقّ هلك ، ونحو هـذا قولُ الطائيّ :

ومَن قامَرَ الأيامَ عن ثَمَراتِها ... فأحْجِ بها أن تَنجلي ولَها القمرُ

(٤١٤)

وقالَ عليه السلامُ :

القَلْبُ مُصْحَفُ البَصَر .

• • •

الشَّـرْحُ :

هذا مِثلُ قولِ الشاعر :

تخبرنى العينان ما القلبُ كاتمٌ وما جنّ بالشحناء والنظَرِ الشَّزْرِ[1]

يقول عليه السلام : كما أنّ الإنسان إذا نظر فى المصحَف قرأ ما فيه ، كذلك إذا أبصر الإنسانُ صاحبَه فإنه يرَى قلبه بوساطة رؤية وجهه ، ثم يعلم ما فى قلبه من حُبّ وبُغض وغيرهما ، كما يعلم برؤية الخطّ الذى فى المُصحف ما دلّ الخطّ عليه .

وقال الشاعر :

إنّ العيون لَتُبْـــدِى فى تَقَلُّبها ما فى الضمائر من وُدٍّ ومن حَنَقِ[2]

---

(١) يقال : نظر إليه شزراً : إذا نظر بمؤخر عينيه . (٢) الحنق : الغيظ .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

التُّقَى رَئِيسُ الأخلاقِ .

* * *

الشرح :

يعني رئيس الأخلاق الدينية ، لأنّ الأخلاق الحميدة كالجود والشجاعة والحلم والعفّة وغير ذلك ، لو قدّرنا انتفاء التكاليف العقلية والشرعيّة ، لم يكن التقى رئيساً لها ، وإنما رئاسة التقى لها مع ثبوت التكليف ، لا سيما الشرعيّ . والتقى في الشرع هو الورَع والخوفُ من الله ، وإذا حصل حصلت الطاعات كلّها ، وانتفت القبائح كلّها ؛ فصار الإنسان معصوما ، وتلك طبقة عالية ، وهي أشرف من جميع الطبقات التي يُمدح بها الإنسان ، نحو قولنا : جوادٌ أو شُجاع أو نحوها ، لأنّهـــا طبقة ينتقل الإنسانُ منها إلى الجنّة ودار الثواب الدائم ، وهذه مزيّةٌ عظيمةٌ يَفضُل بها على سائر طبقات الأخلاق .

(٤١٦)

الأَصْلُ :

وقال عليه السلام :

لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ .

* * *

الشَّرْحُ :

يقول : لا شُبهةَ أنّ الله تعالى هو الّذى أنطقك ، وسدّد نطقك ، وعلّمك البيان كما قال سبحانه : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [1] فقبيحٌ أن يَجعل الإنسانُ ذَرَبَ لسانِه وفصاحةَ منطقه على من أنطقه وأقدره على العبادة ، وقبيحٌ أن يجعل الإنسانُ بلاغة قوله على من سدّد قولَه ، وجعلَه بليغا حسَنَ التعبير عن المعانى الّتى فى نفسه ، وهذا كمن يُنعِم على إنسانٍ بسيفٍ فإنّه يَقبُح منه أن يَقتُله بذلك السّيف ظُلماً قبحا زائدا على ما لو قتله بغير ذلك السّيف ، وما أحسنَ قول متنبّى فى سيف الدولة :

ولمّا كَسَا كعباً ثيابا طَغَوْا بها ... رَمَى كلَّ ثوبٍ من سِنانٍ بخارقِ [2]

وما يُوجِع الحِرْمانُ من كَفِّ حارِمٍ ... كما يُوجِع الحِرْمانُ من كفِّ رازقِ

---

(١) سورة الرحمن ٣ ، ٤

(٢) ديوانه ٢ : ٣٢٢

الأصْلُ :

وقال عليه السلام

كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنابُ ما تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

* * *

الشَّرْحُ :

قد قال عليه السلام هذا اللفظ أو نحوه مرارا ، وقد تكلّمنا نحنُ عليه ، وذكرْنا نظائرَ له كثيرة نثْرا ونظْما .

وكتب بعضُ الكُتّاب إلى بعض الملوك في حالٍ اقتضتْ ذلك :

ما عَلَى ذا افترقْنا بِسَنْدَان[1] إذ كنّا ولا هكذا عَهِدْنا الإخاء

تَضربُ النّاسَ بالمهنَّدة البِيضِ على غدرِهم وتنسَى الوَفاء[2]

---

(١) كذا في د؛ وهو الصواب والذي في ا بشير ، وهو تصحيف .

(٢) المهنده : السيوف .

(٤١٨)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ يعزِّى قومًا :

مَنْ صبرَ صَبْرَ الأحرارِ ، وإلّا سَلَا سُلُوَّ الأغمارِ .

وفى خبرٍ آخرَ أنَّهُ عليهِ السلامُ قالَ لِلأشعثِ بنِ قيسٍ مُعزِّيًا عن ابنٍ لَهُ :

إن صَبَرْتَ صَبْرَ الأكارمِ ، وإلّا سلَوْتَ سُلُوَّ البَهائِمِ .

* * *

الشرح :

أخذ هذا المعنى أبو تمام بل حكاه فقال :

وقال علىٌّ فى التعازى لأشعثٍ　　　وخاف عليه بعضَ تلك المآثم[1]

أتصبرُ للبلوى عَزاءً وحِسْبةً　　　فتؤجرَ أم تسلو سُلُوَّ البهائمِ !

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٥٨ ، ٢٥٩

الأَصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ في صِفةِ الدُّنيا :

الدُّنيا تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ ؛ إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ لَمْ يَرْضَهَا ثَوَابًا لأوْليائِهِ ، ولا عِقابًا لأعدائِهِ .

الشَّرْحُ :

قد تقدّم لنا كلام طويل في ذمّ الدنيا .

ومن الكلام المستحسَن قوله : « تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ » ، والكلمة الثانية أحسن وأجلّ .

وقرأتُ في بعض الآثار أن عيسى عليه السلام مرّ بقريةٍ وإذا أهلها موتَى في الطرُق والأفنية ، فقال للتلامذة : إنّ هؤلاء ماتوا عن سخطة ، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافَنوا ، فقالوا : ياسيّدَنا ، ودِدْنا أنا علِمْنا خبرهم ، فسأل اللهَ تعالى ، فقال له : إذا كان الليلُ فنادِهم يجيبوك ؛ فلمّا كان الليلُ أشرَف على نَشَزٍ ثمّ ناداهم ، فأجابه مجيب ، فقال : ماحالُكم ، وما قصّتُكم ؟ فقال : بِتْنا في عافية ، وأصبحْنا في الهاوية ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لحبّنا الدنيا ، قال : كيف كان حبّكم لها ؟ قال : حبّ الصبيّ لأمه ، إذا أقبلتْ فرِحَ بها ، وإذا أدبرتْ حزِن عليها وبكَى ، قال : فما بالُ أصحابك لم يجيبوني ؟ قال : لأنّهم ملجَمون بلُجُم من نارٍ بأيدي ملائكةٍ غِلاظٍ شداد ؛ قال : فكيف أجبتَني أنتَ مِن بينهم ؟ قال : لأني كنتُ فيهم ، ولم أكن منهم ، فلمّا نزل بهم العذابُ أصابني معهم ، فأنا معلّق على شَفير جهنّم لا أدري أنجو منها أم أُكبكَب فيها ؟ فقال المسيح لتلامذته : لأَكْلُ خُبز الشّعير بالملح الجريش ، ولُبْس المُسُوح والنّوم على المزابل وسِباخ الأرض في حرّ الصيف ، كثيرٌ مع العافية مِن عذاب الآخرة .

الأصْلُ :

وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ ، بَيْنَاهُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا .

* * *

الشَّرْحُ :

رُوِىَ : « بينا هُمْ حُلُول » ، وبين هى بين المضافة ، ووزنها « فَعْل » ، أشبعت فتحة النون فصارت ألفا ؛ ثمّ قالوا : « بينما » فزادوا « ما » ، والمعنى واحد ، تقول : بينا نحن نفعل كذا جاء زيد ، أى بين أوقاتِ فعلنا كذا جاء زيد ، والجملُ قد يضافُ إليها أسماء الزمان نحو قولهم : « أتيتك زمن الحجاج أمير » ، ثمّ حذفوا المضافَ الذى هو أوقات ، وولى الظّرف الذى هو بين الجملة التى أقيمت مقام المحذوف .

وكان الأصمعىّ يخفض بعد « بينا » إذا صلَح فى موضعه بين ، ويُنشِد قول أبى ذُؤيب بالكسر :

بَيْنَا تَعَنُّقِهِ الكُمَاةَ وَرَوْغِهِ ... يوما أُتِيحَ له جَرِىءٌ سَلْفَعُ

وغيرُه يرفَع ما بعد « بَيْنا » و « بينما » على الابتداء والخبر ، فأمّا إذْ وإذا فإنّ أكثر أهل العربية يمنعون من مجيئهما بعد بَيْنا وبينما ، ومنهم من يُجيزه ، وعليه جاء كلامُ أميرِ المؤمنين ، وأنشدوا :

بينا النّاسُ على عَلْيائِها ... إذ هوَوْا فى هُوَّةٍ منها فغارُوا

وقالت الحُرَقة بنتُ النُّعمان بن المنذر :

وبَيْنا نسوسُ النّاسَ والأمرُ أمرُنا ... إذا نحنُ فيهم سُوقةٌ نتنصَّفُ(١)

وقال الشاعر :

إستَقدِرِ اللهَ خيراً وارضَيَنّ به ... فبينما العُسر إذا دارتْ مَيَاسيرُ

وبَينما المرء في الأحياء مُغتبِطٌ ... إذ صارَ في اللَّحْدِ تَعفُوه الأعاصيرُ

ومما جاء في وصف الدّنيا مما يناسب كلامَ أمير المؤمنين قولُ أبي العَتاهية :

إنّ داراً نحن فيها لدارٌ ... ليس فيها لمقيمٍ قرارُ

كم وكمْ قد حلّها من أناسٍ ... ذهبَ اللّيلُ بهمْ والنّهارُ

فهمُ الرّكْبُ أصابوا مُناخاً ... فاستراحوا ساعةً ثم ساروا

وكذا الدّنيا على ما رأينا ... يَذهبُ النّاسُ وتخلُو الدّيارُ

---

(١) في الأصل « نتصف » وهو غير مستقيم ، والصواب ما أثبتنا .

(٤٢١)

الأصلُ :

وقال عليه السلامُ لابنه الحسن عليه السلامُ :

يا بُنيَّ ؛ لا تُخلِّفنَّ وراءك شيئاً من الدُّنيا فإنك تُخلِّفُه لأحد رجلين : إمّا رجلٌ عمِلَ فيه بطاعةِ اللهِ فسعِدَ بما شقيتَ به ، وإمّا رجلٌ عمِلَ فيه بمعصيةِ اللهِ فشقِيَ بما جمعتَ له ؛ فكنتَ عوناً له على معصيته ؛ وليس أحدُ هذين حقيقاً أن تُؤثِرَه على نفسِك .

ويُروَى هذا الكلامُ على وجهٍ آخرَ ، وهو :

أمّا بعدُ ، فإنّ الذي في يديْكَ من الدُّنيا قد كان له أهلٌ قبلَك ، وهو صائرٌ إلى أهلٍ بعدَك ، وإنما أنت جامعٌ لأحدِ رجلين : رجلٌ عمِلَ فيما جمعتَه بطاعةِ اللهِ فسعِدَ بما شقيتَ به ، أو رجلٌ عمِلَ فيما جمعتَه بمعصيةِ اللهِ فشقِيَ بما جمعتَ له ؛ وليس أحدُ هذين أهلاً أن تُؤثِرَه على نفسِك ، أو تحمِلَ له على ظهرِك ؛ فارجُ لمن مضى رحمةَ الله ، ولمن بقِيَ رزقَ اللهِ تعالى .

* * *

الشَّرحُ :

رُوِي : «فإنك لا تُخلِّفه إلا لأحدِ رجلين» ، وهذا الفصل نهيٌ عن الادّخار ، وقد سبق لنا فيه كلامٌ مقنع .

وخلاصةُ هذا الفصلِ أنك إن جمعت مالاً : فإما أن تخلِّفه لمن يعمل فيه بطاعة الله ، أو لمن يعمل فيه بمعصيته ، فالأول يسعد بما شقيتَ به أنت ، والثاني يكون مُعاناً

منك على المعصية بما تركته له من المال ، وكلا الأمرين مذموم ، وإنما قال له : «فازج لمن مضى رحمة الله ، ولمن بقى رزق الله» ، لأنه قال في أول الكلام : «قد كان لهذا المال أهلٌ قبلك ، وهو صائرٌ إلى أهلٍ بعدك ».

والكلامُ في ذمّ الادّخار والجمع كثيرٌ ، وللشعراء فيه مذاهبُ واسعة ومعانٍ حسنة .

وقال بعضهم :

يا جامعاً مانعاً والدهرُ يرمقُهُ | مدبّراً أيَّ باب عنـــه يُغلِقُهُ
ونا سياً كيف تأتيـــه منيّتُهُ | أغادياً أم بها يسري فتطرقـــه
جمعتَ مالاً فقل لي هل جمعتَ له | يا جامعَ المـــال أياماً تفرّقُهُ
المالُ عندك مخزونٌ لوارثه | ما المـــالُ مالُك إلا يومَ تنفقُهُ
أرفِهْ ببالِ فتًى يغدو على ثقةٍ | إنّ الذي قسم الأرزاق يرزقُهُ
فالعِرضُ منه مصونٌ لا يدنّسُه | والوجهُ منه جديدٌ ليس يُخلِقُهُ
إنّ القناعةَ من يَحلُلْ بساحتِها | لم يَبْقَ في ظلِّهـــا همٌّ يؤرّقُهُ

(٤٢٢)

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ لقائلٍ قالَ بحضرتهِ أستغفرُ اللهَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ! أتدرِي ما الاستغفارُ ؟ إنَّ للاستغفارِ درجةَ العِلِّيِّينَ ، وهُوَ اسمٌ واقِعٌ على سِتَّةِ معانٍ : أوَّلُها النَّدَمُ على ما مَضَى ، والثَّاني العَزْمُ على تَرْكِ العَوْدِ إليهِ أبداً ، والثَّالثُ أنْ تُؤَدِّيَ إلى المخلُوقينَ حُقُوقَهُمْ حتَّى تَلقَى اللهَ عزَّ وجلَّ أملَسَ ليسَ عليكَ تَبِعَةٌ ، والرَّابعُ أنْ تَعْمِدَ إلى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَها فَتُؤَدِّيَ حقَّها ، والخامسُ أنْ تَعْمِدَ إلى اللَّحْمِ الذي نَبَتَ على السُّحْتِ فتُذِيبَهُ بالأحزانِ حتَّى تُلْصِقَ الجِلْدَ بالعَظْمِ ، وينشأَ بينَهُما لَحْمٌ جديدٌ ، السَّادسُ أنْ تُذِيقَ الجِسْمَ ألَمَ الطَّاعةِ كما أذقْتَهُ حلاوةَ المَعْصِيَةِ ، فعِنْدَ ذَلِكَ تقولُ : أستغفِرُ اللهَ .

•••

الشَّـرْحُ :

قد رُوِي : «إنَّ الاستغفارَ درجةُ العِلِّيِّينَ» ، فيكون على تقدير حذف مضاف ، أي أنّ درَجة الاستغفار درجة العِلِّيِّين ، وعلى الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف أي أن لصاحب الاستغفار درَجة العلِّيين. وهو ها هنا جمعٌ على «فِعِّيل» كضِلِّيل وخِمِّير ، تقول: هذا رجلٌ علِّيٌّ : أي كثيرُ العُلُوّ ، ومنه العِلِّيّة للغُرْفة على إحدى اللغتين ، ولا يجوز أن يفسَّر بما فسَّره به الراوندىّ من قوله : إنه اسمُ السماء السابعة ، ونحو قوله : «هو سِدْرة المنتهى» ، ونحو قوله : «هو موضعٌ تحت قائمةِ العَرْش اليمنى» ؛ لأنه لو كان كذلك لكان

عَلَمًا ، فلم تدخُله اللّام . كما لا يقال : « الجُهنّم » ، وكذلك أيضا لا يجوز تفسيرُه بما فسّره الراوندىّ أيضا ؛ قال : العلّيين : جمع علىّ : الأمكنة فى السماء ، لأنه لو كان كذلك لم يُجمع بالنون لأنها تختصّ بمن يَعقل ، وتصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ كلاّ إنّ كتاب الأبرار لفى عِلّيّين ﴾ .

قوله : « نَبَتَ على السُّحْت » ، أى على الحرام ؛ يقال : سُحْت بالتسكين ، وسُحُت بالضم ، وأسحَت الرجُل فى تجارته ؛ أى اكتسب السُّحْت .

• • •

[فصل فى الاستغفار والتوبة]

وينبغى أن نذكر فى هذا الموضوع كلاماً مختصراً مما يقوله أصحابُنا فى التوبة ؛ فإنّ كلام أميرِ المؤمنين هو الأصل الذى أخَذَ منه أصحابُ مقالتهم ، والذى يقولونه فى التوبة ، فقد أتى على جوامِعه عليه السلام فى هذا الفصل على اختصاره .

قال أصحابنا : الكلام فى التوبة يقع من وجوه : منها الكلامُ فى ماهيّة التوبة والكلام فى إسقاطِها الذمّ والعقاب ، والكلام فى أنه يجب علينا فِعلُها ، والكلام فى شُرُوطها .

أما ماهيّة التوبة فهى النّدم والعزْم ، لأنّ التوبة هى الإنابة والرّجوع ، وليس يمكن أن يرجع الإنسانُ عمّا فعله إلا بالندم عليه ، والعزم على تَرْك معاودته ، وما يتوب الإنسان منه : إمّا أن يكون فعلا قبيحاً ، وإما أن يكون إخلالاً بواجب ، فالتوبة من الفعل القبيح هى أن يَندَم عليه ، ويَعزِم ألا يعود إلى مِثله ، وعَزمُه على ذلك هو كراهيته لِفعله ، والتوبةُ من الإخلال بالواجب هى أن يَندَم على إخلاله بالواجب

ويَعزم على أداء الواجب فيما بعد .

فأما القول في أن التوبة تُسقط العذاب فعندنا أن العقل يقتضي قُبْح العقاب بعد التوبة، وخالف أكثرُ المُرجئة في ذلك من الإمامية وغيرهم ؛ واحتجَّ أصحابُنا بقُبح عقوبة المسيء إلينا بعد ندمه واعتذاره وتنصُّله ، والعلم بصدقه والعلم بأنه عازمٌ على ألاّ يعود .

فأما القول في وجوب التوبة على العُصاة ؛ فلا ريب أنّ الشرع يوجب ذلك ، فأمّا العقل فالقول فيه أنه لا يخلو المكلّف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة ، أو يعلم أنها صغيرة ، أو يجوز فيها كلا الأمرين ؛ فإن علم كونها كبيرة وجب عليه في العقول التوبة منها ، لأن التوبة مُزيلة لضَرَر الكبيرة ، وإزالة المضارّ واجبة في العقول ، وإن جوّز كونها كبيرة وجوّز كونها صغيرة ، لزمه أيضاً في العقل التوبة منها ، لأنه يأمن بالتوبة من مَضَرّة مخوفة ، وفعل ما يؤمن من المضارّ المخوفة واجب ، وإن علم أنّ معصيته صغيرة ؛ وذلك كمعاصي الأنبياء ، وكمن عصى ثم علم بإخبار نبيّ أنّ معصيته صغيرة محبطة ، فقد قال الشيخ أبو عليّ : إنّ التوبة منه واجبة في العقول ، لأنه إن لم يتب كان مُصِرًّا والإصرار قبيح .

وقال الشيخ أبو هاشم : لا تجب التوبة منها في العقل بالشرع ، لأنّ فيها مصلحة يعلمها الله تعالى ؛ قال : إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب ، ومن الإصرار عليه ، لأنّ الإصرار عليه هو العزم على مُعاوَدة مثله ، والتوبة منه أن يكره معاودة مثله مع الندم على ما مضى ؛ ويجوز أن يخلوَ الإنسانُ من العَزْم على الشيء ، ومن كراهته .

وقال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة ها هنا عقلاً ، لدليلٍ غير دليل أبي عليّ رحمه الله .

وأما القولُ فى صفات التَّوبة وشروطها فإنّها على ضربين :

أحدُهما يعم[1] كلّ توبة ، والآخر يختلف بحسَب اختلاف ما يتاب منه ، فالأول هو النّدم والعزْم على ترك المعاوَدة .

وأما الضرب الثانى : فهو أنّ ما يُتوب منه المكلّف إما أن يكون فعلا أو إخلالا بواجب ؛ فإن كان فعلا قبيحا وَجَب عند الشيخ أبى هاشم رحمه الله أن يندم عليه ، لأنه فعل قبيح ، وأن يكره مُعاوَدة مثله لأنه قبيح ، وإن كان إخلالا بواجب وَجَبَ عنده أن يندم عليه ، لأنه إخلالٌ بواجب ، وأن يعزم على فعل مِثْلِ ما أخلّ به لأنه واجب ؛ فإن ندم خوف النار فقط ، أو شوقا إلى الجنة فقط ، أو لأنّ القبيح الذى فعله يضرّ بدنه كانت توبته صحيحة[2] ، وإن ندم على القبيح لقُبْحه ولخوف النار ، وكان لو انفرد قبحه ندم عليه ، فإنّ توبته تكون صحيحةً ، وإن كان لو انفرد القبحُ لم يَندَم عليه ؛ فإنه لا تكون توبتُه صحيحةً عنده ، والخلاف فيه مع الشيخ أبى علىّ وغيره من الشيوخ رحمهم الله ؛ وإنما اختار أبو هاشمٍ هذا القول لأنّ التوبة تَجرِى مَجرَى الاعتذار بيننا ؛ ومعلوم أن الواحد منّا لو أساء إلى غيره ثمّ ندم على إساءته إليه واعتذر منها خوفا من معاقبته له عليها ، أوْ من معاقبة السلطان حتى لو أمن العقوبة ، لما اعتذر ولا ندم ، بل كان يُواصِل الإساءة ، فإنه لا يسقط ذمُّه . فكذلك التوبة خوف النار لا لقُبح الفعل .

وقد نقل قاضى القُضاة هذا المذهب عن أمير المؤمنين عليه السلام والحسن البَصْرىّ وعلىّ بن موسى الرِّضا والقاسم بن إبراهيم الرَّسىّ .

قال أصحابنا : وللتوبة شروط أخرُ تختلف بحسَب اختلاف المعاصى ، وذلك أنّ

---

(١) د : « يعم » . (٢) ب : « توبة كانت صحيحة » ، وصوابه من د .

مايتوب منه المكلف ؛ إما أن يكون فيه لآدمى حق أولا حق فيه لآدمى ، فما ليس للآدمى فيه حق فنحو ترك الصلاة ، فإنه لا يجب فيه إلا الندم والعزم على ماقدمنا وما لآدمى فيه حق على ضربين : أحدهما أن يكون جناية عليه فى نفسه أو أعضائه أو ماله أو دينه ، والآخر ألا يكون جناية عليه فى شىء من ذلك ، فما كان جناية عليه فى نفسه أو أعضائه أو ماله ، فالواجب فيه الندم والعزم ، وأن يشرع فى تسليم بدل ما أتلف ، فإن لم يتمكن من ذلك لفقر أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه ، فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب ، وإن جنى عليه فى دينه بأن يكون قد أضله بشبهة استزله بها ؛ فالواجب عليه مع الندم والعزم والاجتهاد فى حل شبهته من نفسه ، فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن ، فإن مات قبل التمكن ، أو تمكن منه واجتهد فى حل الشبهة فلم تنحل من نفس ذلك الضال ، فلا عقاب عليه ؛ لأنه قد استفرغ جهده ؛ فإن كانت المعصية غير جناية نحو أن يغتابه أو يسمع غيبته فإنه يلزمه الندم والعزم ، ولا يلزمه أن يستحله أو يعتذر إليه ، لأنه ليس يلزمه أرش[1] لمن اغتابه فيستحله ، ليسقط عنه الأرش ، ولا غمة فيزيل غمة بالاعتذار ، وفى ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمه منها إدخال غم عليه ، فلم يجز ذلك ، فإن كان قد أسمع المغتاب غيبته فذلك جناية عليه ، لأنه قد أوصل إليه مضرة الغم ، فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار .

---

(١) الأرش : دية الجراحات ؛ وقيل هو الجراحات نفسها تكون على قدر معلوم .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ : الحِلْمُ عَشِيرَةٌ .

***

الشرح :

كان يقال : الحلم جنودٌ مجنَّدة لا أرزاقَ لها .

وقال عليه السلام : وجدتُ الأحتمالَ أنصرَ لى من الرجال .

وقال الشاعر :

وَلَلْكَفُّ عن شَتْمِ اللئيم تَكَرُّماً أضَرُّ له من شَتْمِه حينَ يَشْتِمُ

وكانَ يقال : مَن غَرَسَ شجرةَ الحِلْمِ اجتنَى ثَمَرَةَ [1] السِّلْمِ .

وقد تقدّم من القول فى الحِلْم ما فيه كفاية .

---

(٢) ب : « شجرة » ، وهو تصحيف .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مِسْكِينُ ابْنُ آدَمَ ! مَكْتُومُ الْأَجَلِ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ، تُؤْلِمُهُ الْبَقَّةُ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ، وَتُنْتِنُهُ الْعَرْقَةُ.

***

الشرح :

قد تقدّم هاهنا خبر المبتدأ عليه، والتقدير: «ابنُ آدم مسكين»، ثمّ بيّن مسكنته من أين هي ؟ فقال: إنها من ستّة أوجه: أجلُه مكتوم لا يدري متى يُخترم، وعِلَله باطنة لا يدري بها حتّى تَهيجَ عليه، وعمله محفوظ: ﴿ مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾[1]، وقَرْص البقّة يؤلمه، والشَّرْقة بالماء تقتله، وإذا عَرِق أنتنته العَرْقة الواحدة وغيّرتْ رِيحَه؛ فمن هو على هذه الصّفات فهو مسكين لا محالة، لا ينبغي أن يأمَن ولا أن يَفْخَر.

---

(١) سورة الكهف ٤٩.

الأصل :

وَيُرْوَى أنَّهُ عليهِ السلامُ كانَ جالساً في أصحابهِ ، إذ مرَّتْ بهمْ امرأةٌ جميلةٌ فرمَقَها القومُ بأبصارِهم ، فقالَ عليهِ السلامُ :

إنَّ أبصارَ هذهِ الفُحُولِ طَوَامحُ ، وَإنَّ ذلِكَ سَبَبُ هِبَابِها ؛ فإذا نَظَرَ أحَدُكُمْ إلى امْرَأةٍ تُعجِبُهُ فَلْيُلامِسْ أهْلَهُ ، فإنَّمَا هِيَ امْرَأةٌ كَامْرَأتِهِ .

فقالَ رَجُلٌ مِنَ الخَوَارِجِ : قاتلَهُ اللهُ كافِراً ، ما أفْقَهَهُ !

قالَ : فوَثَبَ القَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ ؛ فقالَ عليهِ السلامُ :

رُوَيْداً ، إنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ ، أوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ .

* * *

الشرح :

تقول : هَبَّ الفحلُ والتَّيسُ يهِبّ بالكسر هَبيبا أو هِبابا ؛ إذا هاجَ للضِّراب أو للسِّفاد ، والهباب أيضا : صَوتٌ ، والتَّيسُ إذ هبَّ فهو مِهْباب ؛ وقد هَبْهبتُه ، أي دعوتُه لينزُوَ [١] فتهبهب ؛ أي تزَعزَع .

وسألني صديقُنا عليُّ بن البِطْريق عن هذه القِصّة فقال : ما بالُه عفَا عن الخارجيّ وقد طعَن فيه بالكفر ، وأنكَر على الأشعث قوله : « هذه عليكَ لا لكَ » ، فقال :

---

(١) ا : وثب .

مايُدْرِيكَ عليكَ لعنةُ اللهِ ماعليّ ممّا لي ! حائكٌ ابن حائكٍ ، منافقٌ ابن كافرٍ ! وماواجَهَه به الخارجيّ أقطع ممّا واجَهَه الأشعث . فقلتُ : لا أدري .

قال : لأنّ كلّ صاحب فضيلة يعظُم عليه أن يُطعَن في فضيلته تلك ، ويُدَّعَى عليه أنه فيها ناقص ، وكان عليٌّ عليه السلام بيت العلم ، فممّا طعن فيه الأشعث طعن بأنّك لاتدري ماعليكَ ممّا لك ، فشقّ ذلك عليه ، وامتعض منه ، وَجَبَهه ولعنه ؛ وأمّا الخارجي فلم يطعن في علمه ، بل أثبته له ، واعترف به ، وتعجّب منه ، فقال : « قاتلهُ اللهُ كافراً ما أفقهه ! » ، فاغتفر له لفظة « كافر » بما اعترف له به من علوّ طبقته في الفقه ، ولم يخشُن عليه خشونته على الأشعث ، وكان قد مَرَن على سماع قول الخوارج : أنت كافر ، وقد كفرتَ ، بمرون التحكيم ، فلم يحفِل تلك اللفظة ونهى أصحابه عن قتله محافظة ورعايةً له على مامَدَحه به .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ ، ما أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ .

• • •

الشرح :

يقول عليه السلام : كفى الإنسان من عقله ما يفرق به بين الغى والرشاد ، وبين الحق من العقائد والباطل ، فإنه بذلك يتم تكليفه ، ولا حاجة فى التكليف ، والفرق بين الغى والرشد إلى زيادة على ذلك نحو التجارب التى تفيده الحزم التام ، ومعرفة أحوال الدنيا وأهلها ، وأيضا لا حاجة له إلى أن يكون عنده من الفطنة الثاقبة والذكاء التام ما يستنبط به دقائق الكلام فى الحكمة والهندسة والعلوم الغامضة ، فإن ذلك كله فضل مستغنى عنه ، فإن حصل للإنسان فقد كمل ، وإن لم يحصل للإنسان فقد كفاه فى تكليفه ونجاته من معاطب العصيان ما يفرق به بين الغى والرشاد ، وهو حصول العلوم البديهية فى القلب ، وما جرى مجراها من علوم العادات ، وما يذكره أصحابنا فى باب التكليف .

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

افْعَلُوا الْخَيْرَ ، وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ ، وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي ، فَيَكُونَ وَاللهِ كَذَلِكَ .

* * *

الشَّـرْحُ :

القليلُ من الخير خيرٌ مِن عَدَمِ الخيرِ أصلا .

قال عليه السلام : لا يقولَنّ أحدُكم إنّ فلانا أولَى بفعل الخير منّي ؛ فيكون والله كذلك ، مثاله قوم مُوسِرون في محلّة واحدة ، فقصَد واحدا منهم سائلٌ فردّه ، وقال له : اذهبْ إلى فلان ، فهو أولَى بأن يتصدّق عليك منّي ، فإنّ هذه الكلمة تقال دائما نهى عليه السلام عن قولِها وقال : فيكونَ والله كذلك ، أي أنّ الله تعالى يوفّق ذلك الشخصَ الذي أحيل ذلك السائلُ عليه ، ويُيسّر الصّدقة عليه ، ويُقوّي دواعيَه إليها ، فيفعلها فتكون كلمة ذلك الإنسان الأوّل قد صادفتْ قَدَرا وقضاء ، ووقع الأمر بموجِبها .

(٤٢٨)

الأصلُ :

إنَّ لِلخَيْرِ وَلِلشَّرِّ أهْلاً ، فَمَهْما تَرَكْتُمُوهُ مِنهُما كَفاكُمُوهُ أهْلُهُ .

* * *

الشَّرحُ :

يقول عليه السلام : إنْ عَنَّ لك بابٌ من أبواب الخير وتركته، فسوف يَكفيكه بعضُ الناس ممّن جعله الله تعالى أهلاً للخير وإسداء المعروفِ إلى الناس ، وإنْ عنَّ لك بابٌ من أبوابِ الشّر فتركته، فسوف يَكفيكه بعضُ الناس ممّن جعلتْهم أنفسُهم وسوء اختيارِهم أهلاً للشرّ وأذى الناس ؛ فأحرِ لنفسك أيّما أحبّ إليك ، أن تحظى بالمحمدة والثواب ، وتفعل ما إن تركته فعله غيرُك وحظِيَ بحمده وثوابه ، أو أن تتركه ، وأيّما أحبّ إليك ، أن تشقى بالذم عاجلاً ، والعقابِ آجلاً ، وتفعل ما إن تركته كفاكه غيرُك ، وبلغتَ غرضك منه على يدِ غيرِك ، أو أن تفعله ، ولا ريبَ أنّ العاقلَ يختارُ فعلَ الخير وتركَ الشّرِ إذا أفكر حقَّ الفِكْر فيما قد أوضحناه [1] .

---

(١) أ : « وضح » .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ ، أَصْلَحَ اللهُ عَلانِيَتَهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ ، كَفَاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ ، أَحْسَنَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

* * *

الشرح :

لا ريبَ أنّ الأعمال الظاهرة تبعٌ للأعمال الباطنة ، فمن صَلَح باطنُه صَلَح ظاهرُه وبالعكس ، وذلك لأنّ القلبَ أميرٌ مسلَّطٌ على الجوارح ، والرعيّة تَتْبَع أميرَها ولا ريبَ أنّ من عَمِل لدينِه كفاهُ الله أمرَ دُنْياه ، وقد شَهِد بذلك الكتابُ العزيزُ في قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجاً ويَرْزُقْه من حيث لا يحتسِب ﴾[1] .

وهذا أيضا عِلّة ظاهرة ؛ وذلك أنّ من عَمِل لله سبحانه وللدّين فإنه لا يخفى حالُه في أكثر الأمر عن الناس ، ولا شبهة أنّ الناس إذا حَسُنت عقيدتُهم في إنسان وعلموا متانَةَ دينه توَجّهوا له إلى الدّنيا أمورا لا يحتاجُ أن يتكلّفها ، ولا يتعب فيها ، فيأتيه رزقُه من غيرِ كُلْفة ولا كَدّ ؛ ولا ريبَ أنّ من أحسَنَ فيما بينَه وبين الله أحسنَ الله ما بينَه وبين الناس ، وذلك لأنّ القلوبَ بالضرورة تَميلُ إليه وتحبّه ، وذلك لأنّه إذا كان مُحسِنا بينَه وبين الناس عفّ عن أموالِ الناس ودمائهم وأعراضِهم ، وترْكَ الدخولَ فيما لا يَعنيه ، ولا شبهةَ أنّ من كان بهذه الصّفة فإنّه يحسن ما بينَه وبين الناس .

---

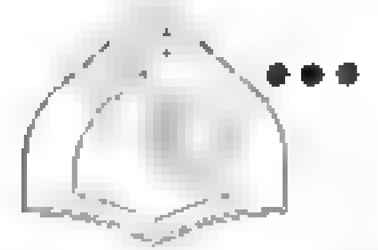
(١) سورة الطلاق آية (٢ ، ٣)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

أَلحِلْمُ غِطاءٌ ساتِرٌ ، والعَقلُ حُسامٌ قاطِعٌ ، فاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَقاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ .

●●●



الشرح :

لما جعل الله الحلم غطاء ، والعقل حساماً أمرَه أن يستر خلل خلقه بذلك الغطاء وأن يقاتل هواه بذلك الحسام ، وقد سبق القول في الحلم والعقل .

(٤٣١)

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إنَّ للهِ عِباداً يختصُّهُمْ بالنِّعَمِ لِمَنافِعِ العِبادِ ، فَيُقِرُّها في أَيْديهِمْ ما بَذَلُوها فإذا منَعُوها نَزَعَها مِنْهُمْ ، ثُمَّ حَوَّلَها إلى غيرِهِمْ .

* * *

الشَّـرْحُ :

قد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدّم ، وقد قال الشعراء فيه فأكثروا ، ومن قريب من ذلك قول الشاعر :

وبالنّاسِ عاشَ الناسُ قِدْماً ولم يَزَلْ   من الناسِ مَرْغوبٌ إليـه وراغِبُ

وأشدّ تصريحاً بالمعنى قول الشاعر :

لم يعطك اللهُ ما أعطـاكَ من نِعَمٍ   إلّا لتوسِعَ من يرجوكَ إحسانا

فإنْ منعتَ فأخلِقْ أن تُصادِفَهـا   تطيرُ عنكَ زرافاتٍ ووحـدانا

الأصلُ :

وَقالَ عليه السلامُ :

لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ : العافِيَةِ والْغِنَى ، بَيْنَا تَرَاهُ مُعافًى إذْ سَقِمَ وبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إذ افتقَرَ .

* * *

الشَّرْحُ :

قد تقدَّم القولُ في هذا المعنى .

وقال الشاعر :

وبينا المرء في الأحياء مُغْتَبِطٌ ... إذ صار في اللَّحْدِ تَسْفِيهِ الأعاصيرُ

وقال آخَرُ :

لا يَغُرَّنْكَ عِشاءٌ ساكنٌ ... قد يُوافِي بالمَنِيَّاتِ السَّحَرْ

وقال عُبيدُ الله بنُ طاهر :

وإذا ما أعارَكَ الدهرُ شيئاً ... فهو لا بدَّ آخِـــذٌ ما أعارَا

آخَر :

يَغُرُّ الفتى مَرُّ الليالي سَليمةً ... وهُنَّ به عمّا قليلٍ عَواثِرُ

وقال آخَر :

ورُبَّ غنيٍّ عظيمِ الثَّراء ... أمسَى مُقِلاً عَديماً فَقِيرَا

وكم باتَ مِنْ مُتْرَفٍ في القُصور ... فعُوِّضَ في الصبح عنها القُبورَا

(٤٣٣)

الأصْـلُ :

وقال عليه السلامُ :

مَنْ شَـكا الحاجَـةَ إلى مُؤمِنٍ فَـكأنَّما شَـكاها إلى اللهِ ، ومَنْ شَـكاها إلى كافرٍ فَـكأنَّما شَـكا اللهَ .

• • •

الشَّرْح :

قد تقدَّم القولُ في شَـكوى الحالِ وكراهيتها ، وكلامُ أميرِ المؤمنين عليه السـلام يدلُّ على أنه لا يَكرَه شَـكوَى الحالِ إلى المؤمن ، ويَـكرَهها إلى غير المؤمن ، وهـذا مذهبٌ دقيقٌ غيرُ المذهب المُرَّقَّ .

وأكثرُ مذاهبه ومقاصده عليه السلام في كلامه يَنحُو فيها نحوَ الدِّينِ والوَرَعِ والإسلام وكأنّه يَجعَل الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه ، لأنه لا يشكو إلى المؤمن إلّا وقد خلَتْ شكواه من التسخُّط والتأفّف ، ولا يَشكُو إلى الـكافر إلّا وقد شـابَتْ شَـكواه بالاستزادة والتّضجُّر ، فافترقَت الحالُ في الموضعين .

فأمّا المذهبُ المشهورُ في الظَّرف والعادة فاستهجانُ الشَّـكوى على الإطـلاق لأنّهـا دليلٌ على ضَعف النفس وخذلانها ، وقلّة الصَّبر على حوادث الدَّهر ، وذلك عندَهم غيرُ محمود .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ في بعضِ الأعيادِ :

وإنَّما هُوَ عيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيامَهُ ، وشَكَرَ قِيامَهُ ، وكُلُّ يومٍ لا يُعصَى اللهُ فيهِ فهوَ يومُ عيدٍ .

***

الشرح :

المعنى ظاهرٌ ، وقد نقله بعضُ المحدثين إلى الغزل فقال :

قالوا أتى العيدُ قلتُ أهلاً ... إنْ جادَ بالوصلِ فهوَ عيدُ

مَنْ ظَفِرتْ بالمنى يداهُ ... فكلُّ أيامِهِ سُعودُ

ورأيتُ بعضَ الصوفيةِ وقد سمعَ هذينِ البيتينِ من مُغَنٍّ حاذقٍ ، فطرِبَ وصفَّقَ وأخذَهما لمعنًى عنده .

وقد قال بعضُ المحدثين في هذا المعنى أيضاً .

قالوا أتى العيدُ والأيامُ مشرقةٌ ... وأنتَ ... بك وكلُّ ... مسرورُ

فقلتُ إنْ واصلَ الأحبابُ كان لنا ... عيدٌ وإلّا فهذا اليومُ عاشورُ

(٤٣٥)

الأصـل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إنَّ أعظمَ الحسَراتِ يومَ القيامةِ حسْرةُ رجُلٍ كَسَبَ مالاً في غَـيْرِ طاعةِ اللهِ فورّثهُ رجُـلاً فأنفقهُ في طاعةِ اللهِ سُبحانهُ فدخلَ بهِ الجنّةَ ، ودخلَ الأوّلُ بهِ النّـارَ .

* * *

الشَّـرح :

كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان : السعيد ابن الشقيّ ، وذلك أنّ عبدَ العزيز ابن مروان ملكَ ضياعاً كثيرة بمصر والشام والعراق والمدينة من غير طاعة الله ، بل سلطان أخيه عبد الملك ، وبولاية عبد العزيز نفسه مصر وغيرها ، ثمّ تركها لابنه عمر ، فكان يُنفقها في طاعة الله سبحانه وفي وجوه البِرّ والقُرُبات ، إلى أن أفضَت الخلافةُ إليه ، فلما أفضت إليه أخرَجَ سِجلاّت عبد الملك بها لعبد العزيز فمزّقها بمَحضَر من الناس ، وقال : هذه كُتِبتْ من غير أصل شرعيّ ، وقد أعدتُها إلى بيت المـال .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إنّ أخسرَ النّاسِ صفقةً ، وأخيبَهم سعياً ، رجلٌ أخلقَ بدنَه في طلبِ مالِه[١] ، ولمْ تُساعِدْهُ المقاديرُ على إرادتِهِ ، فخرجَ مِنَ الدُّنيا بحسْرتِهِ ، وقدِمَ على الآخرةِ بتَبِعتِهِ .

•••

الشرح :

هذه صورةُ أكثرِ الناس ، وذلك لأنّ أكثرَهم تَكُدّ بدنَه وتعبَه في نوعِ الآمالِ الدّنيويّة ، والقليلُ منهم من تساعِده المقاديرُ على إرادته ، وإن ساعدَتْه على شيءٍ منها بقيَ في نفسه ما لا يَبلغه ، كما قيل :

نروحُ ونغـــدو لحاجاتنا ... وحاجةُ من عاش لا تنقضي

تموتُ مـــع المرءِ حاجاتُه ... وتبقَى له حاجةٌ ما بقِي

فأكثرُهم إذنْ يخرُج من الدنيا بحسْرته ، ويقدِم على الآخرة بتَبِعته ، لأنّ تلك الآمال التي كانت الحركةُ والسعيُ فيها ليستْ مصلحةً لأمور الدِّين والآخرة ، لا جرَم أنها تبِعات وعُقوبات ، ونسألُ اللهَ عفوَه .

(١) في د « آماله » ، وهو مستقيم أيضاً

(٤٣٧)

الأصلُ :

وقال عليهِ السلامُ :

الرِّزْقُ رِزْقانِ : طالِبٌ ومَطْلوبٌ ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيا طَلَبَهُ المَوْتُ حَتّى يُخْرِجَهُ عَنْها ، وَمَنْ طلبَ الآخِرةَ طَلَبَتْهُ الدُّنيا حَتّى يَسْتَوْفِيَ مِنْها رِزْقَهُ[1] .

* * *

الشَّرْحُ :

هذا تحريضٌ على طلب الآخرة ، ووَعْدٌ لمن طَلَبها بأنه سيُكفى طلب الدنيا ، وإنّ الدنيا ستَطلُبُهُ حتى يستوفيَ رزقَه منها .

وقد قيل : مَثَل الدُّنيا مَثَل ظِلِّكَ ، كلَّما طلبتَه بَعُدَ عنك ، فإن أدبَرْتَ عنه تَبِعَكَ .

---

(١) د « رزقه منها »

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إنَّ أولياءَ اللهِ هُمُ الَّذينَ نَظَرُوا إلى باطِنِ الدُّنيا إذا نَظَرَ النَّاسُ إلى ظاهِرِها واشتَغَلُوا بآجِلِها إذَا اشتَغَلَ النَّاسُ بِعاجِلِها ، فأماتُوا مِنها ما أخشَوْا أن يُمِيتَهُمْ وتَرَكُوا مِنها ما عَلِمُوا أنَّهُ سَيَترُكُهُمْ ، ورأوْا استِكثارَ غيرِهِمْ مِنْها استِقلالاً ، ودَرَكَهُمْ لها فَوَاتاً ، أعداءُ لِما سالَمَ النَّاسُ ، وسَلْمٌ لِمَنْ عادَى النَّاسُ ، بِهِمْ عُلِمَ الكِتابُ ، وبِهِ عَلِمُوا ، وبِهِمْ قامَ كتابُ اللهِ تعالى ، وبِهِ قامُوا ، لا يَرَوْنَ مَرجُوًّا فَوقَ ما يَرجُونَ ، ولا مَخُوفاً فَوقَ ما يَخافُونَ .

• • •

الشرح :

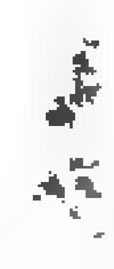
هذا يَصلُحُ أن تجعلَه الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذهبهم ، لقولِه: فوقَ ما يرجون، بهم عُلِم الكتاب ، وبه عَلِموا ؛ وأمّا نحن فنجعله شرح حالِ العلماء العارفين وهم أولياء الله الذين ذكرهم عليه السلام لما نظر الناسُ إلى ظاهر الدنيا وزُخرُفها من المناكح والملابس والشّهوات الحِسيّة ، نظروا هُمْ إلى باطن الدنيا ، فاشتغلوا بالعلوم والمعارف والعبادة والزهد في الملاذّ الجسمانية ، فأماتوا من شهواتهم وقُواهم المذمومة كقوّة الغضب وقوّة الحسد ما خافوا أن يُميتَهم ، وتركوا من الدنيا اقتناء الأموال لعلمهم أنها ستترُكهم ، وأنه لا يمكن دوامُ الصُّحبة معها ، فكان استكثارُ الناس من تلك الصفات استقلالا عندهم ، وبلوغ الناس لها فوتاً أيضا عندهم ، فهم خَصْم لِما سالمَه الناسُ

من الشهوات ، وسلّمْ لِما عاداه الناس من العلوم والعبادات ، وبهم عُلم الكتاب ، لأنه لولاهم لما عُرِف تأويل الآيات المتشابهات ، ولأخذها الناسُ على ظواهرها فضلّوا وبالكتاب عَلموا ، لأنّ الكتابَ دلّ عليهم ، ونبّه الناس على مواضعهم ، نحو قوله : ﴿ إنما يَخشَى اللهَ من عبادِهِ العلماء ﴾[1] .

وقوله : ﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾[2] .

وقوله : ﴿ ومَن يؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً ﴾[3] .

ونحو ذلك من الآيات التى تنادى عليهم ، وتخطب بفضلهم ، وبهم قام الكتاب لأنهم قرّروا البراهين على صدقه وصحة وروده من الله تعالى على لسان جبريل عليه السلام ولولاهم لم يقم على ذلك دلالة للعوام ، وبالكتاب قاموا ، أى باتباع أوامر الكتاب وآدابه قاموا ، لأنه لولا تأدبهم بآداب القرآن ، وامتثال أوامره ؛ لما أغنى عنهم علمُهم شيئاً ، بل كان وَبالَه عليهم ، ثم قال : إنّهم لا يرَوْن مَرْجُوّاً فوق ما يَرْجون ، ولا مخوفاً فوق ما يخافون ، وكيف لا يكونون كذلك ومَرْجُوُّهم مجاوَرة الله تعالى فى حظائر قُدْسه ، وهل فوق هذا مَرْجُوٌّ لراجٍ ، ومخوفهم سخط الله عليهم وإبعادُهم عن جنابه ، وهل فوق هذا مخوفٌ لخائف .



(١) سورة فاطر ٢٨
(٢) سورة الزمر ٩
(٣) سورة البقرة ٢٦٩

الأصل :

وقال عليه السلام :

اذكروا انقطاعَ اللذّاتِ ، وبقاءَ التّبعاتِ .

• • •

الشرح :

قد تقدّم القولُ في نحو هذا مرارا ؛ وقال الشاعر :

تفنى اللّذاذةُ ممن نال بغيتَهُ من الحرامِ ، ويبقى الإثمُ والعارُ
تبقى عواقبُ سوءٍ في مغبّتها لا خيرَ في لذّةٍ من بعدها النّارُ

وراودَ رجلٌ امرأةً عن نفسها ، فقالت له : إن امرأً يبيع جنّةً عرضُها السموات والأرض بمقدار إصبعين لجاهلٌ بالمساحة ؛ فاستحيا ورجع

الأصْـلُ :

وقالَ عليه السلامُ : أُخْبُرْ تَقْلِهْ .

وقالَ الرَّضيّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَرْوِي هذا لِرَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ ، ومِمَّا يُقَوِّي أنَّهُ مِنْ كلامِ أميرِ المؤمنينَ عليهِ السلامُ ماحَكاهُ ثعلب قالَ : حدَّثنا ابنُ الأعرابيّ قالَ : قالَ المأمونُ : لولا أنَّ عليًّا عليه السلامُ قالَ : أُخْبُرْ تَقْلِهْ لقلتُ أنا اقْلِهْ تَخْبُرْ .

* * *

الشَّـرْح :

المعنى اختبر الناسَ وجرِّبهم تُبغِضهم ، فإن التجربةَ تكشف لك عن مساويهم وسوء أخلاقهم ، فضربَ مثلاً لمن يَغترّ به الخيرُ وليس هناك ، فأمّا قول المأمون : لولا أنَّ عليًّا قاله لقلتُ : اقلِهْ تَخبُرْ ، فليسَ المراد حقيقة القِلَى ، وهو البُغض بل المراد الهجرُ والقطيعة ، يقول : قاطِعْ أخاك مجرِّبًا له هل يَبقَى على عهدِك أم يَنقضُه ويحوِّله عنك .

ومن كلام عتبةَ بن أبي سفيان . طيِّروا الدمَ في وجوه الشباب ، فإن حلُموا وأحسَنوا الجواب فهم هم ، وإلا فلا تطمعوا فيهم ، يقول : أغضبوهم لأن الغضبان يحمرّ وجهه ، فإن ثبتوا لذلك الكلام المغضِب وحلُموا وأجابوا جوابَ الحليم العاقل ، فهم ممّن يُعقَد عليه الخنصَر ويُرجَى فلاحُه ، وإن سفِهُوا وشتَموا ولم يَثبتُوا لذلك الكلام فلا رجاءَ لفلاحِهم . ومن المعنى الأوّل قولُ أبي العلاء :

جرّبتُ دهرى وأهليه فما تركتْ لىَ التجاربُ فى ودّ امرئٍ غرَضا[1]

وقال آخر :

وكنتُ أرى أنّ التجاربَ عُدّةٌ فخانتْ ثِقاتُ الناسِ حتى التجاربُ

وقال عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب :

رأيتُ فُضَيلاً كان شيئاً ملفّفاً فأبرزَه التمحيصُ حتى بدا لِيا[2]

آخَر :

عتبتُ على سَلْمٍ فلمّا فقدتُه وجرّبتُ أقواماً رجعتُ إلى سَلْمِ

مثلُه :

ذممتُك أوّلاً حتى إذا ما بلوتُ سواكَ عاد الذمُّ حَمْدا

ولم أَحمَدْكَ من خيرٍ ولكن وجدتُ سواكَ شرّاً منك جدّا

فعُدتَ إليكَ مضطرّاً ذليلاً لأنّى لم أجِدْ من ذاكَ بُدّا

كمحمودٍ تحامَى أكلَ مَيْتٍ فلمّا اضطُرّ عادَ إليه شَدّا

الذى يتعلق به غرضُنا من الأبيات هو البيتُ الأولُ ، وذكرنا سائرَها لحُسْنِها .

---

(١) سقط الزند ١٥٦

(٢) الأغانى ١٢ : ٢١٤ ، وروايته « رأيت فضيلا » .

(٤٤١)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

ما كانَ اللهُ عزّ وجل لِيَفْتحَ عَلَى عَبْدٍ بابَ الشُّكْرِ ويُغلِقَ عَنْهُ بابَ الزِّيادَةِ ، ولا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ باب الدُّعاء، ويُغلِقَ عَنْهُ بابَ الإجابَةِ ، ولا لِيَفْتحَ عَلَيْهِ بابَ التَّوْبَةِ ، ويُغْلِقَ عَنْهُ بابَ المَغْفِرَةِ .

* * *

الشرح :

قد تقدّم القولُ في الشُّكر واقتضائه الزيادة[و][1] اقتضاء الدّعاء الإجابةَ ؛ والتّوبة : المغفرة ؛ على وجهِ الاستقصاء في الجميع .

الأصل :

وقال عليه السلامُ :

أوْلَى النَّاسِ بالكَرَمِ مَنْ عُرِّقَتْ فِيهِ الكِرَامُ .

الشرح :

أعرقت وعَرَّقت في هذا الموضع بمعنى ، أى ضربتْ عروقهُ في الكَرَم ، أى له سَلَف وآباء كرامٌ . وقال المبرد : أنشدني أبو محلِّم السعدى :

إنَّا سألنا قومَنا خيارُهم ... مَن كان أفضلَهم أبوه الأفضلُ[1]

أعطى الذى أعطى أبوه قبلَه ... وتَبخَّلتْ أبناء مَن يتَبخَّلُ

قال : وأنشدني أيضاً في المعنى :

لَطلحةُ بن حُبَيْشٍ حين تسألُه ... أندى وأكرمُ من فِندِ بن هطَّالِ[2]

وبيتُ طلحة في عزٍّ ومَكرُمةٍ ... وبيت فِندٍ إلى رِبْقٍ وأحمالِ[3]

ألا فتًى من بنى ذُبيان يحملنى ... وليس يحملنى إلا ابنُ حمَّالِ[4]

فقلتُ طلحة أولى من عَمَدتُ له ... وجئتُ أمشى إليه مَشْىَ مُختالِ

مُستيقناً أن حَبْلى سوف يَعْلَقهُ ... فى رأس ذَيّالة أو رأس ذيّالِ[5]

---

(١) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « أبوه الأول » .

(٢) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « لطلحة بن حبيب » .

(٣) ربق : حبل فيه عدة عرا ، تشد به البهم . وأحمال : جمع حمل ، بالتحريك ؛ وهو الخروف .

(٤) قال أبو العباس : « يعنى ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر » .

(٥) قوله : « فى رأس ذيالة » ، يعنى فرساً أنثى أو حصاناً . والذيال : الطويل الذنب .

وقال آخر :

عندَ الملوكِ مَضرةٌ وَمنافعٌ ... وأرى البرامِكَ لا تَضرُّ وتنفعُ

إنّ العُروقَ إذا استسَرّ بها الثّرى ... أثرى النّباتُ بها وطابَ المزرعُ

وإذا جهلتَ من امرئٍ أعراقَهُ ... وقديمَهُ فانظر إلى ما يَصنعُ

وقال آخر :

إنّ السّريَّ إذا سرى فبنفسِهِ ... وابنُ السّريِّ إذا سرى أسراهُما

وقال البحتريّ :

وأرى النّجابةَ لا يكونُ تمامُها ... لنجيبِ قومٍ ليسَ بابنِ نجيبِ [1]

---

(١) ديوانه ١ : ٥٧

الأصل

وسُئِلَ عليهِ السَّلامُ : أيُّهما أفضلُ ؟ العدلُ أو الجودُ ؟ فقالَ :

العدلُ يضعُ الأمورَ مواضِعَها ، والجودُ يُخرِجُها مِنْ جهتِها ، والعدلُ سائسٌ عامٌّ ؛ والجودُ عارِضٌ خاصٌّ ، فالعدلُ أشرفُهما وأفضلُهما .

***

الشرح :

هذا كلامٌ شريفٌ جليلُ القدْرِ ؛ فضَّل عليه السلام العدْل بأمرين .

أحدهما أنّ العدل وضعُ الأمور مواضعها ، وهكذا العدالة فى الاصطلاح الحكمىّ ، لأنها المرتبة المتوسطة بين طرَفى الإفراط و تفريط ، والجود يُخرج الأمر عن موضعه ، والمراد بالجود هاهنا هو الجود العرفىّ ، وهو بذل المُقتنَيات للغير ، لا الجود الحقيقىّ ، لأنّ الجود الحقيقىّ ليس يخرج الأمر عن جهته ، نحو جود البارى تعالى .

والوجه الثانى : أنّ العدل سائسٌ عامّ فى جميع الأمور الدينية والدنيوية ، وبه نظام العالَم وقوام الوجود ؛ وأمّا الجود فأمرٌ عارضٌ خاصّ ، ليس عموم نفعه كعموم نفع العدْل .

(٤٤٤)

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

النَّاسُ أعْدَاء ما جَهِلُوا .

• • •

الشَّـرْحُ :

هذه من ألفاظه الشريفة التى لا نظيرَ لها ، وقد تقدَّم ذكرها وذكرُ ما يُناسبها .

وكان يقال : مَن جَهِل شيئاً عاداه .

وقال الشاعر :

جهلتَ أمراً فأبديتَ النَّكيرَ له والجاهلُون لأهـــلِ العِلمِ أعداءُ

وقيل لأفلاطون : لِمَ يُبغض الجاهلُ العالِمَ ، ولا يُبغِضُ العالِمُ الجاهلَ؟ فقال : لأنّ الجاهلَ يَستشعِر النقص فى نفسه ، ويظنّ أنّ العالمِ يَحتقِره ، ويَزْدَرِيه فيُبغِضه ، والعالِم لا نقص عنده ولا يظنّ أنّ الجاهلَ يَحتقِره ، فليس عندَه سببٌ لبُغض الجاهِل .

الأصلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ قالَ اللهُ سُبْحانَهُ : ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [1] ، وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْماضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ .

•••

الشرح :

قد تقدّم القولُ في هذين المعنيين بما فيه كفاية .

---

(١) سورة الحديد ٢٣ .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجالِ .

●●●

الشرح :

أى تُعرَف الرجالُ بها كما تُعرَف الخيل بالمضمار ، وهو الموضع أوالمُدة التى تُضمَّر فيها الخيل ، فمِن الوُلاة مَن يظهر منه أخلاقٌ حميدة ، ومنهم من يظهر منه أخلاقٌ ذميمة .

وقال الشاعر :

سكراتٌ خمسٌ إذا مُنِىَ المر ... ءُ بهـــا صارَ عُرضةً للزّمانِ
سَكْرَةُ المَالِ والحـداثة والعِشْـ ... ـقِ وسكرُ الشّراب والسّلطانِ

وقال آخر :

يابنَ وَهْبٍ والمرءُ فى دَوْلة السلـ ... ـطانِ أعمَى مادامَ يُدعَى أميرا
فإذا زالتِ الولايةُ عنـــهُ ... واستَوَى بالرّجال عادَ بَصيرا

وقال البحترىّ :

وتاه سَعيدٌ أن أُعِـــيرَ رئاسَةً ... وقُلِّد أمراً كان دونَ رِجالِهِ
وضاقَ على حَقّ تعقّب أتباعِهِ ... فأوسَعْتُه عـــذراً لِضيق احتماله
فأدبرَ عنّى عنـــد إقبال حظّه ... وغيّر حالِى عنـــدَه حُسنُ حالِه
فليتَ أبا عثمانَ أمسَكَ تِيهَه ... كإمساكِه عنـــد الحقوق بماله

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ !

•••

الشَّرْحُ :

هذه الكلمةُ قد سبقتْ ، وتكلّمنا عليها ، وما أحسنَ قولَ المعرّي :

ما قَضَى الحاجاتِ إلّا شمِلٌ نومُه فوقَ فِراشٍ من عمَلْ (١)

وقال الرضيّ رحمه الله :

عليها أحامِصُ مِثلُ الصقورِ طُول الرجاء حِسام الأرَبْ
وكلّ فتًى حطَّ أجفـانَه من النوم مَصْمَصةٌ يُسْتَلبْ (٢)
فبينا يقال كَرَى جَفْنَه قطيعٌ من الليل إذ قيل هَبْ

---

(١) الشمل : السريع

(٢) يقال : مصمص النعاس في عينه ، إذا دب .

(٤٤٨)

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

لَيْسَ بَلَدٌ بأحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ ؛ خَيْرُ البِلَادِ ما حَمَلَكَ .

* * *

الشَّرْحُ :

هذا المعنى قد قيل كثيراً ، ومن ذلك قولُ الشاعر :

لا يَصْدِفنّكَ عن أمرٍ تُحاوِلُهُ ... فِراقُ أهلٍ وأحبابٍ وجيرانِ[1]

تلقَ بكلِّ ديارٍ ما حللتَ بها[2] ... أهلاً بأهلٍ وأوطاناً بأوطانِ

وقال شَيخى أبو جعفر يحيى بن أبى زيد نقيبُ البَصْرة :

أنسيتنى بلدى وأرضَ عشيرتى ... ونزلتُ مِنْ نُعماكَ أكرمَ منزلِ

وأحذتُ فيك مدائحى فكأنّها ... فى آل شمّاسٍ مدائحُ جرْولِ

أبو عُبادة البُحتُرىّ :

فى نعمةٍ أوطنتُها وأقمتُ فى ... أكنافِها فكأنّنى فى مَنْبِجِ[3]

ومَنْبِج ، هى مدينة البحترىّ .

أبو تمّام :

كلُّ شِعبٍ كنتم به آلَ وَهْبٍ ... فهو شِعبى وشِعبُ كلِّ أديبِ[4]

---

(١) فى د : « فراق ربع » والمعنى عليه يستقيم أيضاً .

(٢) فى د : « بلاد » وهو مستقيم أيضاً .

(٣) ديوانه ١ : ١٠٣ .

(٤) ديوانه ١ : ١٣١ .

إنّ قلبي لكمْ لكالكبدِ الحـرّى وقلبي لغيركمْ كالقلوبِ

وقد ذهب كثيرٌ من الناس إلى غير هذا المذهب ، فجعلوا بعض البلاد أحقّ بالإنسان من بعض ، وهو الوطن الأوّل ومَسقِط الرأس ، قال الشاعر :

أحبُّ بلادِ الله ما بين مَنْعِجٍ إليَّ وسَلمى أن يَصُوبَ سَحابُها[1]

بلادٌ بهـا نِيطتْ عليَّ تمائمي وأوّلُ أرضٍ مَسَّ جِلدي تُرابُها

وكان يقال : مَيْلُك إلى مولدِك مِن كَرَمِ مَحتِدِك .

وقال ابنُ عبّاس : لو قَنِعَ الناسُ بأرزاقهم قناعتَهم بأوطانهم ، لما اشتكى أحدٌ الرزق .

وكان يقال : كما أنّ لحاضِنَيك حقّ لبنِهما فلأرضِك حُرمةُ وطنِها .

وكانت العربُ تقول : حِماكَ أحمَى لك ، وأهلُك أحنَى بك .

وقال الشاعر :

وكُنّا ألِفناهـا ولم تكُ مألفاً وقد يُؤلَفُ الشيءُ الذي ليس بالحسَنْ

كما تُؤلَفُ الأرضُ التي لم يَطِبْ بها هَواءٌ ولا ماءٌ ولكنّها وَطَنْ

أعرابيّ :

رملةٌ حضنتني أحشاؤها ، وأرضعني أحساؤها

كانت العرب إذا سافرتْ حملتْ معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحَه ، وتطرحه في الماء إذا شربته ، وكذلك كانت فلاسفةُ يونان تفعل .

وقال الشاعر في هذا المعنى :

سيرُ على عمرٍ [illegible] [illegible][2] [illegible] [illegible]

(١) معجم البلدان ٨ : ١٨٠ و ثلاثة أبيات [illegible] أعرابي

(٢) [illegible]

ولا بدّ في أسفارنا من قبيصةٍ   من التُرب نُسقاها لحبّ الموالدِ

وقالت الهند : حُرمة بلدك عليك كحرمة أبويك ، كان غِذاؤك منهما وأنت جنين وكان غذاؤهما منك .

ومن الكلام القديم : لولا الوطنُ وحبُّه لخُرِّب بلد السوء .

ابن الرومي :

وحبّبَ أوطانَ الرجال إليهمُ   مآربُ قضّاها الشبابُ هنالكا

إذا ذكروا أوطانَهم ذكّرتهم   عهودَ الصِّبا فيها فحنّوا لذالكا

(٤٤٩)

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ وقَدْ جاءَهُ نَعْيُ الأشْتَرِ رحِمَهُ اللهُ :

مالِكٌ ، وما مالِكٌ ؟ واللهِ لَوْ كانَ جَبَلاً لَكانَ فِنْداً ، أوْ كانَ حَجَراً لَكانَ صَلْداً لا يَرْتَقيهِ الحافِرُ ، ولا يُوفي عَلَيْهِ الطّائِرُ .

وقالَ الرّضيّ رحِمهُ اللهُ تعالى .

والفِنْدُ : المُنْفَرِدُ مِنَ الجِبالِ .

•••

الشّرْحُ :

يقال : إنّ الرّضيّ ختم كتاب نهج البلاغة بهذ الفصل ، وكُتِبَتْ به نُسَخٌ متعدّدة ثمّ زاد عليه إلى أن وفى الزّيادات التي نذكرها فيما بعد .

وقد تقدّم ذكرُ الأشتر ، وإنما قال : لو كان جبلا لكان فِنْدا ، لأنّ الفند قطعةُ الجبل طُولا ، وليس الفِنْد القِطعةَ من الجبل كيف كانت ، ولذلك قال : لا يرتقيه الحافر ، لأنّ القطعة المأخوذة من الجبل طُولا في دِقّة لا سبيل للحافر إلى صعودِها ، ولو أُخِذت عَرْضا لأمكنَ صُعُودها .

ثم وَصَف تلك القطعة بالعلوّ العظيم ، فقال : ولا يوفي عليه الطائر ، أي لا يصعد عليه ، يقال : أوفى فلانٌ على الجبل : أشرَف .

الأصل

وقالَ عليه السلامُ:

قَليلٌ مَدُومٌ عليه ، خَيْرٌ مِن كَثيرٍ مَمْلولٍ مِنْهُ .

* * *

الشرح :

هذا كلامٌ يُخاطِب به أهلَ العبادة بنحو الصلاة ، قال: قليلٌ من النوافل يدومُ المرء عليه خيرٌ له من كثير منها يَملّه ويتركه .

والجيد النادر في هذا قولُ رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ هذا الدِّين متين ، فأوْغِلْ فيه برِفق ، فإنّ المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى .

وكان يقال : كلّ كثير مملول .

وقالوا : كلّ كثير عدوٌّ للطبيعة .

وقال الشاعر :

إنّى كثُرتُ عليه فى زيارته	فملّ والشىء مملولٌ إذا كثُرا
ورابنى منه أنّى لا أزالُ أرى	فى طَرْفه قِصَرا عنّى إذا نَظَرا

(٤٥١)

الأَصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إذا كَانَ في رَجُلٍ خَلَّةٌ رَائِعَةٌ ، فَانْتَظِرُوا مِنْهُ أَخَوَاتِهَا .

***

الشَّرْحُ :

مثال ذلك إنسان مَستور الحـال عنا وأنباه وقد صدرتْ عنه حركة تَروعُك وتُعجبك : إما حُسنها أو قُبحها ، مثل أن يتصدّق بشيء له وَقْع ومقدار من ماله ، أو ينكر منكرا عجز غيرُه عن إنكاره ، أو يَسرِق أو يزنى ؛ فينبغى أن يُنتظر ويُترقّب منه أخوات ماوَقَع منه ؛ وذلك لأنّ النفس والطبيعة التي فيه المحرِّكة له إلى فعل تلك الحركة ، لابدّ أن تحرّكه إلى فِعل مايناسبها ، لأنها مادعته إلى فِعل تلك الحركة لخصوصيّة تلك الحركة ، بل لما فيها من المعنى المقتضِى وقوعَها ، وهذا يتعدّى إلى غيرها ممّا يجانسها ، ولذلك لا تَرَى أحداً قد اطلعت من حالِهِ يوما على أنّه قد شَرِب الخمر إلّا وسوف تَطّلع فيما بعدُ منه على أنه يشربُها ، وبالعكس في الأمور الحسنة لا ترَى أحدا قد صَدَر عنه فِعلٌ من أفعال الخير والمروءة إلّا وستراه فيما بعدُ فاعلا نظيره أو مايقارِبُه .

وشتَم بعضُ سفهاء البَصرة الأحنفَ شتْمًا قبيحا فحَلَم عنه ، فقيل له في ذلك ؛ فقال : دعُوه فإني قد قتلتُه بالحلم عنه ، وسيقتل نفسَه بجرأته ؛ فلمّا كان بعدَ أيام جاء ذلك السفيهُ فشتَم زياداً ؛ وهو أميرُ البَصْرة حينئذ ، وظنّ أنه كالأحنف ، فأمر بقطع لسانه ويدِه .

(٤٥٢)

الأصلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ لِغالِبِ بنِ صَعْصَعَةَ أبي الفَرَزْدَقِ في كلامٍ دارَ بينهما : مافعَلَتْ إِبِلُكَ الكَثِيرَةُ ؟ قالَ : ذَعْذَعَتْهَا الحُقوقُ يا أميرَ المؤمنينَ . فقالَ عليهِ السلامُ : ذلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِها .

• • •

الشرحُ :

ذعذعتْها بالذال المعجمة مكرّره فرّقتها ، ذَعْذَعْتُه فتذعذع ، وذَعْذَعةُ السرِّ : إذاعتُه والذَّعاذِع : الفِرَق المتفرّقة ، الواحدةُ ذعذعة ، وربما قالوا : تفرّقوا ذعاذع .

• • •

دخل غالبُ بنُ صعصعةَ بن ناجية بن عقال المُجاشِعيّ على أمير المؤمنين عليه السلام أيام خلافته ، وغالبٌ شيخٌ كبير ، ومعه ابنُه همّام الفرزدق وهو غلام يومئذ ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : مَن الشيخ ؟ قال : أنا غالبُ بنُ صعصعة ؛ قال : ذو الإبل الكثيرة ؟ قال : نعم ، قال : مافعلتْ إبلُك ؟ قال : ذعذعتْها الحُقوق ، وأذهبتْها الحمالات والنوائب ؛ قال : ذاك أحمد سُبُلها ؛ مَن هذا الغلامُ معك ؟ قال : هذا ابني ، قال : ما اسمُه ؟ قال همّام ؛ وقد روّيتُه الشعرَ يا أميرَ المؤمنين وكلامَ العرب ، ويوشِك أن يكون شاعراً مُجيدا ؛ فقال : لو أقرأتَه[1] القرآنَ فهو خيرٌ له ؛ فكان الفرزدقُ بعدُ يروي هذا الحديثَ ويقول : مازالتْ كلمتُه في نفسي حتّى قيّد نفسه بقيد ، وآلى ألّا يفكّه حتّى يحفظ القرآنَ ، فما فكّه حتّى حفظه .

(١) في د « أقرئه » والمعنى عليه يستقيم أيضاً .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَنِ اتَّجَرَ بغيرِ فقهٍ فقدِ ارتطَمَ في الرِّبا .

• • •

الشرح :

يقول : تجَرَ فلانٌ واتّجر فهو تاجر ، والجمع تَجْرٌ ، مثل صاحب وصَحْب ، والتجارة والتَّجْر بمعنى واحد : إذا أحدَثتهما مصدرَيْن لاتَّجَر ، وأرض مَتْجَرةٌ : يُتَّجر فيها .

وارتطم فلانٌ في الوَحْل والأمر إذا ارتبكت فيه ولم تقدر على الخروج منه ، وإنّما قال عليه السلام ذلك لأنّ مسائلَ الرِّبا مُشْتَبِهة بمسائل البَيْع ، ولا يَفرُق بينهما إلّا الفقيه حتى إنّ العظماء من الفقهاء قد اشتَبَه عليهم الأمرُ فيها فاختلفوا فيها أشدّ اختلاف ؛ كبَيْع لحم البقر بالغنم متفاضلا ، هل يجوز أم لا ؟ وكذلك لَبَن البقر بلَبَن الغَنَم ، وجلود البَقَر بجلود الغَنَم . فقال أبو حنيفة : اللحوم والألبان والجلودُ أجناسٌ مختلفة ، فيجوز بيعُ بعضها ببعض متفاضلا ، نظرا إلى أنّ أصولَها أجناسٌ مختلفة ، والشافعيّ لا يُجيزُ ذلك ويقول : هو رِباً ، وكذلك القول في مُدِّ عَجْوة ودرهم بمُدّ عجوة . وكذلك بَيْع الرُّطَب بالتمر متساويا كَيْلا ، كلّ ذلك يقول الشافعي : إنّه رِباً ، وأبو حنيفة يُخرِجه عن كونه رِباً ، ومسائلُ هذا الباب كثيرة .

الأصْـلُ :

وقالَ عليه السلامُ .

مَنْ عظَّمَ صِغارَ المصائبِ ؛ ابتلاهُ اللهُ بِـكِبارِها .

***

الشَّـرْحُ :

إنما كان كذلك لأنه يشكو الله ويَتسخّط قضاءه ، ويَجحد النعمة في التخفيف عنه ، ويدّعي فيما ليس مُجحِفاً به من حوادث الدهر أنه مُجحِف ، ويتألّم بين الناس ؛ فذلك أكفرته تقتضيه نكبته ، ومَن فعلَ ذلك استوجبَ السُّخطَ من الله تعالى ، وابتُلِيَ بالكثير من النكبة ، وإنما الواجب على من وقع في أمرٍ يشقّ عليه ، ويتألّم منه ويَنال من نفسه ، أو من ماله نَيْلاً ما ، أن يحمد الله تعالى على ذلك ، ويقول : لعلّه قد دَفَع عنّي بهذا ما هو أعظمَ منه ، ولئن كان قد ذهب من مالي جزء فلقد بقيَ أجزاء كثيرة .

وقال عروةُ بنُ الزبير لما وقَعت الأكِلة في رِجْله فقطعها ومات ابنُه : اللّهمَّ إنّك أخـذتَ عضوا وتركتَ أعضاء ، وأخذتَ ابنا وتركتَ أبناء ، فليَهْنِك ؛ لئن كنتَ أخذْتَ لقد أبقيت ، ولئن كنتَ ابتلَيْتَ لقد عافَيْتَ .

(٤٥٥)

الأصـلُ :

وقالَ عليهِ السلَامُ :

مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ ، هانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ .

***

الشـرحُ :

قد تقدم مثلُ هذا المعنى مِراراً ، ومن الكلام المشهور بين العامة : قبح الله أمراً تغلِب شهوتُه على نخوته .

والجيِّد النادر في هذا قولُ الشاعر :

فإنكَ إنْ أعطيْتَ بطنَـكَ سُؤْلَهُ ... وفرْجَك نالَا مُنتهى الذَّمِّ أجمعا[1]

(١) لحاتم الطائي ، ديوانه ١١٤

الأصــلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ .

ما مَزَحَ امرؤٌ مَزْحَةً ، إلاّ مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً .

***

الشــرحُ :

قد تقدَّم القولُ في المزاح

وكان يقال : خيرُ المزاحِ لا يُنال ، وشرُّه لا يُقال .

وقيل : إنّما سُمِّيَ المزاحُ مِزاحاً لأنه أُزيحَ عن الحقّ .

الأصلُ:

وقال عليهِ السلامُ:

زُهْدُكَ في رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ، ورَغْبَتُكَ في زاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ

***

الشرحُ:

أي نقصانُ حظٍّ لك، وذلك لأنه ليس مِن حق مَن رَغِبَ فيك أن تزهد فيه لأنّ الإحسان لا يُكافأ بالإساءة، وللقصد حُرْمة، وللآمل ذِمام، ومن طلب مودّتك فقد قَصَدك، وأمَّلك، فلا يجوزُ رفضُه واطِّراحُه والزُّهدُ فيه، وإذا زَهدت فيه فذلك لنُقصانِ حظّك لا لنُقْصان حظّه، فأمّا رَغْبتُك في زاهدٍ فيك فذلّة، لأنك تطرح نفسَك لمن لا يعبأ بك، وهذا ذُلٌّ وصَغار.

وقال العباسُ بنُ الأحنفِ في نسيبه، وكان جيّدَ النَّسيب:

مازلتُ أزهدُ في مودّة راغبٍ	حتّى ابْتُليتُ برَغْبةٍ في زاهِدِ
هذا هو الداءُ الذي ضاقت به	حِيَلُ الطبيب وطال يأسُ العائِدِ

أي مازلتُ عزيزًا حتّى أذلّني الحبّ:

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مازالَ الزُّبَيْرُ رَجُلاً منَّا أهْلَ البَيْتِ حَتَّى نَشأَ ابنُهُ المَشْئُومُ عَبْدُ اللهِ .

* * *

الشَّرْحُ :

ذكر هذا الكلامَ أبو عُمَرَ بنُ عبد البر في كتاب " الاستيعاب " عن أميرِ المؤمنين عليه السلام في عبد الله بن الزبير، إلا أنه لم يذكر لفظة المشئوم .

* * *

[عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره]

ونحن نذكر ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن الزبير ، فإنّ هذا المصنِّف يذكر مُجَمَل أحوالِ الرّجل دون تفصيلها ، ثمّ نذكر تفصيل أحواله من مواضعَ أخرى .

قال أبو عمرَ رحمه الله : يُكنى[1] عبدُ الله بن الزبير أبا بكر ، وقال بعضُهم : أبا بكير ، ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم الحافظ في كتابه في الكُنَى . والجمهور من أهل السِّيَر وأهلِ الأثر على أنّ كُنيتَه أبو بكر ، وله كنيةٌ أخرى أبو خُبَيْب بابنه خُبَيب

(١) الاستيعاب ٩٠٤ وما بعدها ، طبعة نهضة مصر

وكان أسنّ ولده، وخُبَيب هو صاحبُ عمر بن عبدِ العزيز الذي مات من ضربه إذ كان والياً على المدينة للوليد، وكان الوليدُ أمَره بضربه فمات من أذيّة ذلك فوَداه عمرُ بعدُ.

قال أبو عمر: (١) وسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله باسم جدّه، وكنّاه بكُنية جدّه عبدِ الله أبي بكر (١)، وهاجرت أمّه أسماء من مكّة إلى المدينة وهي حاملٌ به، فولدته في سنة اثنتين من الهجرة لعشرين شهراً من التاريخ، وقيل: وُلد في السنة الأولى، وهو أوّل مولود وُلد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة.

وروى هشام بنُ عروة عن أسماء قالت: حملتُ بعبد الله بمكّة، فخرجتُ وأنا مُتِمّ (٢) فأتيتُ المدينة فنزلتُ قباء، فولدته بقباء، ثم أتيتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله فوضعته في حجره، فدعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أوّل شيء دخل جوفه ريقُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله، ثمّ حنّكه بالتمرة، ثم دعا له وبارك عليه وهو أوّل مولود وُلد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة، قال: ففرحوا به فرحاً شديداً، وذلك أنّهم قد كان قيل لهم: إنّ اليهود قد سحرتكم فلا يُولد لكم.

قال أبو عمر: وشهد عبدُ الله الجمل مع أبيه وخالته، وكان شهماً ذكراً ذا أنفة، وكان له لَسَنٌ وفصاحة، وكان أطلسَ لا لحية له ولا شعرَ في وجهه، وكان كثيرَ الصلاة، كثيرَ الصيام، شديدَ البأس، كريمَ الجدّات والأمّهات والخالات، إلّا أنه كان فيه خلال لا تصلُح معها الخلافة، فإنّه كان بخيلاً ضيّق العطَن سيّء الخلق حسوداً، كثيرَ الخلاف، أخرجَ محمّدَ بنَ الحنفيّة من مكّة والمدينة، ونفى عبدَ الله ابنَ عبّاس إلى الطائف.

(١ ـ ١) عبارة الاستيعاب: « وكنّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم جدّه أبي أمّه أبي بكر الصديق، وسمّاه باسمه ».
(٢) المتم: التي أكملت مدة حملها.

وقال علىٌّ عليه السلام فى أمره : مازال الزبير يُعَدّ منّا أهلَ البيت حتى نشأ ابنه عبدُ الله . قال أبو عمر : وبُويع له بالخلافة سنةَ أربع وستين فى قول أبى مَعشر .

وقال المدائنىّ : بُويع له بالخلافة سنةَ خمسٍ وستين .

وكان قبلَ ذلك لا يدّعى باسم الخلافة ، وكانت بَيعته بعد موتِ معاوية بن يزيدَ ابن معاوية ، على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخُراسانَ ، وحجّ بالناس ثمانىَ حِجَج ، وقُتل فى أيام عبد الملك بن مَرْوان يوم الثلاثاء لثلاثِ عشرة بقين من جُمادى الأولى ؛ وقيل : من جُمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وسبعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنةً ؛ وصُلب بمكّة بعد قتله ، وكان الحجّاج قد ابتدأ بحصاره من أول ليلة من ذى الحجّة سنة اثنتين وسبعين ، وحجّ الحجّاج بالناس فى ذلك العام ، ووَقف بعرفة وعليه درْع ومِغْفر ، ولم يَطُوفوا بالبيتِ فى تلك السنة ، فحصره ستة أشهر وسبعة عشرَ يوما إلى أن قتَله .

قال أبو عمر : فروى هشامُ بنُ عروة عن أبيه ، قال : لمّا كان قبلَ قتْل عبد الله بعشرة أيام دخَل على أمّه أسماء بنت أبى بكر وهى شاكية ، فقال : كيف تجدينَك يا أمّه ؟ قالت : ما أجدُنى إلا شاكية . فقال لها : إنّ فى الموت لراحة ؛ فقالت : لعلّك تمنّيته لى ، وما أحبّ أن أموتَ حتى يأتىَ علىّ إحدى حالتَيْك ، إمّا قُتلتَ فأحتسبَك ، وإما ظَفِرتَ بعدوِّك فقرّت عَيْنى .

قال عروة : فالتفتَ عبدُ الله إلىّ وضَحِك ، فلمّا كان اليوم الذى قُتِل فيه دَخل عليها فى المسجد ، فقالت : يا بُنىّ لا تقبل منهم خُطّة تخاف فيها على نفسك الذّلّ [مخافة القتل](١) ؛ فوالله لضَرْبة سيفٍ فى عِزٍّ خيرٌ من ضربةِ سَوْطٍ فى مَذلّة ، قال : فخرج

---

(١) من د

عبدُ الله وقد نُصِب له مِصراعٌ عند الكعبة ، فكان يكون تحته ، فأتاه رجلٌ من قريش فقال له : ألا نفتح لك باب الكعبة فتدخلها ؟ فقال : والله لو وجدوكم تحت أستارِ الكعبة لقتلوكم عن آخركم ، وهل حُرمةُ بيتٍ إلا كحرمة الحرَم ، ثم أنشد :

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسُبّةٍ ولا مُرتقٍ مِن خشيةِ الموت سُلَّما

ثم شدّ عليه أصحابُ الحجاج ، فسأل عنهم ، فقيل : هؤلاء أهلُ مصر ، فقال لأصحابه : اكسروا أغمادَ سيوفكم ، واحملوا معي ، فإني في الرّعيل الأول ، ففعلوا ، ثم حمل عليهم وحملوا عليه ، فكان يضرب بسيفين ، فلحق رجلا فضربه فقطع يده ، وانهزموا وجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد ، وجعل رجلٌ منهم أسودُ يسبّه ، فقال له : اصبر يا ابن حام ، ثم حمل عليه فصرعه ، ثم دخل عليه أهلُ حمص من باب بني شيبة فسأل عنهم ، فقيل : هؤلاء أهلُ حمص ، فشدّ عليهم وجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم انصرف وهو يقول :

لو كان قِرْني واحداً أرديتُه أوردتُه الموتَ وقد ذكّيتُه

ثم دخل عليه أهلُ الأرْدُنّ من باب آخر ، فقال : مَن هؤلاء ؟ قيل : أهلُ الأرْدُنّ ، فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم انصرف وهو يقول :

لا عهد لي بغارةٍ مِثل السَّيلْ لا ينجلي قَتامُها حتى اللَّيلْ

فأقبل عليه حجَرٌ من ناحية الصَّفا فضربه بين عينيه ، فنكّس رأسه وهو يقول :

ولسنا على الأعقاب تَدمَى كُلومُنا ولكنْ على أقدامِنا تقطرُ الدّما[1]

---

(١) الحصين بن الحمام المري من المفضلية ١٢

أنشدَه متمثِّلا ، وحَمَاه مَوْلَيان له ، فكان أحدهما يرتجز فيقول :

* العبـدُ يحمي ربَّه ويحتمي *

قال : ثمّ اجتمعوا عليه ، فلم يزالوا يضربونه ويضربُهم حتى قتلوه ومولييْه جميعا ، ولمّا قُتِل كبَّر أهلُ الشام ، فقال عبد الله بن عمر : المكبِّرون يومَ وُلِد خيرٌ من المكبِّرين يوم قُتل .

قال أبو عمر : وقال يعلى بنُ حَرْملة : دخلتُ مكّة بعد ما قُتِل عبدُ الله بنُ الزّبير ثلاثةِ أيام ، فإذا هو مصلوب ، فجاءت أمّه أسماء ، وكانت امرأةً عجوزاً طويلة مكفوفة البَصَر تقاد ، فقالت للحجّاج : أما آن لهذا الراكب أن ينزل ؟ فقال لها : المنافق ؟! قالت : والله ما كان منافقا ، ولكنه كان صَوّاما قوّاما بَرّا ، قال : انصرفي فإنك عجوز قد خَرِفْتِ . قالت : لا والله ما خَرِفْتُ ، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « يخرجُ من ثقيف كذّاب ومبير[1] » ، أمّا الكذّاب فقد رأيناه ـ تعني المختار ـ وأما المُبِير فأنت .

قال أبو عمر : ورَوَى سعيد بنُ عامر الخزّاز عن ابن أبي مُليكة ، قال : كنت الآذن لمن بشّر أسماء بنزول ابنها عبد الله من الخشبة ، فدعتْ بمِرْكَن[2] وشبٍّ يمانٍ ، فأمرتني بغسله ، فكنا لا نتناول منه عضوا إلا جاء معنا ، فكنا نغسل العضو ونضعه في أكفانه ونتناول العضو الذي يليه فنغسله ، ثم نضعه في أكفانه ، حتى فرغنا منه ، ثمّ قامت فصلّت عليه ، وقد كانت تقول : اللّهم لا تمتني حتى تقرّ عيني بجثته ، فلما دفنته لم يأت عليها جمعة حتى ماتت .

قال أبو عمر : وقد كان عُروة بنُ الزبير رَحَلَ إلى عبد الملك ، فرَغِب إليه في إنزال عبد الله من الخشبة ، فأسعفه بذلك ، فأنزل .

---

(١) المبير : المهلك (٢) المركن : الإناء

قال أبو عمر : وقال علىّ بن مجاهد : قُتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلا ، إنّ منهم لَمَنْ سالَ دمُه فى جوف الكعبة .

قال أبو عمر : ورَوَى عيسى عن أبى القاسم ، عن مالك بن أنس ، قال : كان ابن الزبير أفضل من مَرْوان وأولَى بالأمر منه ومن أبيه ، قال وقد روَى علىّ بنُ المَدائنىّ ، عن سُفيان بن عُيينة ، أن عامر بن عبد الله بن الزبير مكث بعد قتل أبيه حَوْلا لا يسأل الله لنفسه شيئاً إلا الدعاء لأبيه .

قال أبو عمر : ورَوَى إسماعيل بن علية ، عن أبى سُفيان بن العَلاء ، عن ابن أبى عَتيق ، قال : قالت عائشةُ : إذا مَرّ ابنُ عمرَ فأرُونيه ، فلما مَرّ قالوا : هذا ابنُ عمر فقالت : يا أبا عبد الرحمن ، ما منَعك أن تنهانى عن مَسيرى ؟ قال : رأيتُ رجلا قد غَلَب عليكِ ، ورأيتكِ لا تُخالفينه ــ يعنى عبد الله بن الزبير ــ فقالت : أمَا إنك لو نهيتَنى ما خرجتُ .

* * *

فأما الزبير بن بكار فإنه ذكر فى كتاب " أنساب قريش " من أخبار عبد الله وأحواله جملة طويلة نحن نختصرها ، ونذكر اللُّباب منها ، مع أنه قد أطنب فى ذكر فضائله والثناء عليه ، وهو معذور فى ذلك ، فإنه لا يلام الرجل على حب قومه ، والزبير بن بكار أحدُ أولاد عبد الله بن الزبير ، فهو أحقّ بتقريظه وتأبينه .

قال الزبير بن بكار : أمه أسماء ذات النِّطاقين ابنة أبى بكر الصِّدِّيق ، وإنما سُمّيتْ ذاتَ النِّطاقين لأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر ، لم يكن لسفرتهما شِناق[1] ، فشقّت أسماء نطاقها فشَنَقَتْها به ، فقال لها رسول الله

---

(١) الشناق : الحبل .

صلى الله عليه وآله : قد أبدلكِ اللهُ بنطاقكِ هذا نطاقين في الجنة ، فسُمِّيتْ ذاتَ النِّطاقين . قال : وقد روى محمد بنُ الضحاك عن أبيه أن أهل الشام كانوا وهم يقاتلون عبد الله بمكة يصيحون : يابن ذات النِّطاقين ، يظنونه عيبًا ، فيقول ابنها : والإله ، ثم يقول : إني وإياكم لكما قال أبو ذؤيب :

وعـــيَّرني الواشُونَ أنّي أحبُّها وتلكَ شَكاةٌ ظاهرٌ عنكَ عارُها [1]

فإنْ أعتذرْ عنهـــا فإنّي مكذَّبٌ وإنْ تَعتذر يُرْدَدْ عليكَ اعتذارُها

ثمّ يُقبِل على ابن أبي عتيق ـ وهو عبدُ الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ـ فيقول : ألا تسمعُ يابنَ أبي عتيق !

قال الزبير : وزعموا أنّ عبد الله بنَ الزبير لما وُلِد أُتِيَ به رسولَ الله صلّى الله عليه وآله ، فنظر في وجهه وقال : « أهوهو ؟ ليمنعنّ البيتَ أو ليموتنّ دونه » .

وقال العُقيليّ في ذلك :

بَرٌّ تَبـــيَّنَ ماقال الرسولُ له وذو صلاةٍ بضاحي وجهه عَـــلَمُ [2]

حمامةٌ من حَمامِ البيتِ قاطنـــةٌ لا تَنْثني الناسَ إنْ جارُوا وإنْ ظلَموا

قال : وقد روى نافعُ بن ثابت ، عن محمد بن كعب القُرَظيّ ، أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله دخل على أسماء حينَ وُلد عبدُ الله فقال : أهوهو ! فتركتْ أسماء رضاعَه ، فقيل لرسول الله صلّى الله عليـه وآله : إنّ أسماء تركتْ رضاعَ عبدِ الله لما سمعتْ كلمتك ، فقال لها : « أرْضعيه ولو بماء عينَيْك ، كبشٌ بين ذئابٍ عليها ثيابٌ ، ليمنعنّ الحرَمَ أو ليموتنّ دونَه » .

قال : وحدّثني عمّي مُصعَب بن عبد الله ، قال : كان عبدُ الله بنُ الزبير يقول : هاجرتْ بي أمّي في بطنها ، فما أصابها شيءٌ من نصَب أو مخمصة [3] إلّا وقد أصابني .

---

(١) ديوان الهذليين ١ : ٢١ ، قال : ظاهر عنك ، أي لا يس بك ، أي يظهر عنك ويبعد.
(٢) رواية « « « « يريغني ذكر ما قال الرسول له (٣) المخمصة : الجوع

قال: وقالت عائشةُ : يارسولَ الله ، ألا تُكَنِّيني ؟ فقال : تَكنَّيْ باسم ابنِ أختِك عبد الله ، فكانت تُكنَى أمّ عبدِ الله .

قال : وروى عبدُ بن القاسم ، عن عامر بن عبد الله بن الزّبير ، عن أبيه ، قال : احتجمَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ، ثمّ دفَعَ إليّ دمه ، فقال : اذهب به فوَارِه حيث لا يَراه أحد ، فذهبتُ به فشرِبْتُه ، فلمّا رجعتُ قال : ماصنعت ؟ قلتُ : جعلتُه في مكان أظنّ أنّه أخفَى مكانٍ عن الناس ، فقال : فلعلك شربته ؟ قلتُ : نعم .

قال : وقال وَهْب بنُ كَيْسان : أوّلُ من صفّ رجليه في الصّلاة عبدُ الله بن الزبير فاقتدَى به كثيرٌ من العباد ، وكان مجتهدا .

قال : وخطب الحجّاج بعد قتله زوجة[1] بنت مَنْظور بن زَبّان بن سَيّار الفَزارية ، وهي أمّ هاشم بن عبد الله بن الزبير ، فقطعت ثَنِيّتيها وردّته ، وقالت : ماذا يريدُ إلى دَلْفاء ثَكْلَى حَرّى ! وقالت :

أسعد عائذ بيت الله تخطبني	جهلاً جهلت وغِبّ الجهل مذمومُ
فاذهب إليك فإني غيرُ ناكحة	بعد ابن أسماء ما استنّ الدّياميمُ
من يحمل الغيرَ مُصفَرًّا جحافلُه	مِثْل الخُواد وفضل الله مقسومُ !

قال : وحدّثني عبدُ الملك بنُ عبد العزيز ، عن خاله يوسف بن الماجشون ، قال : قسمَ عبدُ الله بنُ الزّبير الدهرَ على ثلاث ليال : فليلة هو قائم حتّى الصباح ، وليلة هو راكع حتّى الصباح ، وليلة هو ساجد حتّى الصباح .

قال : وحدّثنا سليمان بنُ حَرْب بإسنادٍ ذكره ورفعه إلى مُسلِم المكّي ، قال: ركع عبدُ الله بنُ الزبير يوماً ركعةً ، فقرأتُ البقرة وآلَ عمران والنساء والمائدة ، ومارفع رأسه .

---

(١) صححت في ط : زوجته .

قال : وقد حدّث من لا أحصيه كثرةً من أصحابنا: أنّ عبدَ الله كان يواصِل الصّوم سَبْعا ، يصومُ يومَ الجمعة فلا يُفطِر إلّا يومَ الجمعة الآخر ، ويَصُوم بالمدينة فلا يُفطِر إلا بمكّة ، ويصوم بمكّة فلا يُفطِر إلّا بالمدينة .

قال : وقال عبد الملك بنُ عبد العزيز : وكان أوّل ما يُفطِر عليه إذا أفطرَ لبَن لَقْحة بسَمْن بَقَر ، قال الزبير : وزادَ غيرُه : وصبِر .

قال : وحدّثني يعقوب ابنُ محمّد بن عيسى بإسنادٍ رَفَعه إلى عُرْوَة بن الزّبير ، قال : لم يكن أحـدٌ أحبَّ إلى عائشةَ بعد رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وبعد أبي بكر من عبدِ الله بن الزّبير .

قال : وحدّثني يعقوبُ بنُ محمّد بإسنادٍ رفعه إلى عبدِ الرحمن بنِ القاسم ، عن أبيه قال : ما كان أحدٌ أعلمَ بالمناسِك من ابن الزبير .

قال : وحـدّثني مُصعب بنُ عثمان ، قال : أوصتْ عائشةُ إلى عبدِ الله بن الزبير وأوصَى إليه حكيمُ بنُ حِزام وعبدُ الله بنُ عامر بن كُرَيز والأسودُ بن أبي البَخْتريّ وشَيبة بنُ عثمان والأسودُ بنُ عوف .

قال الزبير : وحدّث عمرُ بنُ قيس ، عن أمّه قالت : دخلتُ على عبد الله بنِ الزّبير بيتَه ، فإذا هو قائمٌ يصلّي ، فسقطتْ حيّة من البيت على ابنه هاشم بنِ عبد الله فتطوّقت[1] على بطنِه وهو نائمٌ ، فصاحَ أهلُ البيت : الحيّة الحيّة ، ولم يزالوا بها حتّى قتلوها وعبدُ الله قائمٌ يصلّي ما التفت ولا عجِل ، ثمّ فرَغ من صلاته بعد ما قُتِلت الحيّة فقـال : ما بالكم ؟ فقالت أمّ هاشم : إي رحِمَك الله ، أرأيتَ إنْ كنّا هُنّا عليك أيهُون عليك ابنُك ! قال : وَيْحَكِ ! وما كانت التِفاتةٌ لو التفتُّها مُبقيةً من صلاتي .

(١) ا ، د ، هـ « فتطوقتا » والمثبت عليه يستقيم .

قال الزبير : وعبدُ الله أوّلُ من كسا الكعبةَ الدّيباج ، وإن كان ليُطَيِّبها حتى يَجد ريحَها من دخَل الحَرَم . قال : ولم تكن كِسْوة الكعبة من قبله إلّا المُسوح (١) والأنطاع ، فلمّا جرّد المهديّ بنُ المنصور الكعبة ، كان فيما نَزَع عنها كِسْوة من ديباج مكتوب عليها : لعبد الله أبي بكر أمير المؤمنين . قال : وحدّثني يحيى بنُ معين بإسناد رَفَعه إلى هشام بن عروة ، أنّ عبدَ الله بنَ الزبير أُخِذ من بين القتلى يومَ الجمل وبه بِضعٌ وأربعون طَعْنةً وضَرْبة . قال الزبير : واعتلّت عائشةُ مرّةً ، فدخل عليها بنو أختها أسماء: عبدُ الله وعروةُ والمنذر ، قال عروة : فسألناها عن حالها ، فشكَتْ إلينا نَهْكَة من عِلّتها فعزّاها عبدُ الله عن ذلك ، فأجابته بنحو قولها ، فعدّلها بالكلام ، فعادت له بالجواب ، فصمتَ وبكى ، قال عروة : فما رأينا متحاورَين من خَلْق الله أبلغَ منهما قال : ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه ، فأبهتتْ لبكائه فبكت ثم قالت : ما أحقّني منك يا بنيّ ، ما أرى . فما أعلم بعدَ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وبعد أبوَيَّ أحداً أنزل عندي منزلتَك ، قال عروة . وما سمعتُ عائشةَ وأمّي أسماء تدعُوان لأحدٍ من الخلق دعاءَهما لعبدِ الله ، قال : وقال موسى بن عقبة : قرأتُ على عامرِ بنِ عبد الله بن الزبير وصيّةَ عبدِ الله بنِ مسعود إلى الزّبير بن العوّام وإلى عبد الله بنِ الزّبير من بعده ، وأنّهما في وصيّتي في حِلّ وبِلّ (٢) .

قال : وروَى أبو الحسن المدائنيّ ، عن أبي إسحق التّميميّ ، أنّ معاويةَ سَمِع رجلاً يُنشِد :

ابنُ رُقاشٍ ماجِـدٌ سَمَيْدَعُ يأبَى فيُعطِي عن يدٍ أوْ يَمنَعُ

---

(١) المُسح : الكساء من الشعر ، وجمعه مسوح .
(٢) في د « وبَل » تصحيف . والبلّ : المباح ، قالوا : هو لك حل وبل .

فقال : ذلك عبدُ الله بنُ الزبير . وكان عبدُ الله من جُملة النفر الذين [1] أمرَهم عثمانُ بنُ عفان أن ينسخوا القرآنَ في المصاحف .

قال : وحدّثنا محمد بنُ حسن ، عن نوفل بن عُمارة ، قال سُئل سعيدُ بن المسيّب عن خطباء قريش في الجاهلية ، فقال : الأسود بن المطلب بن أسد ، وسُهيل بن عمرو . وسُئل عن خطبائهم في الإسلام ، فقال : معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبدالله ابن الزبير .

قال : وحدّثنا إبراهيمُ بنُ المنذر ، عن عثمانَ بن طلحة ، قال : كان عبدُ الله بنُ الزبير لا يُنازَع في ثلاث : شجاعة ، وعبادة ، وبلاغة .

قال الزبير : وقال هشام بن عروة : رأيتُ عبدَ الله أيامَ حصاره والحجرَ من المنجنيق يهوى حتى أقول : كاد يأخذ بلحيته ، فقال له أبى : أيْ ابن أمّ ، والله إنْ كادَ ليأخذُ بلحيتك ، فقال عبدُ الله : دعْني يا ابنَ أم ، فوالله ما هي إلا هنةٌ حتى كأنّ الإنسانَ لم يكن ، فيقول أبى وهو يُقبل علينا بوجهه : والله ما أخشى عليك إلّا من تلك الهنة .

قال الزبير : فذكّر هشامٌ ، قال : والله لقد رأيتُه يُرْمَى بالمنجنيق فلا يلتفت ولا يُرعَد صوتُه ؛ وربما مرّت الشظية منه قريباً من نحره .

وقال الزبير : وحدّثنا ابنُ الماجشون ، عن ابن أبي مُليكة عن أبيه قال : كنتُ أطوفُ بالبيت مع عمرَ بن عبد العزيز ، فلما بلغتُ الملتزم تخلّفتُ عنده أدعو ثم لحقتُ عمر ، فقال لي : ما حبسك ؟ قال : كنتُ أدعو في موضع رأيتُ عبدَ الله بنَ الزبير فيه يدعو ، فقال : ما تترك تحنّنك على ابن الزبير أبدًا ! فقلتُ : والله ما رأيتُ

---

(١) ب : « التي » .

أحداً أشدّ جلداً على لحم، ولحماً على عظم من ابن الزبير؛ ولا رأيتُ أحداً أثبتَ قائماً، ولا أحسنَ مصلّياً من ابن الزبير، ولقد رأيتُ حجَراً من المنجنيق جاء فأصابَ شُرْفةً من المسجد، فمرّت قُذاذة منها بين لحيته[1] وحلقه، فلم يزُل من مقامه، ولا عرفنا ذلك في صوته، فقال عمر: لا إله إلا الله، لجاد ما وصفتَ!

قال الزبير: وسمعتُ إسماعيلَ بنَ يعقوبَ التيميَّ يحدّث، قال: قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مُليكة: صِفْ لنا عبدَ الله بنَ الزبير، فإنّه ترمْرَم على أصحابنا فتغشمروا عليه، فقال: عن أيّ حاليه تسأل؟ أعن دينه، أم عن دُنياه؟ فقال: عن كلٍّ، قال: والله ما رأيتُ جِلداً قطّ رُكِّب على لحم ولا لحماً على عصَب، ولا عصَباً على عظم، مِثل جلده على لحمه ولا مثل لحمه على عصَبه، ولا مثل عصبه على عظمه؛ ولا رأيتُ نفساً ركبت بين جنبين مثل نفسٍ له ركبت بين جنبين، ولقد قام يوماً إلى الصلاة، فمرّ به حجرٌ من حجارة المنجنيق؛ بلبنة مطبوخة من شُرُفات المسجد، فمرّت بين لحييه وصدره، فوالله ما خشع لها بصرُه، ولا قطع لها قراءته، ولا ركع دونَ الركوع الذي كان يركع، ولقد كان إذا دخل في الصلاة خرج من كلّ شيء إليها؛ ولقد كان يركعُ في الصلاة فيقع الرّخَم على ظهره ويسجد فكأنّه مطروح.

قال الزّبير: وحدّث هشامُ بنُ عُروة، قال: سمعتُ عمّي، يقول: ما أبالي إذا وجدتُ ثلثمائة يصبرون صبْري، لو أجلب عليّ أهلُ الأرض.

قال الزبير: وقسم عبدُ الله بن الزبير ثُلُثَ ماله وهو حيّ؛ وكان أبوه الزّبير قد أوصَى أيضاً بثُلُث ماله. قال: وابنُ الزبير أحد الرهط الخمسة الذين وقع اتفاق أبي موسى الأشعريّ وعمرو بن العاص على إحضارهم، والاستشارة بهم في يوم التحكيم

---

(١) في د: «لحييه».

وهم : عبدُ الله بن الزبير، وعبدُ الله بن عمرو ، وأبو الجهم بن حُذيفة ، وجُبير بن مُطْعِم ، وعبدالرحمن ابن الحارث بن هشام .

قال الزبير : وعبدُ الله هو الذى صلّى بالناس بالبَصرة لمّا ظَهر طَلْحة والزّبير على عثمانَ بن حُنيف بأمرٍ منهما له . قال : وأعطَت عائشةُ من بَشّرها بأنّ عبد الله لم يُقتَل يومَ الجمَل عشرةَ آلافِ درهم .

قلتُ : الذى يَغلِبُ على ظنّى أنّ ذلك كان يوم إفريقيّة ، لأنّها يومَ الجمل كانت فى شُغل بنفسها عن عبدِ الله وغيره .

قال الزبير : وحدّثنى علىُّ بنُ صالح مرفوعًا أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله كلّم فى صِبْية ترعرعوا ، منهم عبدُ الله بنُ جعفر ، وعبدُ الله بن الزبير ، وعُمَر بن أبى سَلَمَة ، فقيل : يارسُولَ الله ، لو بايعتَهم فتصيبَهم بركتُك ، ويكونَ لهم ذِكْر ! فأتى بهم فكأنّهم تكعكعوا حين جىء بهم إليه ، واقتحم ابنُ الزبير ، فتبسّم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ، وقال : إنه ابنُ أبيه ! وبايعهم .

قال : وسُئل رأسُ الجالوتِ ما عندكم من الفِراسة فى الصّبيان ؟ فقال : ما عندنا فيهم شىء ، لأنهم يُخلَقون خَلْقًا بعد خَلْق؛ غير أنّا نَرمُقهم ، فإنْ سَمِعنا منهم من يقول فى لَعِبه: من يكون معى ؟ رأيناها همّة وحَنْوَ صدق فيه ، وإن سمعناه يقول : مع مَن أكون ؟ كرهناها منه . قال : فكان أوّلَ شىء سُمِع من عبدِ الله بنِ الزبير أنّه كان ذاتَ يوم يَلْعَب مع الصّبيان ، فمرّ رجلٌ ، فصاح عليهم، ففرّوا ، ومشى ابنُ الزبير القهقرى ، ثم قال: ياصِبْيان؛ اجعلونى أميرَكم ، وشُدّوا بنا عليه . قال: ومرّ به عمرُ بنُ الخطّاب وهو مع الصّبيان ، ففرّوا ووقف ، فقال له[1] لِمَ لَمْ تفرّ مع أصحابك ؟ فقال : لم أجرِم فأخافَك، ولم تكن الطّريقُ ضيّقةً فأوسّعَ عليك !

وروَى الزّبيرُ بنُ بكّار، أنّ عبدَ الله بن سَعْد بن أبى سَرْح غزا إفريقيّة فى خلافة

---

(١) فى د « فقال له عمر » ؛ وهو مستقيم أيضا

عثمان ، فقتل عبدُ الله بنُ الزبير جرجيرَ أميرَ جيش الرُّوم ، فقال ابنُ أبي سَرْح : إنّي موجِّه بشيراً إلى أمير المؤمنين بما فتح علينا ، وأنتَ أوْلى مَن هاهنا ، فانطَلِقْ إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر ، قال عبدُ الله : فلمّا قدمتُ على عثمان أخبرته بفتح الله وصُنعه ونصره ، ووصفتُ له أمرَنا كيف كان ، فلمّا فرغت من كلامي قال : هل تستطيعُ أن تؤدِّيَ هذا إلى الناس ؟ قلت : وما يمنعني من ذلك ! قال : فاخرج إلى النّاس فأخبرْهم قال عبد الله : فخرجتُ حتى جئتُ المنبر فاستقبلتُ الناسَ ، فتلقّاني وجهُ أبي ، فدخلتْني له هَيْبة عرَفها أبي في وَجْهي ، فقبَض قبضةً من حَصْباء وجمعَ وجهَهُ في وجهي وهمّ أن يحصِبَني فاعْتزَمْتُ ، فتكلّمتُ

فزعموا أنّ الزبير لما فرَغ عبدُ الله من كلامه قال : والله لكأنّي أسمع كلامَ أبي بكر الصِّدّيق : من أراد أن يتزوّج امرأةً فلينظرْ إلى أبيها وأخيها فإنّها تأتيه بأحدِهما .

قال الزبير : ويُلقَّب عبدُ الله عائذَ البيت ، لاستعاذته به .

قال : وحدّثني عمّي مُصعب بنُ عبد الله ، قال : إنّ الذي دعا عبدَ الله إلى التعوّذ بالبيت شيءٌ سمِعه من أبيه حين سار من مكّة إلى البصرة ، فإنّ الزبير التفتَ إلى الكعبة بعد أن ودّع وتوجّه يريدُ الركوب ، فأقبَل على ابنه عبدِ الله ، وقال : تالله ما رأيتُ مثلَها لطالب رَغْبة أو خائف رَهْبة .

وروى الزّبير بنُ بكّار ، قال : كان سبب تعوّذ ابن الزّبير بالكعبة أنه كان يمشي بعد عَتَمة في بعض شوارع المدينة ؛ إذ لقي عبد الله بنَ سعد بن أبي سَرْح متلثّماً لا يبدُو منه إلّا عيناه . قال : فأخذتُ بيدِه وقلتُ : ابنُ أبي سَرْح ! كيف كنتَ بعدي ؟ وكيفَ تركتَ أميرَ المؤمنين ؟ يعني معاويةَ ــ وقد كان ابنُ أبي سرْح عندَه بالشام ــ فلم يكلّمني ، فقلت : مالك ؟ أمات أميرُ المؤمنين ؟ فلم يكلّمني ، فتركتُه وقد أثبتُّ معرفتَه ، ثم خرجتُ حتّى لقيتُ الحسينَ بنَ عليّ رضي الله عنه ، فأخبرتُه خبرَه ، وقلتُ : ستأتيك رُسُل الوليد ، وكان الأميرُ على المدينة الوليد بن عُتْبة بن

بن سُفيان ؛ فانظر ما أنتَ صانع ! واعلم أنّ رَواحِلي في الدّار مُعدّة، والمَوْعِد بيني وبينك أنْ تغفل عنّا عيونهم ، ثمّ فارقته فلم ألبثْ أن أتاني رسولُ الوليد ، فجئتُه فوجدتُ الحسينَ عنـدَه ، ووجدتُ عنده مَروانَ بنَ الحَكَم ، فنَعَى إليّ معاوية ؛ فاسترجعت فأقبل عليّ، وقال : هلمّ إلى بيْعة يزيدَ ، فقد كتب إلينا يأمُرُنا أن نأخذَها عليك ! فقلت : إنّي قد علمتُ أنّ في نفسه عليّ شيئاً لِترْكي بيعتَه في حياة أبيه ، وإن بايعتُ له على هـذه الحال توهَّمَ أنّي مُكرَه على البَيعة ، فلم يقَعْ منه ذلك بحيث أريد ولـكن أصبِح ويَجتمع الناس ، ويكون ذلك علانية إن شاء الله ؛ فنظر الوليد إلى مَرْوان فقال مَرْوان: هو الذي قلتُ لك؛ إنْ يخرج لم تَرَه . فأحببتُ أنْ ألقي بيني وبين مَرْوان شَرّا نتشاغل به ، فقلتُ له : وما أنتَ وذاكَ يابنَ الزّرقاء ! فقال لي ، وقلتُ له ، حتى تواثبْنا ، فتناصيتُ أنا وهو ، وقام الوليد يحجِز بيننا ، فقال مروان : أتحجُز بيننا بنفسك ، وتدع أن تأمر أعوانَك ! فقال : قد أرى ماتُريد ، ولـكن لا أتولّى ذلك منه والله أبداً، اذهب يابنَ الزّبير حيثُ شئتَ ؛ قال : فأخذتُ بيدِ الحسين،وخرجنا من الباب حتى صِرْنا إلى المَسْجِد وأنا أقول :

ولا تحسبنّي يا مُسافِرُ شَحمـــةً   تعجّلها من جانب القِدْرِ جائعُ

فلما دخل المسجدَ افترَق هو والحسين ، وعَمَدَ كلّ واحـد منهما إلى مُصلاه يُصلّي فيـه ، وجعلَت الرسلُ تختلف إليهما ، يَسمَع وَقْع أقدامِهم في الحصْباء حتى هَدأ عنهما الحِسّ ، ثمّ انصرفا إلى منازلهما، فأتى ابن الزبير رواحله ، فقعد عليها ، وخرج من أدبارِ داره ، ووافاه الحسينُ بن عليّ ، فخرجا جميعاً من ليلتهم ، وسلكوا طريقَ الفُرْع حتى مرّوا بالجثجاثة وبها جعفر بنُ الزبير قد أزرعها ، وغمز عليهم بعيرٌ من إبلهم فانتهَوْا إلى جعفر ، فلما رآهم قال : مات معاويةُ ؟ فقـال عبدُ الله : نعَم ، انطلِقْ

معنا وأعطنا أحد حمَلَيك ـ وكان يصيح على جمايل له ـ فقال جعفر متمثّلا :

إخوتي لا تبعدوا أبداً وبلى واللهِ قد بعدوا

قال عبدُ الله ـ وتطيّر منها : بعيث التراب. فخرجوا جميعا حتى قدموا مكّة ، قال الزبير : فأمّا الحسين عليه السلام فإنّه خرج من مكّة يومَ التَّرْوِية يطلب الكوفة والعراق ، وقد كان قال لعبد الله بن الزبير : قد أتتنى بيعةُ أربعين ألفا يحلفون لى بالطلاق والعِتاق من أهل العراق ، فقال : أتخرُج إلى قوم قتلوا أباك وخذلوا أخاك !

قال : وبعضُ الناس يزعم أن [(١)] عبدَ الله بنَ عباس هو الذى قال للحسين ذلك.

قال الزبير : وقال هشام بن عُروة : كان أوّل ما أفصح به عمّى عبد الله وهو صغير : السيف ، فكان لا يضعُه من فيه ، وكان أبوه الزبير إذا سمع منه ذلك يقول : أما والله ليكوننّ لك منه يومٌ ويومٌ وأيّام !

* * *

فأما خبرُ مقتل عبد الله بن الزبير فنحن نوردُه من تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبريّ رحمه الله . قال أبو جعفر : حصَر [(٢)] الحجّاجُ عبدَ الله بنَ الزبير ثمانيةَ أشهر ، فروَى إسحاق بنُ يحيى عن يوسف بن ماهك، قال : رأيتُ منجنيق أهل الشام يُرمَى به فرعَدتِ السماء وبرَقتْ ، وعلا صوتُ الرعد على صوت المنجنيق ، فأعظمَ أهلُ الشام ما سمعوه ، فأمسكوا أيديهم، فرفَع الحجّاج بِرْكة [(٣)] قبائه، فغرزها فى منطقته ، ورفَع حجَر المنجنيق فوضَعه فيه ، ثم قال : ارموا ، ورمَى معهم ؛ قال : ثم أصبحوا فجاءت

---

(١) كذا فى د ، وفى ب : « ابن » تصحيف .
(٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٨٤٤ ، وما بعدها (طبعة أوربا) ، مع تصرف واختصار .
(٣) بركة قبائه : مقدمه .

صاعقةٌ يتبعها أخرى ، فقتلتْ من أصحاب الحجّاج اثنيْ عشرَ رجلا ؛ فأنكر أهلُ الشام فقال الحجّاج : يأهلَ الشام ، لا تنكروا هذا ، فإنّى ابنُ تِهامة ، هذه صواعقُ تِهامةَ ، هذا الفتحُ قد حضَر فأبشروا ، فإنّ القوم يُصيبُهم مِثل ما أصابَكم ، فصعقت من الغد فأصيبَ من أصحاب ابن الزبير عدّة ما أصاب الحجّاج ، فقال الحجّاج : ألا ترون أنهم يُصابُون وأنتم على الطّاعة ، وهم على خلاف الطاعة ! فلم تزلْ الحربُ بين ابنِ الزّبير والحجّاج حتّى تفرّق عامّة أصحاب ابن الزبير عنه ، وخرج عامّة أهلِ مَكّة إلى الحجّاج في الأمان .

قال : ورَوَى إسحاق بنُ عبدالله ، عن المُنذِر بن الجَهم الأسلَمِىّ ، قال : رأيتُ ابنَ الزّبير ، وقد خذَله من معه خِذْلانا شديداً ؛ وجعلوا يخرجون إلى الحجّاج ، خرج إليه منهم نحو عشرة آلاف ، وذكر أنّه كان ممّن فارَقه ، وخرج إلى الحجاج ابناه : حُبَيب وحمزة ، فأخذا من الحجاج لأنفسهما أمانا .

قال أبو جعفر : فروى محمد بن عمر ، عن ابن أبى الزّناد ، عن مَخْرمة بن سليمان الوالبيّ ، قال : دخل عبدُ الله بن الزبير على أمّه حين رأى من النّاس ما رأى من خِذْلانه ، فقال : يا أمّه ، خذَلنى النّاس حتى وَلدِى وأهلى ، ولم يَبقَ معى إلّا اليسير ممّن ليس عندَه من الدّفع أكثر من صَبْر ساعة ، والقوم يُعطونَنى ما أردتُ من الدّنيا ، فما رأيُك ؟ فقالت : أنت يا بنىّ أعلَمُ بنفسك ، إن كنتَ تعلم أنّك على حقّ وإليه تدعو فامضِ له ، فقد قُتِل عليه أصحابُك ، ولا تُمكِّن من رقَبتك يتلعّبْ بها غِلمانُ بنى أميّة ، وإن كنتَ إنّما أردتَ الدُّنيا فبئس العبدُ أنتَ ! أهلكتَ نفسك وأهلكتَ من قُتِل معك ، وإن قلتَ : قد كنتُ على حقّ فلما وَهَن أصحابى وَهَنْتُ وضعفت ، فليس هذا فعلُ الأحرار ولا أهلُ

الدِّين، وكم خُلودك في الدنيا! القتلُ أحسن! فدنا ابنُ الزبير فقبّل رأسَها، وقال: هذا والله رأيي الذي قمتُ به داعياً إلى يومي هذا، وما ركنتُ إلى الدنيا، ولا أحببتُ الحياةَ فيها، ولم يَدْعُني إلى الخُروج إلّا الغضَب لله أن تُستَحَلَّ محارمُه [1]، ولكنّي أحببتُ أن أعلم رأيكِ، فزِدْتِني بصيرةً مع بصيرتي، فانظري يا أمّه، فإنّي مقتول من يومي هذا، فلا يَشتدَّ حُزْنُك، وسلّمي لأمر الله، فإنّ ابنكِ لم يتعمّد إتيانَ مُنكَر، ولا عَمَلاً بفاحشة، ولم يَجُرْ في حُكْم، ولم يَغدِر في أمان، ولم يتعمّد ظُلْمَ مُسلم ولا مُعاهِد، ولم يَبلغني ظلمٌ عن عُمّالي فرضيتُ به بل أنكرتُه، ولم يكن شيءٌ آثرَ عندي من رِضا ربّي. اللّهمّ إني لا أقول هذا تزكيةً منّي لنفسي، أنتَ أعلمُ بي، ولكنّي أقوله تعزيةً لأمّي لتَسلوَ عنّي. فقالت أمّه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسَناً إنْ تقدّمتَني، فلا أخرُج من الدنيا حتى أنظرَ إلى ما يصيرُ أمرُك. فقال: جزاكِ الله يا أمّه خيراً! فلا تَدَعي الدُّعاء لي قبلُ وبعد. قالت: لا أدَعُه أبداً، فمن قُتِل على باطل فقد قُتِلتَ على حقّ. ثمّ قالت: اللّهمّ ارحمْ طولَ ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النّحيب والظّمأ في هَواجرِ المدينة ومَكّة، وبرّه بأبيه وبي! اللّهمّ إنّي قد سلّمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيتَ، فأثِبْني في عبد الله ثوابَ الصّابرين الشاكرين.

قال أبو جعفر: وروَى محمّد بن عمر، عن موسى بن يعقوب بن عبد الله، عن عمّه، قال: دخل ابنُ الزّبير على أمّه وعليه الدِّرع والمِغفَر، فوقَف فسلّم، ثمّ دنا فتناول يدَها فقبّلها، فقالت: هذا وَداع فلا تَبْعَد، قال: نَعَم، إنّي جئت مودِّعاً، إنّي لأرى أنّ هذا اليومَ آخرُ يوم من الدّنيا يمرّ بي، واعلمي يا أمّه أنّي إنْ قُتِلتُ فإنّما أنا لحمٌ لا يَضرّه ما صُنِع به، فقالت: صدقتَ يا بنيّ، أتمِمْ على بصيرتِك، ولا تُمكِّن ابنَ

---

(١) المصري: «أن يستحل حرمه».

أى عَقِيل منك ، وادنُ منى أودّعك ! فدنا منها فقبّلها وعانقها ، فقالت حيث مسّت الدّرع : ماهذا صَنيعُ مَن يريدُ ماتريد ! فقال : ماسبتُها إلا لأشدّ منك ، فقالت : إنّها لا تشدّ منى ؛ فنزعها ، ثمّ أدرج[1] كمّيه وشدّ أسفل قميصه ، وعمد إلى جبّة خزّ تحت القميص ؛ فأدخل أسفلها فى المنطقة ، فقالت أمه : شمّر ثيابك ، فشمّرها ، ثم انصرف وهو يقول :

إنّى إذا أعرف يومى أصبرْ　　إذ بعضهم يعرف ثم ينكرْ

فسمعت العجوز قوله،فقالت : تصبر والله ، ولِمَ لا تصبر وأبوك أبو بكر والزبير، وأمك صفية بنت عبد المطلب !

قال : وروى محمد بن عمر عن ثور بن يزيد عن رجل من أهل حمص قال : شهدته والله ذلك اليوم ونحن خمسمائة من أهل حمص ، فدخل من باب المسجد لا يدخل منه غيرنا ، وهو يشدّ علينا ونحن منهزمون وهو يرتجز :

إنى إذا أعرف يومى أصبرْ　　وإنما يعرف يوميه الحرّ

وبعضهم يعرف ثم ينكرُ

فأقول : أنت والله الحرّ الشريف ؛ فلقد رأيته يقف بالأبطح لا يدنو منه أحدٌ حتى ظننا إنّه لا يقتل .

قال : وروى مصعب بن ثابت ، عن نافع مولى بنى أسد ، قال : رأيتُ الأبوابَ قد شُحنت بأهل[2] الشام ،وجعلوا على كلّ باب قائدا ورجالا وأهل بلد ، فكان لأهل حمص الباب الذى يواجه بابَ الكعبة ، ولأهل دمشق باب بنى شيبة ، ولأهل الأُردُنّ بابُ الصفا ، ولأهل فلسطين باب بنى جُمَح ، ولأهل قنّسرين بابُ بنى سَهْم ، وكان الحجاج وطارقُ بن عمرو فى ناحية الأبطح إلى المروة ، فمرة يحمل ابن الزبير

(١) الطبرى : « أدرج »　　(٢) الطبرى : « من أهل الشام » .

فى هذه الناحية ، ولكنه أسد فى أجمة ما يقدم عليه الرجال ، فيعدو فى أثر الرجال وهم على الباب حتى يخرجهم ، ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان ، يا أبا صفوان ، ويل أمه فتحا لو كان له رجال ! ثم يقول :

* لو كان قِرْنى واحدا كَفَيْتُه[1] *

فيقول عبدُ الله بن صفوان : إى والله وألفا .

قال أبو جعفر : فلمّا كان يوم الثلاثاء ، صبيحة سبع عشرةَ من جُمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين ، وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابنُ الزبير تلك الليلة يصلّى عامّة الليل ، ثم احتبى بحمائل سيفه ، فأغفى ثم انتبه بالفجر ، فقال : أذِّنْ يا سعد ؛ فأذّن عند المقام ، وتوضأ ابنُ الزبير وركع ركعتى الفجر ، ثم تقدّم وأقام المؤذّن ، فصلّى ابنُ الزبير بأصحابه فقرأ ن والقلم ، حرفا حرفا ثم سلّم ، ثمّ قام ، فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر ، وعليها المغافر والعمائم ، فكشفوا وجوهَهم ، فقال : يا آل الزبير ، لو طِبْتم لى نفسا عن أنفسكم كنّا أهلَ بيت من العرب اصطُلِمنا ، لم تُصِبْنا مَذلّة ، ولم نقرّ على ضيم . أما بعد يا آل الزبير ، فلا يُرِعْكم وَقعُ السيوف ، فإنى لم أحضر موطنا قطّ ارتُثِثتُ فيه بين القتلى ، وما أجد من دواء جراحها أشدّ علىّ من ألم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم . لا أعلم امرأً كسر سيفه واستبقى نفسه . فإنّ الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل . غضّوا أبصاركم عن البارقة ، وليشغل كلُّ امرىء قِرْنه ، ولا يُلهينّكم السؤالُ عنّى ، ولا تقولُنّ : أين عبدُ الله بن الزبير ؟ ألا من كان سائلا عنّى فإنّى فى الرعيل الأوّل ، ثمّ قال :

---

(١) من أبيات لدويد بن زيد بن نهد ، طبقات الشعراء ٢٧ ، ٢٨

أبى لابن سلمى أنه غير خالد ... يلاقى المنايا أى وجه تيمما[1]
فلست بمبتاع الحياة بسبة ... ولا مرتق من خشية الموت سلما

ثم قال : احملوا على بركة الله ، ثم حمل حتى بلغ بهم إلى الحجون ، فرمى بحجر ، فأصاب وجهه ، فأرعش ودمى وجهه ، فلما وجد سخونة الدم تسيل على وجهه ولحيته قال :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما[2]

قال : وتقاووا عليه ، وصاحت مولاة له مجنونة : وا أمير المؤمنيناه ! وقد كان هوى ، ورأته حين هوى فأشارت لهم إليه ، فقتل وإن عليه لثياب خز ، وجاء الخبر إلى الحجاج ، فسجد وسار هو وطارق بن عمرو ، فوقفا عليه ، فقال طارق : ما ولدت النساء أذكر من هذا ، فقال الحجاج : أتمدح من يخالف طاعة أمير المؤمنين ! فقال طارق : هو أعذر لنا ، ولولا هذا ما كان لنا عذر ، إنا محاصروه وهو فى غير خندق ولا حصن ولا منعة منذ ثمانية أشهر ينتصف منا ، بل يفضل علينا فى كل ما التقينا نحن وهو ؛ قال : فبلغ كلامهما عبد الملك ، فصوب طارقا .

قال : وبعث الحجاج برأس ابن الزبير ورأس عبد الله بن صفوان ورأس عمارة بن عمرو ابن حزم إلى المدينة ، فنصبت لثلاثة بها ، ثم حملت إلى عبد الملك .

* * *

ونحن الآن نذكر بقية أخبار عبد الله بن الزبير منتقطة من مواضع متفرقة :

رأى عبد الله بن الزبير فى أيام معاوية وأقف باب مية مولاة معاوية ، فقيل له :

(١) الحصين بن الحمام المرى ، الأغانى ١٤ : ٨ .
(٢) الحصين بن الحمام المرى ، ديوان الحماسة ١ : ١٩٢ — بشرح التبريزى .

يا أبا بكر ، مِثلُكَ يَقِفُ بباب هـذه ! فقال : «دأعْيَتـكم الأمورُ مِن رُءوسها فخذوها من أذنابها .

ذكر معاويةُ لعبد الله بن الزبير يزيد ابنه ، وأراد منه البَيْعة له ، فقال ابنُ الزّبير : أنا أناديك ولا أناجيك ، إنّ أخاك مَنْ صَدَقك ، فانظر قبل أن تقدم ، وتفكّر قبل أن تَنْدَم ؛ فإنّ النظر قبل التقدّم ، والتفكّر قبل التندّم ؛ فضَحِك معاويةُ وقال : تعلمت يا أبا بكر الشجاعة عند الكِبَر .

* * *

كان عبدُ الله بن الزبير شديدَ البُخل ، كان يُطعم جندَه تمرا ، ويأمُرهم بالحرب ، فإذا فرّوا من وَقع السيوف لامهم وقال لهم : أكلتم تمري ، وعصَيتم أمري فقال بعضهم :

ألم تَرَ عبدَ الله والله غالبٌ على أمره يبغى الخلافةَ بالتمرِ

وكسرَ بعضُ جنده خمسة أرماح في صُدور أصحاب الحجّاج ، وكلّما كسرَ رُمحا أعطاه رُمحا ، فشقّ عليه ذلك ، وقال : خمسة أرماح ! لا يَحتمِل بيتُ مال المسلمين هذا .

قال : وجاءه أعرابيٌّ سائلٌ فردّه ، فقال له : لقد أحرَقَت الرَّمضاء قدمَيّ ؛ فقال : بُلْ عليهما يبردان .

* * *

جَمَع عبد الله بنُ الزبير محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس في سبعة عشر رجلا من بنى هاشم ، منهم الحسن بنُ الحسن بن على بن أبي طالب عليه السلام ، وحصرَهم في شِعْب بمكة يُعرَف بشعب عارِم ، وقال : لا تمضى الجمعةُ حتى تُبايعوا إلىّ أو أضرب أعناقكم ، أو أحرقكم بالنار ، ثم نهض إليهم قبل الجمعة يريد إحراقهم بالنار ؛ فالتزمه

ابنُ مِسْوَرِ بن مخرمة الزهري، وناشده الله أن يؤخرهم إلى يوم الجمعة ، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفيّة بغسول وثياب بيض، فاغتسل وتلبّس وتحنّط؛ لا يَشُكُّ في القتل، وقد بعث المختار بن أبي عُبيد من الكوفة أبا عبدِ الله الجدَليّ في أربعة آلاف ، فلما نزلوا ذات عِرْق؛ تعجّل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافَوْا مكة صبيحة الجمعة يُنادُون : يا محمد ، يا محمد ! وقد شهروا السّلاح حتى وافَوْا شِعْبَ عارِم ، فاستخلصوا محمد بن الحنفيّة ومن كان معه ، وبعث محمد بنُ الحنفيّة الحسن بنَ الحسن ينادي : من كان يَرَى أن لله عليه حقًا فليشِمْ سيفَه ، فلا حاجة لي بأمر الناس ، إنْ أُعطِيتُها عفوا قبِلتُها ، وإن كَرِهوا لم أَبْتَزّهم[1] أمرَهم .

وفي شِعب عارم وحصار بن الحنفيّة فيه يقول كثيرُ بنُ عبدِ الرحمن :

ومن يرَ هذا الشيخ بالخَيْفِ مِن مِنىً … مِنَ الناس يعلم أنه غيرُ ظالمِ

سَمِيّ النبيّ المصطفى وابنُ عمّه … وحَمّالُ أثقالٍ وفَكّاكُ غارِمِ

تخــبِّرُ من لاقيتَ أنّك عائذٌ … بل العائذُ المحبوسُ في سِجْن عارِمِ

وَرَوَى المَدائنيّ قال : لما أخرج ابنُ الزبير عبدَ الله بن عباس من مكة إلى الطائف مرّ بنَعمان ، فنزل فصلّى ركعتين ، ثم رفع يدَيْه يدعو ، فقال : اللّهمّ إنك تعلم أنه لم يكنْ بلدٌ أحبّ إليّ من أن أعبُدَك فيه من البلد الحرام ، وأنني لا أحبّ أن تقبض رُوحي إلا فيه ، وأن ابن الزبير أخرجني منه ، ليكون الأقوى في سلطانه . اللّهمّ فأَوْهِن كيدَه ، واجعل دائرة السَّوْء عليه . فلما دنا من الطائف تلقاه أهلها ، فقالوا : مرحبًا يابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ! أنتَ والله أحبّ إلينا وأكرم علينا ممن أخرجك ؛ هذه منازلُنا تخيّرها ، فانزلْ منها حيث أحببت ؛ فنزل منزلا ، فكان

---

(١) لم أبتزهم أمرهم : لم أسلبه منهم عنوا .

يجلس إليه أهلُ الطائف بعد الفجر وبعد العصر؛ فيتكلّم بينهم ، كان يحمد الله ويذكر النبيّ صلى الله عليه وآله والخلفاء بعده ، ويقول : ذهبوا فلم يَدَعوا أمثالهم ولا أشباههم ولا مَن يُدانيهم ؛ ولكنْ بَقِي أقوامٌ يطلبُون الدنيا بعمل الآخرة ، ويلبَسون جلود الضأن؛ تحتَها قلوبُ الذئاب والنمور ، لِيَظُنّ الناسُ أنهم من الزاهدين في الدنيا، يُراءون الناس بأعمالهم ، ويُسْخِطون الله بسرائرهم ؛ فادعوا الله أن يقضي لهذه الأمة بالخير والإحسان ، فيولّي أمرها خيارَها وأبرارَها ، ويهلك فجّارها وأشرارها ، ارفعوا أيديكم إلى ربّكم وسَلُوه ذلك. فيفعلون .

فبلغ ذلك ابن الزبير ، فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغني أنك تجلس بالطائف العصرين فتفتيهم بالجهل ، وتَعيب أهلَ العقل والعلم ؛ وإن حِلْمي عليك ، واستدامتي فَيْئك جرّأاك عليّ ، فاكفُفْ لا أبا لغيرك من غَرْبك ، وارْبَعْ على ظَلْعِك[1] ، واعقل إن كان لك معقول ، وأكرم نفسك فإنك إن تُهِنْها تجدها على الناس أعظم هوانا ، ألم تسمع قول الشاعر :

فنفسَكَ أكرِمْها فإنكَ إن تَهُنْ ... عليكَ فلن تلقى لها الدهرَ مُكْرِمَا

وإني أقسم بالله لئن لم تنته عمّا بلغني عنك لتجدنّ جانبي خَشِنا ، ولتجدنّي إلى ما يَرْدَعك عني عجِلا ، فرَ رأيك ، فإن أشفى بك شقاؤك على الرَّدى فلا تلُم إلا نفسك .

فكتب إليه ابنُ عباس :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ؛ قلت : إني أفتي الناس بالجهل ، وإنما يُفتي بالجهل مَن لم يعرف من العلم شيئا ، وقد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك . وذكرت أن حِلْمك عني ، واستدامتك فَيْئي جرّأاني عليك ، ثم قلت : اكفُفْ من غَرْبك ، واربَعْ على

---

(١) يقال : اربع على ظلعك ؛ أي اعمل بقدر ما تطيق ، ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق

ظلمك ؛ وضربت لى الأمثال ، أحديث الضبع ، متى رأيتنى لعُرامك[1] هائبا ، ومن حدّك ناكلا ! وقلت : لئن لم تكفف لتحدن جانبى خشناً ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت ، ولا أرعى عليك إن أرعيت ! فو الله لا أنتهى عن قول الحق ، وصفة أهل العدل والفضل ، وذم الأخسرين أعمالا ، الذين ضلّ سعيُهم فى الحياة الدنيا وهُم يحسبون أنهم يُحسنون صُنْعا ؛ والسّلام .

• • •

قدم معاوية المدينة راجعا من حَجّة حجّها ، فكثر الناسُ عليه فى حوائجهم ، فقال لصاحب إذنه : قدِّم إبلك ليلا حتى أرتحل ؛ ففعل ذلك ، وسار ولم يعلم بأمره إلاّ عبدالله بنُ الزبير ؛ فإنه ركب فرسه وقفا أثره ، ومعاوية نائم فى هودجه فى محمل ، يسيرُ بين جماله ، فانتبه معاويةُ ، وقد سمع وقع حافر الفرس ، فقال من صاحب الفرس ؟ قال : أنا أبو خُبيب ، لو قد قتلتك منذ الليلة لفارحته ، فقال معاوية : كلاّ لست من قتلة الملوك ، إنما يصيد كلُّ طائر قدْرَه . فقال ابنُ الزبير : إلىّ تقول هذا ، وقد وقفتُ فى الصّف بإزاء على بن أبى طالب ؛ وهو مَن علمِ ! فقال معاوية : لا جرم ! إنه قتلك وأباك بيسرى يديه ، وبقيتْ يده اليمنى فارغة يطلب مَنْ يقتله بها . فقال ابن الزبير : أما والله ما كان ذاك إلاّ فى نصر عثمان فلم نُجْزَ به ، فقال معاوية : خلِّ هذا عنك ، فو الله لولا شدة بُغضك ابن أبى طالب لجررت برجل عثمان مع الضبُع . فقال ابن الزبير : أفعلتها يامعاوية ! أما إنّا قد أعطيناك عهدا ، ونحنُ وافون لك به ما دمت حيا ، ولكن ليعلمن مَنْ بعدك ، فقال معاوية : أما والله ما أخافك إلاّ على نفسك ، ولكأنى بك وأنت مشدودٌ مربوط فى الأنشوطة[2] ، وأنت تقول : ليت أبا عبد الرحمن كان حيًّا ، وليتنى كنتُ حيا يومئذ فأحلك حلا رفيقا ، ولبئس المطلق والمعتق والممنون عليه أنت يومئذ !

---

(١) العرام : الشراسة والشدة

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاوية وعنده عمرو بنُ العاص، فتكلم عمرو ـ وأشار إلى ابن الزبير ـ فقال: هـذا واللهِ يا أميرَ المؤمنين لدى عرضه أناتك، وأنظره حِلمك، فهو ينزو في نشطته نزوَ العير في حبالته، كلما قمصته العرواء والشرة حكمت الأشوطة منه النفرة، وأحْرِ به أن يئول إلى القلة أو الذلة. فقال ابنُ الزبير: أما واللهِ يا ابنَ العاص، لولا أنّ الإيمان ألزمنا بالوفاء، والطاعة للخلفاء، فنحن لا نريد بذلك بدلا، ولا عنه حِوَلا؛ لكان لنا وله ولك شأن، ولو وكّله نقصاه إلى رأيك، ومشورة نظرائك لدافعناه بمنكب لا تئوده المزاحمة، ولقاذفته بحجر لا تنكؤه المراجعة: فقال معاوية: أما والله يا ابنَ الزبير لولا إيثاري الأناة على العجل، والصفح على العقوبة، وأني كما قال الأول:

أجامل أقواماً حياء، وقد أرى ... قلوبهم تغلي عليّ مراضها

إذاً لقرنتك إلى سارية من سواري الحرم تسكن بها غلواءك، وينقطع عندها طمعك، وينقص من أملك، ما لعلك قد رويته فشربته، ونلته فأرمته. وايمُ الله إنك من ذلك لعلى شرف جرف بعيد المهوى، فكن على نفسك ولها، فاتوق ولا تقعد غيرها، فشأنك وإياها.

* * *

قطع عبدُ الله بن الزبير في الخطبة ذكرَ رسول الله صلى الله عليه وآله جمعاً كثيرة، فاستعظم الناسُ ذلك، فقال: إني لا أرغب عن ذكره، ولكن له أهيل سوء إذا ذكرته أتلعوا أعناقهم، فأنا أحب أن أكبتهم.

* * *

لما كاشف عبدُ الله بنُ الزبير بني هاشم وأظهر بغضهم وعابهم، وهمّ بما همّ به في

أمرِهِ ، ولم يذكر رسولَ الله صلى الله عليه وآله في خُطبةٍ ، لا يومَ الجمعة ولا غيرها ، عاتَبَه على ذلك قومٌ من خاصته ، وتشاءموا بذلك منه ، وخافوا عاقبته ، فقال : واللهِ ما تركتُ ذلك علانيةً إلا وأنا أقوله سِرّاً وأكثر منه ؛ لكنّي رأيتُ بني هاشم إذا سمعوا ذِكرَه اشرأبّوا واحمرّت ألوانهم ، وطالت رقابهم ، والله ما كنتُ لآتي لهم سروراً وأنا أقدِر عليه ، والله لقد هممتُ أن أحظر لهم حظيرةً ثم أُضرمها عليهم ناراً ، فإني لا أقتلُ منهم إلا آثماً كفّاراً سحّاراً ، لا أنماهم[1] الله ولا بارك عليهم ، بيت سَوءٍ لا أوّل لهم ولا آخر ، والله ما ترك نبيّ الله فيهم خيراً ، استفرغ نبيَّ الله صدقُهم فهم أكذبُ الناس .

فقام إليه محمدُ بنُ سعد بن أبي وقّاص فقال : وفّقك الله يا أمير المؤمنين ! أنا أوّل مَن أعانك في أمرِهِم ، فقام عبدُ الله بنُ صفوان بن أميّة الجمحيّ ، فقال : والله ما قلتَ صواباً ، ولا هممتَ برُشْد ، أرَهْطَ رسول الله صلّى الله عليه وآله تَعيب ، وإيّاهم تقتُل ، والعرب حَولَك ! والله لو قتلتَ عِدّتَهم أهلَ بيتٍ من التُّرك مُسلمين ما سوّغه الله لك ، والله لو لم[2] ينصرْهم الناس منك لنصرهم اللهُ بنَصْره . فقال : اجلس أبا صفوان فلستَ بناموس[3] .

فبلغ الخبرُ عبدَ الله بن العبّاس ، فخرج مُغضباً ومعه ابنُه حتى أتى المسجد ، فقصد قَصْدَ المنبر فحمِد اللهَ وأثنى عليه ، وصلّى على رسول الله صلّى الله عليه وآله ثمّ قال : أيّها الناس ، إنّ ابن الزبير يزعُم أن لا أوّل لرسول الله صلّى الله عليه وآله ولا آخِر ، فيا عجباً كلَّ العجبِ لافترائه ولكذبه ! والله إنّ أوّل من أخذَ الإيلافَ وحَمى عِيرَاتِ[4]

---

(١) لا أنماهم : لا أكثر عددهم . (٢) في د « ولا » . (٣) الناموس : الحاذق .

(٤) العِير ـ بالكسر : الإبل تحمل الميرة ؛ بلا واحد من لفظها ، وجمعه عيرات

قريش لهاشم ، وإن أول من سقى بمكة عذبا[1] ، وجعل باب الكعبة ذهبا لعبد المطلب ، والله لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش وإن كنا قالتهم[2] إذا قالوا ، وخطباءهم إذا خطبوا ؛ وما عُدَّ مجد كمجد أولنا ، ولا كان في قريش مجد لغيرنا ؛ لأنها في كفر ماحق ، ودين فاسق ، وضلة وضلالة ، في عشواء[3] عمياء ، حتى اختار الله تعالى لها نورا ، وبعث لها سراجا ، فانتجبه[4] طيبا من طيبين ، لا يسبه بمسبة ، ولا يبغي عليه غائلة ، فكان أحدنا وولدنا ، وعمنا وابن عمنا[5] ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا ، ثم تلاه في السبق ، أهلنا ولحمتنا[6] واحدا بعد واحد .

ثم إنا خير الناس بعده وأكرمهم أدبا ، وأشرفهم حسبا ، وأقربهم منه رحما .

واعجبا كل العجب لأن الزبير ، يعيب بني هاشم ، وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم ؟ أما والله إنه لمسلوب قريش ، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب ! قيل للبغل : من أبوك يا بغل ؟ فقال : خالي الفرس . ثم نزل .

* * *

خطب ابن الزبير بمكة على المنبر ؛ وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر ، فقال : إن ههنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أن متعة النساء حلال من الله ورسوله ، ويفتي في القملة والنملة ؛ وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس ، وترك المسلمين بها يرتضخون[7] النوى ؛ وكيف ألومه في ذلك ، وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن وقاه بيده !

(١) في العقد : « وعبد المطلب هو الذي كشف عن زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم واستخرج ما كان فيها مدفونا » .

(٢) القالة : جمع قائل .

(٣) خبط عشواء ، من العشى ؛ وهو سوء البصر بالليل والنهار .

(٤) انتجبه : انتخبه .

(٥) ابن عمنا ، أي علي بن أبي طالب .

(٦) اللحمة : القرابة .

(٧) يرتضخون النوى : يكسرونه .

فقال ابنُ عباس لقائده سعد بن جُبير بن هشام مولى بني أسد بن خُزيمة : استقبِل بي وجهَ ابنِ الزبير ، وارفعْ من صَدْري ؛ وكان ابنُ عباس قد كُفّ بصرُه فاستقبل به قائدُه وجهَ ابنِ الزبير ، وأقام قامتَه فحسَرَ عن ذِرَاعَيه ، ثم قال يابنَ الزّبير :

قد أنصفَ القارةَ مَن راماها[1] إنّا إذا ما فئــــــةٌ نلقاها

نردّ أولاهـــــا على أخراها حتى تصيرَ حَرَضاً دَعْواها[2]

يابنَ الزّبير ؛ أما العَمَى فإنّ الله تعالى يقول : ﴿ فإنّهـا لا تَعمَى الأبصارُ ولـكنْ تَعمَى القلوبُ التي في الصدور ﴾[3] ؛ وأمّا فُتْيايَ في القَمْلة والنّملة ؛ فإنّ فيها حُكمين لا تعلَمُها أنت ولا أصحابك . وأما حَمْلي المالَ فإنه كان مالاً جَبَيْناه فأعطَينا كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، وبقيتْ بقيّةٌ هي دونَ حقّنا في كتاب الله فأخذْناها بحقّنا . وأما المُتعة فسَلْ أمَّك أسماء إذا نزلت عن بُرْدَيْ عَوْسَجة . وأما قتالُنا أمّ المؤمنين فبنا سُمّيتْ أمّ المؤمنين لا بك ولا بأبيك ؛ فانطلَق أبوك وخالُك إلى حِجاب مدّه الله عليها ، فهتَـكاه عنها ، ثم اتخذاها فتنة يقاتِلان دُونَها ، وصانا حلائلهما في بُيوتهما ، فما أنصفا الله ولا محمّدًا من أنفسهما أن أبرَزَا زوجةَ نبيّه وصانا حلائلهما . وأما قتالُنا إيّاكم فإنّا لقِينا كم زَحْفا ، فإن كُنّا كُفّارا فقد كفَرتم بفِرارِكم منّا ، وإنْ كُنّا مؤمنين فقد كفَرتم بقتالِكم إيّانا ، وأيمُ الله لولا مكانُ صَفيّة فيكم ، ومكانُ خديجة فينا ، لما تركتُ لبني أسد بن عبد العُزّى عَظْما إلّا كسَرْته .

فلما عادَ ابنُ الزبير إلى أمّه سألَها عن بُرْدَيْ عَوْسجة ، فقالت : ألم أنهَك عن ابن عباس وعن بني هاشم ! فإنّهم كُعُمُ[4] الجوابِ إذا بُدِهوا ، فقال : بلى ، وعصيتُكِ .

---

(١) في اللسان : القارة : قوم رماة من العرب ، وفي المثل : « قد أنصف القارة من راماها » .

(٢) الحرض : الفساد في النفس والعقل والبدن .

(٣) سورة الحج آية ٤٦

(٤) كعم البعير : شده لئلا يعض أو يأكل ، والكعام ، ككتاب : ما يجعل على فمه ، والجمع كعم ، والمعنى أنهم ذوو أجوبة مسكتة مخرسة تلجم أفواه مناظريهم .

فقالت : يا بُنىّ ، احذر هذا الأعمى الذى ما أطاقته الإنس والجنّ ، وأعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها ، فإياك وإياه آخر الدهر ، فقال : أيمن بن حريم بن فاتك الأسدى :

يابن الزبير لقــــد لاقيتَ بائقةً ... من البــوائق فالطفْ لُطفَ محتالِ
لاقيتَــــه هاشميا طابَ منبتُه ... فى مغرسَيـــه كريمُ العمّ والخالِ
مازال يقرع عنك العظم مقتــدرا ... على الجواب بصوت مُســمع عالِ
حتى رأيتك مثل الكلب منجحِرا ... خلفَ الغبيط وكنتَ الباذخَ العالى
إن ابن عباس للمعروف حكمتــه ... خيــرُ الأنام له حالٌ من الحالِ
عــيّرته المتعة المتبوع سُنّتها ... وبالقتال وقــد عـــيّرت بالمالِ
لما رماك على رســـلٍ بأسهمِه ... جرّت عليك بسيف الحالِ والبالِ
فاحتز مِقــولك الأعلى بشفرته ... حزّا وحِيا بلا قيــلٍ ولا قالِ (١)
وأعلم بأنك إن عاودتَ غيبتــه ... عادت عليك مخـــازٍ ذات أذيالِ

* * *

وروى عثمان بن طلحة العبدرىّ ، قال : شهدت من ابن عباس رحمه الله مشهدا ما سمعته من رجل من قريش ، كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم وهو يومئذ أمير المدينة سرير آخر أصغر من سريره ؛ فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل ، وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك ، فأذن مروان يوما للناس ، وإذا سرير آخر قد أحدث تجاه سرير مروان ، فأقبل ابن عباس فجلس على سريره ، وجاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المحدث ، وسكت مروان والقوم ، فإذا يد ابن الزبير تتحرك

---

(١) وحيا : سريعا .

فعلم أنّه يريدُ أن ينطِق ، ثمّ نطق فقال : إنّ ناسا يزعمون أنّ بيعةَ أبي بكر كانت غَلَطا وفَلْتة ومغالَبة؛ ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا ، ويزعمون أنّه لولا ما وقَع لكانَ الأمرُ لهم وفيهم ، واللهِ ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أحدٌ أثبتَ إيمانا ، ولا أعظَمَ سابقةً من أبي بكر ، فمَنْ قال غيرَ ذلك فعليه لعنة الله ! فأين هم حين عَقَدَ أبو بكر لعمَر ، فلم يكُن إلّا ماقال ، ثمّ ألقى عمرُ حظَّهم في حُظوظ ، وجدَّهم في جُدُود ، فقسّمت تلك الحظوظ ، فأخّر الله سَهمَهم ، وأدحض جدَّهم ، وولِيَ الأمرَ عليهم من كان أحقّ به منهم ، فخرجوا عليه خروجَ اللصوص على التّاجر خارجا من القرية ، فأصابوا منه غِرّة فقتلوه ، ثم قتلهم الله به كل قِتْلة ، وصاروا مطرُودين تحت بُطون الكواكب .

فقال ابنُ عباس : على رِسْلِكَ[1] أيها القائل في أبي بكر وعُمر والخلافة ، أما واللهِ ما نالا ولا نال أحدٌ منهما شيئاً إلّا وصاحبنا خيرٌ ممّن نالا ، وما أنكَرْنا تقدّم من تقدّم لعَيب عِبْناه عليه ؛ ولو تقدّم صاحبُنا لكانَ أهلا وفوقَ الأهل ، ولولا أنّك إنّما تذكر حظَّ غيرك وشرَفَ امرئ سواكَ لكلمتك ، ولكن ما أنتَ وما لاحظَّ لكَ فيه ! اقتصِر على حظِّك ، ودَعْ تَيْماً لِتَيْم ، وعَدِيًّا لعَدِيّ ، وأُميّة لأُميّة ، ولو كلّمني تيميٌّ أو عَدَوِيّ أو أُموِيٌّ لكلّمته وأخبرتُه خبرَ حاضرٍ عن حاضر ، لاخبرَ غائبٍ عن غائب ، ولكن ما أنت ، وما ليس عليك ! فإن يكن في أسدِ بنِ عبدِ العُزّى شيء فهو لك ، أما واللهِ لنحنُ أقربُ بك عَهْدا ، وأبيض عندك يدًا ، وأوفر عندك نِعْمة ممن أمسيت؛ تظنّ أنك تصول به علينا ، وما أخلَق ثوبُ صفيّة بعد ! واللهُ المستعانُ على ما تصِفون .

* * *

---

(١) الرسل : الرفق والتؤدة

أوصى معاوية يزيدَ ابنه لما عَقَد له الخلافة بعده؛ فقال: إنى لا أخاف عليك إلا من أربعة: أوصيك بحفظ قرابته ورعاية حق رحمه، مَن القلوبُ إليه مائلة، والأهواء نحوه جانحة، والأعين إليه طامحة، وهو الحسين بن على، فقسم له نصيبا من حلمك، وأحصصه بقسط وافر من مالك؛ ومتّعه بروح الحياة، وأبلغ له كلّ ما أحبّ فى أيامك، فأما من عداه فثلاثة، وهم عبدُ الله بنُ عمر رجلٌ قد وقذته العبادة؛ فليس يريدُ الدنيا إلا أن تجيئه طائعة، لا تراق فيها محجمةُ دم، وعبد الرحمن بنُ أبى بكر، رجل مقّل[1] لا يحمل ثِقْلا، ولا يستطيع نهوضا؛ وليس بذى همة ولا شرف ولا أعوان، وعبدُ الله ابنُ الزبير وهو الذئب الماكر، والثعلب الخاتِر؛ فوجّه إليه جدّك وعزمك وتسكيرك ومكرك؛ واصرفْ إليه سطوتك، ولا تثق إليه فى حال، فإنه كالثعلب، راغ بالختل عند الإرهاق، والليث صال بالجراءة عند الإطلاق؛ وأما ما عدا هؤلاء فإنى قد وطأت لك الأمم، وذللت لك أعناق المنابر، وكفيتك من قرب منك، ومن بعد عنك فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك.

* * *

خطب عبدُ الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال فى خطبته: يزيد القُرود، يزيد الفُهود، يزيد الخمور، يزيد الفجور! أما والله لقد سمعت أنه لا يزال مخموراً يخطب الناس وهو طافح فى سكره. فبلغ ذلك يزيدَ بنَ معاوية، فما أمسى ليلته حتى جهّز جيش الحرة، وهو عشرون ألفا، وجلس والشموعُ بين يديه، وعليه ثيابٌ معصفرة، والجنود تُعرض عليه ليلا، فلما أصبح خرج فأبصر الجيش، ورأى تعبيته فقال:

أبلغ أبا بكر إذا الجيش انبرى وأخذ القومُ على وادى القُرى

(١) المقل: الفقير من المال

عِشرينَ ألفاً بين كَهْلٍ وفتًى   أجمعُ سَكرانُ مِنَ القومِ ترى

• أم جَمعَ ليثٍ دونه ليثُ الشَّرى •

* * *

لمّا خرج الحسينُ عليه السلام من مكّة إلى العراق ضرب عبدُ الله بنُ عباس بيدِه على منكبِ ابنِ الزبير، وقال:

يالَكِ من قُبَّرةٍ بمَعمَرِ   خلا لَكِ الجوُّ فبيضي واصفِري[1]

ونَقِّري ماشِئْتِ أنْ تُنَقِّري   هذا الحسينُ سائرٌ فأبشري

خلا الجوُّ والله لك يابن الزبير! وسار الحسين إلى العراق، فقال ابنُ الزبير: يابن عباس، والله ما تَرَوْن هذا الأمر إلا لكم، ولا ترون إلا أنكم أحق به من جميع الناس، فقال ابنُ عباس: إنما يرى مَن كان في شكٍّ، ونحن من ذلك على يَقين ولكن أخبرني عن نفسك، بماذا تَرُوم هذا الأمر؟ قال: بِشرَفي، قال: وبماذا شَرُفْتَ إن كان لك شرَف؟ فإنما هو بنا، فنحن أشرَف منك، لأنّ شرفَك مِنّا. وعلَتْ صواتُهما، فقال غلام من آل الزبير: دَعْنا منك يابن عباس؛ فو الله لا تُحِبُّونا يابني هاشم ولا نُحِبّكم أبداً؛ فلطَمه عبدُ الله بن الزبير بيده وقال: أتتكلّمُ وأنا حاضر! فقال ابنُ عبّاس: لِمَ ضربت الغلامَ، واللهِ أحقُّ بالضرب منهُ مَن مَزَّقَ ومَرَقَ، قال: ومَن هو؟ قال: أنت.

قال - واعترض بينهما رجالٌ من قُرَيش فأسكتوهما.

* * *

(١) تنسب الأبيات إلى طرفة، العقد الفريد ١٨٥.

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاوية ، فقال : اسمع أبياتاً قلتها عاتبتك فيها ، قال : هاتِ ، فأنشده :

لَعمرِكَ ما أدرى وإنّى لأوجَلُ ... على أيّنا تعدو المنيــة أوّلُ

وإنى أخوك الدائمُ العهدِ لم أزَلْ ... إن أعياكَ خصمٌ أو نبا بك منزلُ

أحاربُ من حاربْتَ من ذى عداوةٍ ... وأحبس يوماً إن حُبست فأعقلُ

وإن سؤتنى يوماً صفحتُ إلى غدٍ ... ليعقبَ يومٌ منك آخر مُقبلُ

ستقطعُ فى الدنيا إذا ما قطعتنى ... يمينَك فانظر أىَّ كفٍّ تبدّلُ !

إذا أنت لم تُنصفْ أخاك وجدتَه ... على طرفِ الهجران إن كان يعقلُ

ويركبَ حدَّ السيفِ من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شفرةِ السيفِ معدِلُ

وكنتُ إذا ما صاحبٌ ملَّ صحبتى ... وبدّل شراً بالذى كنتُ أفعلُ

قلبتُ له ظهرَ المجنِّ ولم أقم ... على الضيم إلا ريثما أتحوّلُ

وفى الناس إن رثّتْ حبالُك واصلٌ ... وفى الأرض عن دارِ القِلى متحوَّلُ

إذا انصرفتْ نفسى عن الشىء لم تكدْ ... إليه بوجهٍ آخرَ الدهرُ تقبلُ

فقال معاوية : لقد شعرتَ بعدى يا أبا خُبيب ! وبينا هما فى ذلك دخل معنُ بن أوس المزنىّ ، فقال له معاوية : إيهٍ ! هل أحدثتَ بعدنا شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : قل ! فأنشد هذه الأبيات ، فعجب معاويةُ وقال لابن الزبير : ألم تنشدها لنفسك آنفاً ! فقال : أنا سوّيت المعانى ، وهو ألّف الألفاظ ونظمها ، وهو بعدُ ظئرى(1) ، فما قال من شىء فهو لى — وكان ابن الزبير مسترضَعاً فى مُزينة — فقال معاوية : وكذباً يا أبا خبيب ! فقام عبدُ الله فخرج .

---

(1) يقال : هو ظئره وهو ظؤره ، وهم وهن أظآره ، أى إخوانه من رضاعه

وقال الشعبيّ : فقد رأيت تحت فناء الكعبة أنا وعبد الله بن الزبير وعبدُ الملك بنُ مروان ومصعب بن الزبير ، فقام القوم بعد ما فرَغوا من حديثهم ، فقالوا : ليقُمْ كلُّ واحد منكم، فيأخذ بالرُّكن اليماني ، ثم يسأل الله تعالى حاجته ، فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الرُّكن وقال : اللّهم إنك عظيم تُرجَى لكلِّ عظيم ، أسألك بحُرمة وجهك وحُرمة عرْشك وحرمة بيتك هذا ، ألاّ تخرجني من الدنيا حتى ألِيَ الحجاز ، ويسلَّمَ عليَّ بالخلافة ، وجاء فجلس .

فقام أخوه مصعب فالتزم الرُّكن وقال اللّهمّ ربَّ كلِّ شيء ، وإليك مصيرُ كلّ شيء ، أسألك بقُدرتك على كل شيء ، ألاّ تُميتني حتى ألِيَ العراق ، وأتزوّج سُكينة بنت الحسين بن عليّ عليه السلام ثمّ جاء فجلس .

فقام عبد الملك فالتزم الركن وقال : اللّهمّ ربّ السموات السّبع ، والأرض ذات النبت والقَفْر ، أسألك بما سألك به المطيعون لأمرك ، وأسألك بحق وجهك ، وبحقّك على جميع خلقك ، ألاّ تُميتني حتى ألِيَ شرق الأرض وغربَها ، لا يُنازعني أحد إلاّ ظهَرتُ عليه ، ثم جاء فجلس .

فقام عبد الله بنُ عمرَ فأخذ بالرّكن وقال : يا رحمٰن يا رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقتْ غضبك ، وبقدرتك على جميع خلقك ، أن لا تُميتني حتى توجِب لي الرحمة .

قال الشّعبي : فو الله ما خرجتُ من الدّنيا حتى بلغ كلٌّ من الثلاثة ما سأل ، وأحِقّ بعبدِ الله بن عمر أن تجاب دعوتُه ، وأن يكون من أهل الرّحمة .

* * *

قال الحجّاج فى خطبته يوم دخل الكوفة : هذا أدبُ ابن نَهية ، أما والله لأؤدِّبنّكم غيرَ هذا الأدب .

قال ابن ماكولا فى كتاب الإكمال : « يعنى مُصعب بن الزبير وعبد الله أخاه ، وهى نَهية بنتُ سعيد بن سهم بن هُصَيْصٍ ، وهى أمّ ولد أسد بن عبد العزّى بن قُصَىّ » . وهذا من المواضع الغامضة .

* * *

وروى الزبير بنُ بكّار فى كتاب أنساب قريش قال : قَدِم وفدٌ من العراق على عبد الله بن الزبير ، فأتوه فى المسجد الحرام ، فسلموا عليه ، فسألهم عن مصعب أخيه وعن سيرته فيهم ، فأثْنَوْا عليه ، وقالوا : خيراً ، وذلك فى يوم جمعة ، فصلّى عبد الله بالناس الجمعة ، ثمّ صَعِد المنبر ، فحمِد الله ثم تمثّل :

قد جرَّبونى ثمّ جرَّبونى من غلوتين ومن المئين[١]

حتى إذا شابُوا وشيَّبونى خلّوا عِنانى ثمّ سيَّبونى[٢]

أيّها الناس ، إنى قد سألتُ هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير فأحسنوا الثناء عليه ، وذكروا عنه ما أحبّ ، ألا إن مصعبا أطْبَى[٣] القلوب حتى لا تعدل به ، والأهواء حتى لا تحوّل عنه ، واستمال الألسن بثنائها ، والقلوب بنصائحها ، والأنفس بمحبّتها وهو المحبوب فى خاصّته ، المأمونُ فى عامّته ، بما أطلق الله به لسانه من الخير وبَسَط به يديه من البذل ، ثم نزل .

وروى الزّبير قال : لما جاء عبد الله بنَ الزّبير نعى المصعب صَعِد المنبر فقال :

(١) غلوة : الغاية

(٢) سيبونى : تركونى

(٣) أطبى القلوب : استمالها .

الحمدُ لله الذى له الخلق والأمر ، يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويُعزّ من يشاء ، ويُذلّ من يشاء ، ألا وإنه لم يُذلل اللهُ من كان الحقّ معه ولو كان فردا ، ولم يُعزّز اللهُ وليّ الشيطان وحزبه وإن كان الأنام كلُّهم معه ، ألا وإنه قد أتانا من العراق خبرٌ أحزنَنا وأفرَحنا ، أتانا قتلُ المصعب رحمه الله ، فأمّا الذى أحزنَنا فإنّ لفراق الحميم لذعة يجدها حميمُه عند المصيبة ، ثم يرعَوِى بعدَها ذو الرأى إلى جميل الصبر وكريم العزاء ، وأما الذى أفرَحنا فإن قتله كان عن شهادة ، وأنّ الله تعالى جعل ذلك لنا وله ذخيرة ، ألا إنّ أهلَ العراق ، أهلُ الغدر والنفاق ، أسلَموه وباعوه بأقلّ الثمن فإن يُقتَل المصعب فإنا لله وإنا إليه راجعون ما نموت حتْفا كما يموت بنو العاص ، ما نموتُ إلّا قتلا ، قعصاً[1] بالرّماح ، وموتاً تحتَ ظِلال السيوف ، إلا إنما الدنيا عارِيَة من الملِك الأعلى الذى لا يزول سلطانُه ولا يبيد ، فإن تُقبِل الدنيا علىّ لا آخذْها أخذَ الأشِر البطِر[2] ، وإن تُدبِر عنّى لا أبكى عليها بكاء الخرِفِ المهتر ، وإن يَهلِك المصعَب فإنّ فى آل الزبير خلفا ، ثم نزل .

* * *

وروى الزبير بن بكّار قال : خطب عبدُ الله بنُ الزبير بعد أن جاءه مقتل المصعب ، فحمِد اللهَ وأثنى عليه ثمّ قال : لئن أُصِبتُ بمصعب فلقد أصِبت بإمامى عثمان فعظمت مصيبته ، ثم أحسن الله وأجمَل ، ولئن أصِبت بمُصعَب فلقد أصِبت بأبى الزبير ، فعظمت مُصيبتُه ، فظننتُ أنّى لا أجبرها ، ثم أحسن الله وسَلّم واستمرت مريرتى ، وهلْ كان مُصعَب إلا فتًى من فتيانى ، ثم غلبه البكاء فسالتْ دموعُه وقال : كان والله سَرِيًّا مَرِيًّا ثم قال :

---

(١) القعص : الموت السريع .
(٢) الأشر والبطر كلاهما بمعنى واحد .

هم دَفعوا الدّنيا على حين أعرضَتْ ‏ ‏ كِرامًا وسَنّوا للكِرام التأسِّيا

* * *

ورَوَى أبو العبّاس في الكامل أنّ عروةَ بعدَ صَلْبِ عبدُ الله جاء إلى عبدِ الملك فوقَف ببابه، وقال للحاجب: أعلِمْ أميرَ المؤمنين أنّ أبا عبدِ الله بالباب، فدخل الحاجب فقال: رجلٌ يقول قولا عظيما. قال: وما هو؟ فتهيَّب، فقال: قل. قال: رجلٌ يقول: قلْ لأميرِ المؤمنين: أبو عبد الله بالباب، فقال عبد الملك: قلْ لعروةَ يدخُل، فدخَل فقال: تأمرُ بإنزال جيفةِ أبي بكر فإنّ النساء يجزَعْن، فأمَر بإنزاله. فقال: وقد كان كَتَب الحجّاجُ إلى عبدِ الملك يقول: إنّ خزائنَ عبدِ الله عند عُرْوة، فمُرْه فليُسلِّمْها؛ فدَفَع عبدُ الملك الكتابَ إلى عروة، وظنّ أنّه يتغيّر، فلم يَحفِل بذلك كأنّه ما قرأه، فكتَب عبدُ الملك إلى الحجّاجِ أن لا يَعرِض لعروة.

* * *

ومن الكلام المشهور في بُخل عبدِ الله بن الزبير الكلامُ الذي يُحكَى أنّ أعرابيًا[1] أتاه يَستَحمِله، فقال: قد نَقِبَ خُفُّ راحِلَتي فاحمِلني[2] إني قطعتُ الهواجِرَ إليك عليها فقال له ارْقَعْها بِسبْت، واخْصِفْها بهلْب، وأنجِدْ بها، وسِرْ بها البردين[3]، فقال: إنّما أتيتُك مستحمِلا، لم آتِك مستوصِفا، لعن الله ناقةً حملتني إليك، قال: إنّ وراكبَها[4].

---

(١) الخبر في الأغاني ١: ١٥، ١٦

(٢) الأغاني: «نقبت خفّي، ونقبت راحلتي» ونقب البعير: إذا رقت أخفافه.

(٣) السبت: جلود البقر المدبوغة بالقرظ تحذى منها النعال السبتية. والخصف: أن يظاهر الجلدين بعضهما إلى بعض ويخرزهما. والهلب: شعر الخنزير الذي يخرز به، الواحد هلبة، وأنجد: إذا دخل بلاد نجد، وهو موصوف بالبرد؛ والبردان: الغداة والعشي.

(٤) في الأغاني عن اليزيدي: «إن» هاهنا بمعنى نعم، كأنه أقرّ بما قال، ومثله قول ابن قيس الرقيات:

وَيقُلْنَ شَيبٌ قَدْ عَلَا ‏ ‏ كَ وقَدْ كَبِرْتَ، فقلتُ إنّهْ

وهذا الأعرابي هو فضالة بن شريك، فهجاه فقال :

أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ ولا أُمَيَّةَ بالبلادِ[١]

من الأعياصِ أو مِنْ آلِ حَرْبٍ أغرَّ كغُرَّةِ الفرسِ الجوادِ

***

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تدعَنَّ مروانَ يرمي جماهيرَ قُرَيش بمشاقصه[٢] ، ويضرب صفاتَهم بمعوله ، أما والله، إنه لولا مكانُك لكان أخفَّ على رقابنا من فراشة ، وأقلَّ في أعيننا من خشاشة[٣] وايمُ الله لئن مَلَكَ أعنَّة خيل تنقادُ له لتركبنَّ منه طبقاً[٤] تخافه .

فقال معاوية : إنْ يطلبْ مروان هذا الأمر فقد طَمِع فيه مَنْ هو دونه ، وإنْ يتركه يتركه لمن فوقه ، وما أراكم منتهين حتى يبعثَ الله عليكم من لا يعطف عليكم بقرابة ، ولا يذكركم عند مُلمّة ، يسومكم خسفاً ، ويسوقكم عسفاً .

فقال ابن الزبير : إذنْ والله يطلق عقال الحرب بكتائب تمور[٥] كرجل الجراد ، تتبع غطريفاً[٦] من قريش لم تكن أمه راعية ثلّة[٧]

فقال معاوية : أنا ابن هند، أطلقتُ عقال الحرب ، فأكلتُ ذروة السنام ، وشربتُ عنفوان المكرع[٨] وليس للآكل بعدي إلا الفلذة[٩] ، ولا للشارب إلا الرنق[١٠] .

(١) من ستة أبيات في الأغاني . وأبو خبيب كنية ابن الزبير ؛ وخبيب ولده الأكبر . ويقال : نكده حاجته ؛ إذا منعه إياها

(٢) المشاقص : جمع مشقص ؛ وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

(٣) الخشاشة : واحدة الخشاش ؛ وهي حشرات الأرض والعصافير ونحوها .

(٤) الطبق : الحال ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾ .

(٥) تمور : تضطرب (٦) الغطريف : السيد الشريف

(٧) الثلة : جماعة الغنم ؛ أو الكثيرة منها

(٨) عنفوان الشيء : أوله ، أو أول بهجته . والمكرع : المورد ، مفعل من كرع في الماء أو الإناء

(٩) الفلذة : القطعة من اللحم (١٠) ماء رنق : كدر .

فسكت ابنُ الزبير .

● ● ●

قَدِمَ عبد الله بنُ الزُّبير على معاوية وافدا ، فرحَّب به وأدناه حتى أجلسه على سريره ، ثم قال : حاجَتَكَ أبا خُبَيْب ، فسأله أشياء ، ثم قال له : سَلْ غيرَ ماسألتَ ؟ قال : نعم . المهاجرون والأنصار تَرُدُّ عليهم فيئهم ، وتحفظ وصيَّةَ نبيِّ الله فيهم ، تقبَل من مُحسِنِهم ، وتتجاوز عن مُسِيئِهم .

قال معــاوية : هَيْهـاتَ هَيهات ، لا والله ما تأمَن النعجةُ الذئبَ وقد أكَل أَلْيَتَها[1] .

قال ابنُ الزُّبير . مَهْـلا يامعاوية ، فإنَّ الشاةَ لتَدِرُّ للحالب وإنَّ المُدْيةَ في يده وإنَّ الرجل الأديبَ ليُصانع ولدَه الذي خرجَ من صُلْبه ، وما تدور الرحى إلّا بقُطْبها ، ولا تَصلُح القوسُ إلّا بمَجْسِها[2] .

قال : ياأبا خُبَيب ، لقد أجررتَ الطَّرُوقة قبل هِباب الفَحْل[3] هيهات ، وهى لا تَصطكّ لحاثُها اصطكاكَ القروم السَّواى[4] .

قال ابنُ الزبير : العَطَن بعد العَلِّ والعلّ بعد النَّهَل ، ولا بدَّ للرحاء من الثِّفال[5]

ثم نهض ابنُ الزبير .

فلما كان العِشاء أخذتْ قُريش مجالسَها ، وخرج معاويةُ على بنى أُميّة فوجَد عمرو

---

(١) الألية : ماركب فى العظم من شحم ولحم . (٢) المجس : المقبض .

(٣) ناقة طروقة الفحل : بلغت أن يضربها الفحل . وأجره رسنه : جعله يجره . وهب الفحل من الإبل وغيرها هبابا وهبيبا ، أراد السفاد .

(٤) تصطك : تضطرب . والقروم : جمع قرم ؛ وهو الفحل . والسواى : جمع سام ، وصف من سما الفحل سماوه : تطاول من الناقة التى تشول بذنبها رغبة اللقاح .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الحوض . والعل والعلل : الشرب الثانى . والنهل : الشرب الأول . والثفال : جلد أو نحوه يبسط تحت الرحى ليقع عليه الطحين .

ابنَ العاص فيهم ، فقال : ويحكم يا بنى أميّة ! أفيكم من يكفينى ابنَ الزبير ؟ فقال عمرو : أنا أكفيكه يا أميرَ المؤمنين ؛ قال ما أظنك تفعل ؟ قال : بلى والله لأربدنّ وجهه[1] ولأخرسنّ لسانه ، ولأردنّه ألينَ من خِبلة[2] .

فقال : دونك ، فاعرض له إذا دخل ، فدخل ابنُ الزبير ، وكان قد بلغه كلامُ معاوية وعمرو ، فجلس نصب عينى عمرو ، فتحدثوا ساعةً ثمّ قال عمرو :

وإنى لنارٌ ما يطاقُ اصطلاؤها — لدىّ كلامٌ معضِلٌ متفاقم[3]

فأطرق ابنُ الزبير ساعةً ينكتُ فى الأرض ، ثمّ رفع رأسه وقال :

وإنّى لبحرٌ ما يُسامى عُبابُه — متى يَلقَ بحرى حرَّ نارك يَخمد

فقال عمرو : والله يابن الزبير إنك ما علمتَ لتجذبُ أحلابيب الفتنة متأزر بوصائل[4] التّيه ، تتعاطى الذُّرا الشاهقة ، والمعالىَ الباسقة . وما أنت من قريش فى لباب جوهرها ولا مؤنق حسبها[5] .

فقال ابن الزبير : أما ما ذكرتَ من تعاطىّ الذرا فإنّه طال بى إليها وسما ، ما لا يطول بك مثلُه أنفٌ حمِىٌّ ، وقلبٌ ذكِىٌّ ، وصارمٌ مشرَقىٌّ ، فى تليدٍ فارع[6] ، وطريفٍ مانع ، إذ قعد بك انتفاخ سَحْرِك[7] ، ووَجيب قلبك[8] . وأمّا ما ذكرت من أنى لستُ من قريش فى لُباب جوهرها ، ومؤنِق حسبها ، فقد حضرتنى وإياك الأكفاء العالمون بى وبك ، فاجعلهم بينى وبينك .

---

(١) أى لأصيرنه أربد ، والربدة : لون إلى الغبرة .

(٢) الخبلة : القديمة .

(٣) الوصائل : جمع وصيلة ؛ وهى ثوب مخطط يمان .

(٤) تفاقم الأمر ، إذا عظم .

(٥) آنق الشىء إيناقا ؛ أعجب فهو مؤنق .

(٦) فارع : عال .

(٧) السحر : الرئة ؛ ويقال : انتفخ سحره ، أى عدا طوره .

(٨) وجيب القلب : خفقانه واضطرابه .

فقال القوم : قد أنصفك ياعمرو ، قال : قد فعتُ .

فقال ابن الزبير : أما إذ أمكننى اللهُ منك فلأربنّ وجهك ، ولأخرسنّ لسانك ولترجعنّ فى هذه الليلة ، وكأن الذى بين منكبيك مشدود إلى عروق أخدعيك ؛ ثمّ قال : أقسمتُ عليكم يامعاشرَ قريش ، أنا أفضلُ فى دين الإسلام أم عمرو ؟ فقالوا : اللهمّ أنت ، قال : فأبى أفضلُ أم أبوه ؟ قالوا : أبوك حوارىّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وابنُ عمّته ؛ قال : فأمى أفضلُ أم أمّه ؟ قالوا : أمّك أسماء بنتُ أبى بكر الصّدّيق، وذاتُ النّطاقين؛قال : فعمّتى أفضلُ أم عمّتُه؟ قالوا : عمّتُك خديجة بنت خويلد صاحبةُ رسول الله صلى الله عليه وآله أفضلُ من عمّته ، قال : فخالتى أفضلُ أم خالته ؟ قالوا : خالتك عائشةُ أمُّ المؤمنين ، قال : فجدّتى أفضلُ أم جدّته ؟ قالوا : جدّتك صفيّة بنتُ عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : فجدى أفضلُ أم جدّه ؟ قالوا : جدّك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال :

قَضَت الغطارفُ من قُرَيش بيننا ... فاصبر لفصل خطابها وقضائها[1]

وإذا جريتَ فلا تجارِ مبرّزا ... بذّ الجياد على احتفال جرائها[2]

أما والله يابن العاص لو أن الذى أمرك بهذا واجهنى بمثله لقصّرت إليه من سامى بصره ولتركته يتلجلج لسانه ، وتضطرم النار فى جوفه ، ولقد استعان منك بغير وادٍ ولجأ إلى غير كافٍ ، ثمّ قام فخرج .

* * *

وذكر المسعودىّ فى كتاب مُرُوج الذهب أنّ الحجّاج لما حاصر ابن الزبير لم يزل يزحف حتى مَلَك الجبل المعروف بأبى قُبَيس ، وقد كان بيد ابن الزبير ، فكتب

(١) الغطارف : جمع غطريف ؛ وهو السيد .

(٢) برز تبريزا : فاق أصحابه ، وبذّ : فاق وغلب . واحتفل القوم : اجتمعوا . والجراء والمجاراة ، مصدر «جارى» .

بذلك إلى عبد الملك ، فلما قرأ كتابه كبّر وكبّر من كان فى داره حتى اتصل التكبير بأهل السّوق ، فكبّروا ، وسأل الناسُ ما الخبر؟ فقيل لهم : إن الحجاج حاصرَ ابنَ الزبير بمكة ، وظفر بأبى قُبَيْس ، فقال الناس : لا نرضى حتى يَحمل أبو خُبَيْب إلينا مكبَّلاً على رأسِه بُرْنُس ، راكبُ جملٍ ، يطوف به فى الأسواق تراه العيون .

* * *

وذكر المسعوديُّ أنّ عمة عبدِ الملك كانت تحت عروة بن الزّبير ، وأنّ عبد الملك كتب إلى الحجّاج يأمره بالكفّ عن عُرْوة ، وذلك قبل أن يقتل عبدُ الله وألاّ يسوءه إذا ظَفِر بأخيه فى ماله ولا فى نفسِه ؛ قال : فلما اشتدّ الحصار على عبد الله خرج عُرْوة إلى الحجّاج فأخذ لعبد الله أماناً ورَجَع إليه ، فقال : هذا عمرو بنُ عثمان ، وخالدُ بنُ عبدِ الله بن خالد بن أسيد ، وهما فتيا بنى أمية يعطيانك أمان عبدِ الملك ابن عمّهما على ما أحدثتَ أنتَ ومن معك ، وأن تنزل أىّ البلادِ شئت ، ولك بذلك عهدُ الله وميثاقُه ، فأبَى عبدُ الله قبول ذلك ، ونهته أمّه وقالت : لا تموتنّ إلا كريماً ؛ فقال لها : إنى أخاف إنْ قُتِلتُ أن أُصابَ أو يمثّل بى ، فقالت : إنّ الشاة بعد الذّبح لا تُحِسّ بالسّلخ .

* * *

وروى المسعوديُّ أنّ عبد الله بن الزّبير بعد موت يزيد بن معاوية طلَبَ مَن يؤمّره على الكوفة ، وقد كان أهلها أحبّوا أن يليَهم غير بنى أمية ، فقال له المختار بنُ أبى عُبَيد : اطلُبْ رجلاً له رِفق وعلم بما تأتى وتدبر قوله إياها يستخرجْ لك منها جنداً تغلب به أهل الشام ، فقال : أنت لها ، فبعثه إلى الكوفة فأتاها وأخرج ابن مطيع منها ، وابتنى لنفسه داراً وأنفق عليها مالاً جليلا ، وسأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال العراق ، فلم يفعل ، فخلعه وجحَد بيعته ، ودعا إلى الطالبيين .

قال المسعودىّ : وأظهرَ عبدُ الله بنُ الزّبير الزّهدَ فى الدّنيا ، وملازمةَ العبادة مع الحِرْص على الخلافة وشِبَرِ بَطْنه ، فقال : إنما بَطْنى شِبْر ، فما عسَى أن يسَعَ ذلك الشّبْر ! وظَهَرَ عنه شُحٌّ عظيم على سائرِ الناس ، فى ذلك يقول أبو حمزة مولى آلِ الزّبير :

إنّ الموالىَ أمستْ وهى عاتبةٌ ... على الخليفةِ تَشكو الجوعَ والحَرَبا
ماذا علينا وماذا كان يرزؤنا ... أىّ الملوك على ما حولنا غلبا !

وقال فيه أيضاً :

لو كان بطنُك شبراً قد شبعتَ وقد ... أفضَلْتَ فضلاً كثيراً للمساكين
ما زلتَ فى سُورةِ الأعرافِ تَدرُسُها ... حتّى فؤادىَ مثلُ الخزّ فى اللّينِ

وقال فيه شاعرٌ أيضاً ، لمّا كانت الحرب بينه وبين الحصين بن نُمير قبل أن يموت يزيدُ بنُ معاويةَ :

فيا راكباً إمّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ ... كبيرَ بنى العوّام إنْ قيلَ مَن تعْنِى
تُخبِّرُ مَنْ لاقيتَ أنّك عائذٌ ... وتُكثِرُ قَتْلَى بين زمزمَ والرُّكْنِ

وقال الضّحّاكُ بن فَيروز الدَّيلمىّ :

تُخبِّرُنا أنْ سوف تَكفيكَ قَبضةٌ ... وبَطنُكَ شِبرٌ أو أقلُّ من الشِّبْرِ
وأنتَ إذا ما نلتَ شيئاً قضمْتَه ... كما قَضَمَتْ نارُ الغضا حَطَبَ السِّدْرِ
فلو كنتَ تَجزِى أو تُثيبُ بنعمةٍ ... قريباً لردّتك العطوفُ على عَمرو

قال : هو عَمرو بنُ الزّبير أخوه ، ضربَه عبدُ الله حتّى مات وكان مباينًا له [١] .

---

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٤ ، ٨٥

كان يزيدُ بنُ معاوية قد ولَّى الوليدَ بنَ عُتْبة بن أبي سُفْيان المدينة ، فسرَّح الوليد منها جيشًا إلى مكّة لحرب عبد الله بن الزبير ، عليه عمرو بنُ الزبير ، فلمّا تصافَّ القومُ انهزم رجالُ عمرو وأسلموه ، فظفِر به عبدُ الله ، فأقامه للناس بباب المسجد مجرَّدا ، ولم يزل يضرِبه بالسِّياط حتى مات[1] .

وقد رأيتُ في غير كتاب المسعودى أنّ عبدَ الله وجد عمرًا عند بعض زوجاته، وله في ذلك خبرٌ لا أحبُّ أن أذكره .

* * *

قال المسعودى : ثمّ إنّ عبدَ الله بنَ الزبير حبَس الحسنَ بنَ محمّد بن الحنفيّة في حبْس مظلم[2] ، وأراد قتله ، فأعمَل الحيلةَ حتى تخلّص من السجن ، وتعسّف الطريقَ على الجبال ، حتى أتى مِنى ، وبها أبوه محمّد بنُ الحنفيّة[3] .

ثمّ إنّ عبد الله جمع بني هاشم كلَّهم في سجن عارم ، وأراد أن يحرقهم بالنار ، وجعل في فم الشِّعب حطبًا كثيرا ، فأرسل مختارٌ أبا عبد الله الجدلىّ في أربعة آلاف ، فقال أبو عبد الله لأصحابه : وَيْحَكم ! إنْ بلغ ابنَ الزبير الخبرُ عجّل على بني هاشم فأتى عليهم ، فانتدب هو بنفسه في ثمانمائة فارس جريدةً ، فما شعَر بهم ابن الزبير إلّا والرايات تخفق بمكّة ، فقصد قصدَ الشِّعب ، فأخرج الهاشميّين منه ، ونادى بشعار محمّد بن الحنفيّة ، وسمّاه المهدىّ ، وهرَب ابنُ الزبير ، فلاذ بأستار الكعبة ، فمنعهم محمّدُ بنُ الحنفيّة عن طلبه

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥
(٢) مروج الذهب : « سجن عارم » .
(٣) في مروج الذهب : « في ذلك يقول كثير :

تُخبِّرُ مَن لاقيتَ أنّك عائذٌ	بل العائذُ المظلومُ في سجنِ عارمِ
ومَن يرَ هذا الشيخَ بالخيفِ من مِنًى	من الناسِ يعلمْ أنّه غيرُ ظالمِ
سَمِيُّ نبيِّ الله وابنُ وصيِّه	وفكّاكُ أغلالٍ وقاضي مغارمِ

وعن الحرب ، وقال : لا أريد الخلافة إلا إن طلبني الناس كلهم واتفقوا على كلهم، ولا حاجة لي في الحرب [١].

* * *

قال المسعودي : وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب ، وجمعه الحطب ليحرقهم ويقول : إنما أراد بذلك ألا تنتشر الكلمة ، ولا يختلف المسلمون ، وأن يدخلوا في الطاعة ، فتكون الكلمة واحدة ، كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر ، فإنه أحضر الحطب ليحرق عليهم الدار [٢].

* * *

قال المسعودي : وخطب ابن الزبير يوم قدم أبو عبد الله الجدلي قبل قدومه بساعتين ، فقال : إن هذا الغلام محمد بن الحنفية قد أبى بيعتي ، والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس ثم أضرم عليه مكانه نارا ، فدخل إنسان إلى محمد فأخبره بذلك ؛ فقال : سيمنعه مني حجاب قوي ، فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس ، ويرقب غيبوبتها ليعلم ما يصنع ابن الزبير ، فلما كادت تغرب حاست [٣] خيل أبي عبد الله الجدلي ديار مكة وجعلت تمعج [٤] بين الصفا والمروة ، وجاء أبو عبد الله الجدلي بنفسه فوقف على فم الشعب ، واستخرج محمدا ، ونادى بشعاره ، واستأذنه في قتل ابن الزبير ، فكره ذلك ولم يأذن فيه ، وخرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات [٥].

* * *

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥ (٢) مروج الذهب ٣ : ٨٦
(٣) حاست الخيل : أحاطت بها من كل جانب
(٤) تمعج : تشتد في عدوها يمينا وشمالا .
(٥) مروج الذهب ٣ : ٨٦ ، ٨٧

وروى المسعودىُّ عن سعيد بن جُبير ، أنّ ابنَ عباس دخل على ابن الزبير فقال له ابنُ الزبير : إلامَ[1] تؤنّبنى وتنقّصنى ! قال ابنُ عباس : إنّى سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول : « بئس المرء المُسلِم يَشبَع ويَجوعُ جارُه ! » ، وأنتَ ذلك الرّجل ، فقال ابنُ الزّبير : واللهِ إنّى لأَكتُمُ بُغضَكم أهلَ هذا البيت منذُ أربعين سنةً . وتشاجرَا ، فخرجَ ابنُ عباسٍ من مكّة ، [خوفا على نفسه] فأقام بالطّائف حتّى مات[2] .

* * *

وروى أبو الفرَج الأصفهانىّ[3] قال : أتى فضَالة بن شَريك الوالبىّ ثمّ الأسدىّ من بنى أسَد بن خُزَيمة عبدَ الله بنَ الزّبير فقال : نفِدتْ نفَقتى ، ونقِبتْ ناقتى ، فقال : أحضِرْنيها ، فأحضَرَها ، فقال : أقبِلْ بها ، أدبِرْ بها ، ففَعَل ، فقال : ارقَعْها بسِبْتٍ ، واخصِفْها بهُلْب ، وأنجِدْ بهـا يَبرُدْ خُفُّها ، وسِرِ البَرْدَيْن تصِحّ . فقال فضالة : إنّى أتيتُك مستحمِلا ، ولم آتِكَ مستوصِفاً ، فلعَن اللهُ ناقةً حملَتْنى إليكَ ! فقال : إنّ وراكبَها !

فقال فضالة :

أقول لغِلْمَةٍ شُـــــدُّوا رِكابى ... أُجاوِزْ بطنَ مكّةَ فى سَوادِ

فمالى حينَ أقطعُ ذاتَ عِرقٍ ... إلى ابنِ الكاهليّة من مَعادِ[4]

سيُبعِد بينَنـــــا نَصُّ المطَايا ... وتَعليقُ الإداوَى والمَزادِ[5]

وكلَّ معبَّـــــدٍ قد أعلمَتْه ... مَناسِمُهنَّ طــــلَّاعَ النِّجادِ[6]

---

(١) فى د : « علام » .
(٢) مروج الذهب ٣ : ٨٩ والزيادة منه
(٣) الأغانى ١ : ١٥ ، ١٦
(٤) ذات عرق : مهل أهل العراق ؛ وهو الحد بين نجد وتهامة .
(٥) نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير . والأداوى : جمع إداوة ؛ وهى وعاء الماء . والمزاد : جمع مزادة ؛ وهى الراوية يحمل فيها الماء .
(٦) المعبد : الطريق المذلل . وأعلمته مناسمهن : أثرت فيه بأخفافها . والنجاد : جمع نجد ؛ وهو ما غلظ من الأرض .

أرى حاجاتٍ عند أبي خُبَيبٍ ... نَكِدْنَ ولا أُميَّـــةَ بالبِلادِ

من الأعياصِ أو مِن آلِ حَرْبٍ ... أغرَّ كغُرَّةِ الفَرَسِ الجَـــوادِ

ـ قال : ابنُ الكاهليَّة هو عبدُ الله بن الزبير ، والكاهليَّة هذه هي أمُّ خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى ، وأمُّها زُهْرة بنت عمرو بن خَنْثَر بن رُوَيبة بن هِلال ، من بني كاهِل بن أسد بن خزيمة ـ قال : فقال عبدُ الله بن الزبير لما بلغه الشعر : عَلِم أنها شرُّ أمهاتي فعيَّرني بها ، وهي خيرُ عمّاته .

* * *

وروى أبو الفرج قال : كانت صفيَّة بنتُ أبي عبيد بن مسعود الثَّقَفيّ تحت عبدِ الله ابن عمر بن الخطاب فمشى ابن الزبير إليها ، فذكر لها أنَّ خروجه كان غضبًا لله عزَّ وجلَّ ولرسوله صلّى الله عليه وآله وللمهاجرين والأنصار من أثَرَة معاوية وابنه بالفَيْء ، وسألها مسألة زوجها عبد الله بن عمر أن يبايعه ، فلما قدَّمت له عشاءه ذكرت له أمرَ ابن الزبير وعبادته واجتهاده ، وأثنت عليه ، وقالت : إنه ليدعو[1] إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ ، وأكثرتْ القولَ في ذلك ، فقال لها : ويحكِ ! أما رأيتِ البَغَلات الشُّهْب التي كان يحجّ معاوية عليها ، وتقدم إلينا من الشام ؟ قالت : بلى ؛ قال : والله ما يريدُ ابنُ الزبير بعبادته غيرهنّ[2] !

(١) ف : « إنه لا يدعو إلى طاعة الله » (٢) الأغاني ١ : ٢٢ ، ٢٣ .

الأصْـلُ :

وقال عليهِ السلامُ :

مالابْنِ آدمَ والفخرُ ! أوّلُهُ نُطفةٌ ، وآخِرُهُ جِيفةٌ . لا يَرْزُقُ نفسَهُ ، ولا يَدْفعُ حتْفَهُ .

* * *

الشَّـرْحُ :

قد تقدم كلامُنا فى الفخر ، وذكرْنا الشعرَ الذى أُخِذ من هـذا الكلام ، وهو قولُ القائل :

مابالُ مَن أوّلُه نُطفـــــةٌ وجيفةٌ آخِـــرُه يفخَرُ
يُصبِح مايَملِكُ تقديمَ ما يرجُو ولا تأخيرَ مايَحذَرُ !

* * *

[فصل فى الفخر وما قيل فى النهى عنه]

وقال بعضُ الحكماء : الفخر هو المُباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان ، وذلك نهايةُ الحمق لمن نظر بعيْن عقلِه ، وحسَر عنه قِناع جهله ، فأعراض الدنيا عاريةٌ مستَرَدّة ، لا يؤمَن فى كلّ ساعة أن تُرتجَع ، والمُباهِى بها مُباهٍ بما فى غير ذاتِه .

وقد قال لبعض مَن فخرَ بثروته ووَفره : إن افتخرتَ بفرَسِك فالحُسنُ والفراهة له دونك ، وإن افتخرتَ بثيابك وآلاتك فالجمالُ لها دونك ، وإن افتخرتَ بآبائك

وسَابِقك فالفضلُ فيهم لا فيك ، ولو تكلّمت هذه الأشياء لقالت لك : هذه محاسننا فما محاسنك !

وأيضا فإن الأعراض الدنيويّة كما قيل : سحابةُ صَيف عن قليلٍ تقشَّع ، وظلٌّ زائل عن قريب يضمحلّ ، كما قال الشاعر :

إنّما الدّنيا كرُؤيا فرّحت من رآها ساعةً ثمّ انقضت

بل كما قال تعالى : ﴿ إنّما مَثَلُ الحياة الدّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نباتُ الأرض ممّا يأكل النّاس والأنعامُ حتّى إذا أخذتِ الأرضُ زخرفَها وازّيّنت وظنَّ أهلُها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأنْ لم تغنَ بالأمس ﴾ [١] .

وإذا كان لا بدّ من الفخر فليفخر الإنسانُ بعلمه وشريف خُلُقه ، وإذا أعجبك من الدّنيا شيء فاذكر فناءك وبقاءه ، أو بقاءك وفناءه ، أو فناءكما جميعا ، وإذا راقك ما هو لك فانظر إلى قُرب خروجه من يدك ، وبُعد رجوعه إليك ، وطُول حسابك عليه ، وقد ذمّ الله الفخور فقال : ﴿ والله لا يحبّ كلّ مختالٍ فخور ﴾ [٢] .

---

(١) سورة يونس ٢٤ (٢) سورة الحديد ٢٣

(٤٦٠)

الأصل

الغِنَى والفَقْرُ بَعْدَ العَرْضِ عَلَى اللهِ تعالى .

* * *

الشرح

أى لا يُعَدّ الغنىّ غنيًا فى الحقيقة إلا من حَصَلَ له ثوابُ الآخرة الذى لا يَنقطع أبدا ولا يعدّ الفقير فقيراً إلّا مَنْ لم يَحصُل له ذلك ، فإنه لا يزال شقيًا معذّبا ، وذلك هو الفَقْر بالحقيقة .

وأمّا غِنَى الدنيا وفَقْرُها فأمران عَرَضيّان ، زوالهما سريع ، وانقضاؤهما وشيك .

وإطلاق هاتَيْن اللفظتين على مُسَمّاهما الدّنيوىّ على سبيلِ المجاز عند أربابِ الطريقة ، أعنِي العارفين .

الأمثل :

وسُئِلَ عَنْ أشعرِ الشُّعراء ، فقال عليه السلامُ .

إنَّ القَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعرفُ الغايةُ عِنْدَ قَصَبَتِها ، فإنْ كانَ ولا بُدَّ فالمَلِكُ الضِّلِّيلُ .

قال : يُرِيدُ امْرَأَ القَيْس .

•••

[في مجلس علي بن أبي طالب]

الشَّرحُ :

قرأتُ في أمالِي ابن دُرَيد ، قال : أخبرنا حرمُوزيّ ، عن ابنِ المهلبيّ ، عن ابن الكلبيّ ، عن شدّاد بن إبراهيم ، عن عبيدِ الله بن الحسَن العَنبريّ ، عن ابن عرادة ، قال : كان عليّ بنُ أبي طالب عليه السلام يُعشّي الناسَ في شهر رمضان باللحم ولا يتعشّى معهم ، فإذا فرَغوا خطَبَهم ووعَظَهم ، فأفاضوا ليلةً في الشُّعراء وهم على عَشائِهم ، فلمّا فرَغوا خطَبَهم عليه السلام وقال في خُطبته : اعلموا أنّ مِلاكَ أمرِكم الدِّين ، وعِصمتَكم التقوى ، وزينتَكم الأدب ، وحُصون أعراضكم الحِلْم ؛ ثم قال : قل يا أبا الأسوَد : فِيمَ[1] كُنتم تفيضون فيه؟ أيّ الشعراء أشعر ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين الّذي يقول :

ولقد أغتدي يُدافِـــعُ رُكني   أعوجيٌّ ذو ميعةٍ إضريجُ[2]

(١) في د : « ما كنتم » ؛ وهو وجه أيضاً .   (٢) ديوان أبي دواد ٢٩٩ .

مِخَطٌّ مِرْجَلٌ مِعَنٌّ مِعَنٌّ منفح مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجٌ

يعنى أبا دُواد الإيادىّ ، فقال عليه السلام : ليس به ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ فقال : لو رُفعتْ للقوم غايةٌ فجرَوْا إليها معاً علمنا مَن السابقُ منهم ، ولكنْ إنْ يكن فالذى لم يَقُل عن رَغبة ولا رَهْبة . قيل : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو المَلِكُ الضِّلِّيل ذو القُروح ، قيل : امرُؤ القيس يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو . قيل : فأخبِرْنا عن ليلة القَدْر ؟ قال : ما أخلو من أن أكون أعلمها فأستُر علمها ، ولستُ أشُكُّ أنّ الله إنما يَستُرها عنكم نظراً لكم ، لأنه لو أعلمكموها عمِلتم فيها وتركتم غيرها ، وأرجو أن لا تُخطئكم إن شاء الله ، انهضوا رحمكم الله

وقال ابن دُرَيْد لمّا فرغ من خبر الصريخ : يشتق فى عَدْوه ، وقيل واسعُ الصَّدْر ومنفح : يُخرج الصَّيد من مَواضعه ، ومِطْرَح : يطرح بَصَره ، وخَروج : سابقٌ .

والغاية بالغين المعجمة : الراية ، قال شاعر :

وإذا غايةُ مجدٍ رُفعتْ نهض الصَّلتُ إليها فحَواها

ويُروى قولُ الشَّمّاخ :

إذا ما رايةٌ رُفعتْ لمجدٍ تلقّاها عَرابةُ باليَمِين[1]

باليَمين ، والراية أكثر . فأما البيت الأول فالغين لا غير ، أنشده الخليل فى عَرُوضه ، وفى حديثٍ طويلٍ فى الصحيح : « فيأتونكم تحت ثمانين غايةً ، تحت كلّ غايةٍ اثنا عشر ألفاً » . والمَيعة : أوّل جَرْى الفَرَس ؛ وقيل : الجَرْى بعد الجَرْى .

* * *

(١) ديوانه ٩٧

[اختلاف العلماء فى تفضيل بعض الشعراء على بعض]

وأنا أذكرُ فى هذا المَوضعِ ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، وأبتدئ فى ذلك بما ذكره أبو الفرج علىّ بن الحسين الأصفهانى فى كتاب الأغانى .

قال أبو الفرَج : الثلاثة المقدَّمون على الشعراء : امرؤ القيس ، وزُهير ، والنابغة ، لا اختلاف فى أنَّهم مقدَّمون على الشعراء كلِّهم ، وإنما اختُلِف فى تقديم بعض الثلاثة على بعض [١] .

قال : فأخبرنى أبو خليفة ، عن محمد بن سلاّم ، عن أبى قيس ، عن عكرمة بن جَرير ، عن أبيه ، قال : شاعرُ أهل الجاهليّة زهير .

قال : وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ ، قال : حدثنى عمرُ بنُ شبّة ، عن هارون بن عمر ، عن أيوب بن سُوَيد ، عن يحيى بن زياد ، عن عمر بن عبد الله الليثىّ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطاب ليلةً فى مسيره إلى الجابية : أين عبدُ الله بنُ عبّاس ؟ فأُتى به ، فشكا إليه تخلُّف علىّ بن أبى طالب عليه السلام عنه . قال ابن عباس : فقلتُ له : أو لم يعتذِر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : فهو ما اعتذر به . قال : ثم أنشأ يحدّثنى فقال : إن أوّل من راثكم عن هذا الأمر أبو بكر ؛ إن قومَكم كرِهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوّة. قال أبو الفرَج : ثمّ ذكر قصةً طويلةً ليستْ من هذا الباب [٢] ، فكرهتُ ذكرها ثمّ قال : يا بن عبّاس ، هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومَن هو ؟ قال : وَيْحَكَ ! شاعرُ الشعراء ، الذى يقول :

فلو أنّ حَمْدًا يُخْلِدُ الناسَ خَلّدوا ... ولكنّ حَمْدَ الناسِ ليس بمخلِدِ

---

(١) الأغانى ١٠ : ٢٨٨

(٢) ذكرت هذه القصة مفصلة فى الطبرى ٤ : ٢٢٢ — ٢٢٤ (طبع المعارف)

فقلتُ : ذاك زُهَير ، فقال : ذاك شاعرُ الشّعراء ؛ قلتُ : وبم كان شاعرَ الشّعراء ؟ قال : إنه كان لا يُعاظِل الكلام ، ويتجنّب وحشيّه ، ولا يمدَح أحداً إلاّ بما فيه .

قال أبو الفرج : وأخبرنى أبو خليفة قال : قال ابن سلّام : وأخبرنى عمرُ بنُ موسى الجمحىّ ، عن أخيه قدامة بن موسى — وكان من أهل العِلم — أنه كان يقدِّم زُهَيرا ، قال : فقلتُ له : أىُّ شعره كان أعجب إليه ؟ فقال : الذى يقول فيه :

قد جعل المبتغون الخيرَ فى هَرِمٍ والسائلون إلى أبوابه طرقا[1]

قال ابن سلّام : وأخبرنى أبو قيس العنبرىّ — ولم أرَ بدويًّا يفى به — عن عكرمة ابن جرير ، قال : قلت لأبى : يا أبت ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أعَن أهل الجاهلية تسألنى ، أم عن أهل الإسلام ؟ قال : قلتُ : ما أردت إلا الإسلام ، فإذ كنتَ قد ذكرت الجاهلية فأخبرنى عن أهلِها ؛ فقال : زُهير أشعرُ أهلها ، قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نبعة الشّعر ؛ قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيدُ مَدح الملوك ، ويصف وصف الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : إنى نحرت الشعر نحرا[2] .

قال : وأخبرنى الحسن بن علىّ قال : أخبرنا الحارثُ بن محمد عن المدائنىّ ، عن عيسى بن يزيد ، قال : سأل معاوية الأحنف ، أشعرَ الشعراء ؟ فقال : زُهير ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : ألقى على المادحين فضول الكلام ، وأخذ خالصَه وصفوته ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

وما يك من خير أتَوْه فإنما توارثه آباء آبائهم قبلُ

وهل يُنبتُ الخطّىَّ إلاّ وشيجُهُ وتُغرَس إلاّ فى منابتها النخلُ[3]

قال : وأخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز ، قال : حدثنا عمرُ بنُ شبّة ، قال : حدثنا

---

(١) الأغانى ١٠ : ٢٨٨ ، ٢٨٩

(٢) الأغانى ١٠ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ وفى د « نحرت الشعر نحرا » .

(٣) الأغانى ١٠ : ٢٩٠

عبد الله بن عمرو القيسي قال : حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبي سفيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : خرجتُ مع عمر في أول غزاة غزاها ، فقال لي ليلة : يابن عباس ، أنشدني لشاعر الشعراء ؛ قلتُ : مَن هو ؟ قال : ابن أبي سلمى . قلتُ : ولم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يَتْبَع حُوشيّ الكلام ، ولا يُعاظِل في مَنطِقه ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، أليس هو الذي يقول :

إذا ابتدرَتْ قيسُ بنُ عَيلانَ غايةً إلى المجد مَن يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ
سَبَقت إليهـا كلَّ طَلْقٍ مبرِّز سَبُوقٍ إلى الغايات غير مُزَنَّدِ

قال : أي لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسَّوْط

كفضل جَواد يسبق الخيلَ عَفْوُه الـسـريع وإن يَجهد ويَجهدْنَ يَبْعُدِ
فلو كان حمداً يخلد الناس لم تَمُتْ[1] ولكنَّ حمد الناس ليس بمُخلِدِ

أنشدني له ، فأنشدته حتى برَق الفجر ، فقال : حسبُك الآن ، اقرأ القرآن . قلت : ما أقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، ونزل فأذّن وصلّى[2] .

وقال محمد بن سلّام في كتاب " طبقات الشعراء " : دخل الحطيئة على سعيد بن العاص متنكِّرا ، فلما قام الناسُ وبقي الخواصّ أراد الحاجبُ أن يقيمه ، وأبى أن يقوم ، فقال سعيد : دعْه ؛ وتذاكروا أيام العرب وأشعارها ، فلما أسهبوا قال الحطيئة : ما صنعتم شيئاً ؛ فقال سعيد : فهل عندك علمٌ من ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرُ العرب ؟ قال : الذي يقول :

قد جعل المُبتغون الخير في هَرِمٍ والسائلون إلى أبوابه طُرُقا

قال : ثمَّ من ؟ قال : الذي يقول :

---

(١) في د « خلدوا » .   (٢) الأغاني ١٠ : ٢٩٠ ، ٢٩١

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعَتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

يعنى زُهَيرا ، ثمّ النابغة ؛ ثمّ قال : وحسْبُك بى إذا وضعتُ إحدى رجلىَّ على الأخرى ثم عوَيْتُ فى إِثْر القوافى كما يعوى الفَصِيل فى أثرِ أمه ! قال : فمن أنت ؟ قال : أنا الحطيئة ، فرحّب به سعيد ، وأمر له بألف دينار .

قال : وقال من احتج لزهير : كان أحسَنَهم شعرا ، وأبعدَهم من سُخْف ، وأجمعهم لكثير من المعنى فى قليلٍ من المنطق ، وأشدَّهم مبالغة فى المدح ، وأبعدهم تكلفا وحرفيّة وأكثرهم حكمة ومثَلا سائرا فى شعره .

وقد روى ابن عبّاس عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضلُ شُعَرائكم القائل ومَن ومَن » ، يعنى زهيرا ، وذلك فى قصيدته التى أولها : « أمِنْ أمِّ أوْفى » يقول فيها :

ومَن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضله على قومه يُستغنَ عنه ويُذْمَمِ

ومن لم يَذُدْ عن حَوضِه بسلاحِه يُهدَّمْ ، ومن لا يظلِم الناس يُظلَمِ

ومن هابَ أسبابَ المنايا ينَلْنَه ولو نال أسبابَ السَّماء بسُلَّمِ

ومَن يجعل المعروفَ من دُونِ عِرضِه يَفِرْهُ ومن لا يتّقِ الشَّتْم يُشتَمِ

* * *

فأما القول فى النابغة الذُّبْيانىّ فإن أبا الفَرَج الأصفهانى قال فى كتاب الأغانى : كُنْيَة النابغة أبو أمامة ، واسمُه زياد بن معاوية ، ولُقِّب بالنابغة لقوله [١] :

* فقد نبغَتْ لهم مِنّا شئون *

وهو أحدُ الأشراف الذين غضّ الشِّعر منهم ، وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء .

---

(١) الأغانى ١١ : ٣ .

أخبرنى أحمد بنُ عبد العزيز الجوهرىّ وحبيب بن نَصْر قالا : حدّثنا عمرُ بنُ شَبّة ، قال : حــدّثنى أبو نعيم ، قال : شريكٌ عن مُجــالد ، عن الشّعْبى ، عن رِبْعىّ ابن حِراش ، قال : قال لنا عمر . يامعشرَ غَطَفان ، مَن الّذى يقول :

أتيتُكَ عارياً خَلَقــاً ثيــابى ... على خوفٍ تُظَنُّ بِىَ الظنونُ

قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعرُ شُعرائكم[1] .

قلتُ : قولُه : «أشعَر شُعرائكم» ، لا يدلّ على أنّه أشعَرُ العرب ، لأنّه جعلَه أشعر شعراء غَطَفان ، فليس كقوله فى زُهــير شاعرُ الشّعراء ، ولــكنّ أبا الفرج قد روَى بعدَ هذا خبراً آخرَ صريحا فى أنّ النابغة عند عمر أشعرُ العرَب . قال : حدّثنى أحمدُ وحبيب ، عن عمرَ بنِ شَبّة ، قال : حــدّثنا عبيد بن جنّاد ، قال : حدّثنا مَعْن بنُ عبدالرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَمىّ ، عن جدّه ، عن الشّعبىّ قال : قال عمر يوما : مَن أشعَر الشعراء ؟ فقيل له : أنتَ أعلم ياأميرَ المؤمنين ؟ قال : من الذى يقول :

إلّا سُليمانَ إذ قال المليــكُ له ... قُمْ فى البَرِيّة فاحدُدْها عن الفَنَدِ[2]

وخيِّس الجنّ إنّى قد أذِنتُ لهم[3] ... يَبْنُون تدمُرَ بالصُّفّاح والعَمَدِ[4]

قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الّذى يقول :

أتيتُك عارياً خَلَقاً ثيابى ... على خوفٍ تُظَنّ بىَ الظنونُ

قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الّذى يقول :

حَلَفتُ فلم أترُكْ لنفسِكَ رِيبةً ... وليس وراءَ الله للمرء مَــذهَبُ

لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّى خيانةً ... لَمُبلِغُك الواشى أغشُّ وأكذَبُ[5]

---

(١) الأغانى ١١ : ٣ ، ٤ . (٢) فاحددها : فامنعها . والفند : الخطأ .

(٣) خيس الجن : أى ذللهم ؛ وفى الأغانى : « وخبر الجن » .

(٤) تدمر : مدينة مشهورة قديمة كانت ببرية الشام . والصفاح : حجارة دقاق عراض واحدها صفاحة . والعمد : جمع عمود . (٥) بعده فى الأغانى :

وَلَستَ بمستَبْقٍ أخاً لا تلُمّهُ ... على شَعَثٍ ؛ أىّ الرجال المهذّبُ !

قالوا : النّابغة ، قال : فهو أشعَرُ العرب[1] .

قال : وأخبرَنى أحمدُ ، قال : حدثنا عمر ، قال : حدثنى علىُّ بنُ محمّد المَدائنىّ قال : قام رجل إلى ابن عبّاس ، فقال له : أىُّ النّاس أشعَر ؟ قال : أخبِرْه يا أبا الأسْوَد ، فقال أبو الأسود : الّذى يقول :

فإنّكَ كاللّيلِ الّذى هو مُدْرِكى ... وإن خلتُ أنّ المُنتأى عنكَ واسعُ

يعنى النابغة[2] .

قال أبو الفرج : وأخبرنى أحمدُ وحبيب ، عن عمرَ عن أبى بكر العُلَيمىّ ، عن الأصمعىّ ؛ قال : كان يُضربُ للنابغة قُبّةٌ أدَمٍ بسُوقِ عُكاظ فتأتيه الشّعراء فتعرِض عليه أشعارَها ، فأنشده مرّة الأعشى ، ثم حسّان بنُ ثابت ، ثمّ قوم من الشعراء ، ثم جاءت الخنساء فأنشدَته :

وإنّ صَخراً لتأتمّ الهُداةُ به ... كأنّه عَلَمٌ فى رأسِه نارُ

فقال : لولا أنّ أبا بَصير ـ يعنى الأعشى ـ أنشدَنى آنفا لقلتُ : إنّكِ أشعرُ الإنس والجنّ . فقام حسّان بنُ ثابت فقال : أنا والله أشعَر منها ومنك ومن أبيك ، فقال له النابغة : يابنَ أخى ، أنت لا تُحسِن أن تقول :

فإنّكَ كاللّيـــلِ الّذى هو مُدرِكى ... وإن خلتُ أنّ المُنتأى عنكَ واسعُ

خَطاطيفُ حُجْنٌ فى حِبالٍ متينــةٍ ... تَمُدُّ بهـــا أيدٍ إليكَ نَوازِعُ[3]

قال : فخَنَس حسّان لقوله[4] .

قال : وأخبرَنى أحمد وحبيب ، عن عمرَ ، عن الأصمعىّ ، عن أبى عمرو بنِ العلاء

---

(١) الأغانى ١١ : ٤ ، ٥ (٢) الأغانى ١١ : ٥

(٣) الخطاطيف : جمع خطاف ، وخطاف البئر حديدة حجناء تستخرج بهـا الدلاء وغيرها . وحجن : معوجة ، واحدها أحجن ، والأنثى حجناء . ونوازع : جواذب .

(٤) خنس : انقبض ، والخبر فى الأغانى ١١ : ٦

قال : حدثني رجل سماه أبو عمرو وأُنسيته ، قال : بينما نحن نسير بين أنقاء[1] من الأرض ، فتذاكرنا الشعر ، فإذا راكب أُطَيْلِس يقول : أشعر الناس زيادُ بنُ معاوية، ثم تملّس فلم نره .

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبدالعزيز ، عن عمر بن شبة ، عن الأصمعيّ ، قال : سمعتُ أبا عمرو بنَ العلاء يقول : ما ينبغي لزهير إلّا أن يكون أجيرا للنابغة . قال أبو الفرج : وأخبرنا أحمدُ عن عمر ، قال قال عمرو بن المنتشر المُراديّ : وفدْنا على عبدِ الملك بنِ مرْوان ، فدخلْنا عليه ، فقام رجل فاعتذر من أمرٍ وحَلَف عليه ، فقال له عبدُ الملك : ما كنتَ حَرِيًّا أن تفعل ولا تعتذِر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيّكم يروِي اعتذارَ النابغةِ إلى النعمان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسِك رِيبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهَبُ

فلم يجدْ فيهم من يرْويه ، فأقبل عليّ وقال : أترويه ؟ قلتُ : نعم ، فأنشدتُه القصيدةَ كلَّها ، فقال : هذا أشعر العرب .

قال : وأخبرني أحمدُ وحبيب عن عُمَر ، عن مُعاويةَ بن بكر الباهليّ ، قال : قلتُ لحمّاد الراوية : لِمَ قدّمت النابغة ؟ قال : لاكتفائك بالبَيْت الواحد من شِعره ، لا بل بنصف البيت ، لا بل رُبْع البيت ، مثل قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسكَ رِيبةً ... وليسَ وراءَ الله للمرءِ مَذهَبُ

ولستَ بمُستبْقٍ أخًا لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ، أيُّ الرجالِ المهذَّبُ

رُبْع البيْت يُغنيك عن غيره ، لو تمثّلتَ به لم تحتجْ إلى غيره .

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، عن عمرَ بن شبّة ، عن هارون بن عبد الله

---

(١) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . وأطيلس : تصغير أطلس ؛ وهو ماكان لونه يميل إلى السواد . وتملّس : تخلص وأفلت .

الزُّبيري[١] ، قال : حدّثني شيخٌ يُكنَى أبا داود ، عن الشعبيّ ، قال : دخلتُ على عبدِ الملك وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه ، وذلك أوّل يومٍ وفدتُ فيه من العراق على عبدِ الملك ، فقلتُ حين دخلتُ : عامر بن شراحيل الشّعبيّ يا أميرَ المؤمنين ، فقال : على علمٍ ما أذِنّا لك ، فقلتُ : هذه واحدة على وافد أهل العراق ـ يعني أنّه أخطأ ـ قال : ثمّ إنّ عبد الملك سأل الأخطل : مَن أشعر الناس ؟ فقال : أنا ، فعجلتُ وقلتُ لعبد الملك : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم ، وقال : الأخطل ؛ فقلتُ في نفسي : اثنتان على وافدِ أهلِ العراق ، فقلتُ له : أشعر منك الذي يقول :

هــــــذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ ... مستقبلُ الخيرِ سريعُ التمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ ... أصغرِ والأعرجِ خيرِ الأنامْ
ثم لهندٍ ولهندٍ وقد ... أسرع في الخيرات منه أمامْ[٢]

قال : هي أمامةُ أمّ عمرو الأصغر بن المنذر بن امرئ القيس بن النعمان بن الشقيقة :

خمســـــةٌ آباؤهم ما هُمُ ... أفضلُ مَن يشربُ صوبَ الغمامْ

والشِّعر للنابغة ، فالتفت إليّ الأخطل فقال : إنّ أمير المؤمنين إنّما سألني عن أشعر أهلِ زمانه ، ولو سألني عن أشعر أهـل الجاهليّـة كنتُ حريًا أن أقول كما قلتَ أو شبيهًا به ؛ فقلتُ في نفسي : ثلاثٌ على وافدِ أهلِ العراق .

قال أبو الفرج : وقد وجدتُ هذا الخبرَ أتمّ من هـذه الرواية ، ذكره أحمدُ بنُ الحارث الخرّاز في كتابه ، عن المدائنيّ ، عن عبدِ الملك بن مُسلِم ، قال : كتب عبدُ الملك بنُ مَرْوانَ إلى الحجّاج : إنّه ليس شيء من لذّة الدنيا إلّا وقد أصبتُ منه ، ولم يبقَ

---

(١) ب : « الزهري » ، وصوابه في ا ، د والأغاني .
(٢) في الأغاني : « ثم لهند ولهند فقد »

عندى شىء ألذّ من مُناقلة الإخوان الحديثَ ، وقَبِلَكَ عامرُ الشّعبىّ فابعثْ به إلىّ ، فدعا الحجّاج الشّعبىّ ، فجهّزه وبَعَثَ به إليه ، وقرّظه وأطراه فى كتابه ، فخرج الشّعبىُّ حتّى إذا كان بباب عبدِالملك قال للحاجب : استأذِنْ لى ، قال : مَن أنت ؟ قال : أنا عامرٌ الشّعبىّ قال : يرحَمُكَ[1] الله ؛ قال : ثمّ نهض فأجلسَنى على كرسيّه ، فلم يلبَثْ أن خرج إلىّ فقال : ادخُل يرحَمكَ الله ؛ فدخلتُ ، فإذا عبد الملك جالسٌ على كرسىّ ، وبين يديه رجلٌ أبيضُ الرأس واللحية، جالسٌ على كرسىّ ، فسلّمتُ ، فردّ علىّ السلام ، فأومأ إلىّ بقضيبه ، فجلستُ عن يساره، ثمّ أقبل على ذلك الإنسان الّذى بين يديه فقال له : مَن أشعَرُ الناس ؟ فقال : أنا يا أميرَ المؤمنين ! قال الشّعبىّ : فأظلمَ مابينى وبينَ عبدِ الملك ، فلم أصبِرْ أن قلتُ : ومَن هذا الذى يزْعم أنّه أشعَرُ الناس يا أميرَ المؤمنين ! فعجِبَ عبدُ الملك من عَجَلَتى قبل أن يسألنى عن حالى ، فقال : هذا الأخطل ؛ فقلتُ : يا أخطَل ، أشعرُ واللهِ منكَ الّذى يقول :

هــذا غلامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مستقبِلَ الخيْرِ سريعُ التّمامْ

الأبيات .

قال : فاستحسَنَها عبدُ الملك ، ثمّ ردّدتُها عليه حتّى حفِظَها ، فقال الأخطل : مَن هذا يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : هذا الشّعبىّ ؛ فقال : والإنجيلِ ما استعذتُ بالله من شرّ إلّا من هذا ــ أى والإنجيل ــ صَدَقَ واللهِ يا أميرَ المؤمنين ، النابغةُ أشعَرُ منّى ، قال الشّعبىّ : فأقبَل عبدُ الملك حينئذ علىّ فقال : كيف أنتَ ياشَعبىّ ؟ قلتُ : بخير يا أمير المؤمنين ، فلا زلتَ به ثمّ ذهبتُ لأصنعَ معاذيرَ لما كان من خلافى مع ابْن الأشعث على الحجّاج ، فقال : مَهْ إنّا لا نحتاج إلى هذا المَنطِق ، ولا تراه منّا فى قولٍ ولا فعلٍ حتّى تفارقَنا ؛ ثمّ أقبل علىّ فقال : ماتقول فى النّابغة ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمرُ بنُ الخطّاب فى غيرِ

---

(١) ورواية : « يرحمك الله »

مَوْطنٍ على جميع الشُّعراء ، ثمّ أنشدْتُه لشِعْرَ الذى كان عمرُ يُعجَب به من شِعْرِه ، وقد تقدّم ذِكرُه . قال : فأقبل عبدُ الملك على الأخطل فقال له : أتُحِبّ أنّ لك قِياسًا بشِعْرك شِعْرَ أحدٍ من العرب ، أم تحبّ أنك قلتَه ؟ قال : لا واللهِ يا أميرَ المؤمنين إلّا أنّى وَدِدْتُ أنّى كنتُ قلتُ أبياتًا قالها رجلٌ منّا ، ثمّ أنشدَه قولَ القطامىّ :

إنّا محيّوك فاسْلَمْ أيّها الطَّلَلُ ... وإنْ بَليتَ وإن طالَتْ بك الطِّيَلُ[1]

ليس الجديد به تَبقَى بشاشتُه[2] ... إلّا قليلا ولاذو خُلّةٍ يَصِلُ

والعيشُ لا عيشَ إلّا ما تقَرّ به ... عيْنٌ ولا حالَ إلّا سوف تنتقلُ

إنْ تَرجِعى من أبى عثمانَ مُنجِحةً ... فقد يَهُون على المستنجِح العَمَلُ[3]

والناسُ مَن يَلْقَ خيرًا قائلون له ... ما يشتهى ولأُمِّ المخطىءِ الهَبَلُ

قد يُدرِكُ المتأنّى بعضَ حاجتِه ... وقد يكون مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

قال الشَّعبىّ : فقلتُ : قد قال القطامىّ أفضلَ من هذا ؛ قال : وما قال ؟ قلتُ : قال :

طَرقتْ جَنوبُ رحالَنا من مَطْرَقِ ... ما كنتُ أحسبُها قريبَ الْمُعنَقِ[4]

إلى آخرها[5] ، فقال عبدُ الملك : ثكِلَتْ القطامىَّ أمُّه ! هذا واللهِ الشِّعرُ ، قال : والتفت إلىّ الأخطلُ فقال : ياشعبىّ ، إنّ لك فنونا فى الأحاديث ، وإنّما لى فنٌّ واحد فإن رأيتَ ألّا تحملنى على أكتافِ قومِك فتدَعُهم حَرَضًا[6] ، فقلتُ : لا أعرض لك فى شىء من الشِّعر أبدا ، فأقِلْنى هذه المرّة ، فقال : مَن يتكفّل بك ؟ قلتُ :

---

(١) الطلل : ما شخص من آثار الديار . والطيل : جمع طيلة ، وهى الدهر .

(٢) البشاشة : ... يعود على الدهر (٣) منجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

(٤) المعنق : المكان الذى أعنقت منه ، والعنق (بالتحريك) : ضرب من السير السريع .

(٥) أوردها صاحب الأغانى (٦) الحرض : الردىء من الناس ، أى احطهم بهجائى من أراذل الناس .

أميرُ المؤمنين ، فقال عبد الملك : هو عليّ أنه لا يعرض لك أبدا . ثم قال عبدُ الملِك : يا شَعْبِيّ ، أيّ نساء الجاهليّة أشعر ؟ قلتُ : الخنساء ؟ قال : ولِمَ فضّلْتَها على غيرِها ؟ قلتُ : لقولها :

وقائلةٍ والنّعشُ قد فاتَ خَطْوَها لِتُدرِكَه : يالَهفَ نفسى على صَخْرِ !
ألا هبلتْ أمُّ الذين غَدَوْا به إلى القَبْرِ ، ماذا يَحملون إلى القَبْرِ !

فقال عبدُ الملك : أشعَرُ منها واللهِ التى تقول [1] :

مُهَفْهَفٌ أهضَمُ الكَشْحَيْنِ منخرِقٌ [2] عنه القميصُ بسيْرِ الليلِ مُحتقِرُ
لا يأمَنُ الدّهرَ مَمْساهُ ومُصبَحَه من كلِّ أوْبٍ وإن لم يَغْزُ يُنتظَرُ

قال : ثمّ تبسّم عبدُ الملك وقال : لا يَشُقّنّ عليك يا شَعبيّ ، فإنّما أعلمتُك هذا لأنه بلغنى أنّ أهلَ العراق يتطاولون على أهل الشام ، ويقولون : إن كانوا غلَبونا على الدّولة فلم يغلبونا على العِلم والرِّواية ، وأهل الشام أعلَمُ بعلمِ أهلِ العراق من أهلِ العراق ، ثم ردّد علىّ أبيات ليلى حتى حفظتُها ، ثمّ لم أزل عنده أوّلَ داخلٍ وآخرَ خارج ، فمكثتُ كذلك سنينَ ، وجعلنى فى ألفين من العطاء ، وجعلَ عشرين رجلا من ولدى وأهل بيتى فى ألف ألفٍ ، ثمّ بعثنى إلى أخيه عبدِ العزيز بمصرَ ، وكتب إليه : يا أخى ، قد بعثتُ إليك بالشّعبى ، فانظرْ هل رأيتَ قطّ مثلَه [3] ؟

قال أبو الفرَج الأصبهانىّ فى ترجمة أوسِ بن حَجَر : إنّ أبا عبيدة قال : كان أوسٌ شاعرَ مُضَر حتّى أسقَطَه النابغة ؛ قال : وقد ذَكَرَ الأصمعىّ أنه سمعَ أبا عمرو بن العلاء يقول : كان أوسُ بنُ حَجَر فحلَ العرب ، فلما نشأ النابغةُ طأطأ منه [4] .

وقال محمّد بنُ سلّام فى كتاب طبقات الشّعراء : وقال من احتجّ للنابغة : كان أحسنَهم

---

(١) هى ليلى أخت المنتشر بن وهب الباهلى . (٢) مهفهف الكشح : ضامره .
(٣) الأغانى ١١ : ٢١ – ٢٢

ديباجة شعر ، وأكثرهم رونق كلام ، وأجزلهم بيتا ؛ كان شعره كلام ليس بتكلف ، والمنطق على المتكلم أوسع منه على الشاعر ، لأن الشاعر يحتاج إلى البناء والعروض والقوافي ، والمتكلم مطلق ، يتخير الكلام كيف شاء ، قالوا : والنابغة نبغ بالشعر بعد أن احتنك ، وهلك قبل أن يهتر .

قلت : وكان أبو جعفر يحيى بن محمد بن أبي زيد العلوي البصري يفضل النابغة ، وسمعته يقرأ يوما وبيدي ديوان النابغة قصيدته التي يمدح بها النعمان بن المنذر ، ويذكر مرضه ، ويعتذر إليه مما كان اتهم به ، وقذفه به أعداؤه ، وأولها .

كتمتك ليلا بالجومين ساهرا ... وهمين : هما مستكنا وظاهرا[1]

أحاديث نفس تشتكي ما يريبها ... وورد هموم لن يجدن مصادرا

تكلفني أن يفعل الدهر همها ... وهل وجدت قبلي على الدهر ناصرا !

يقول . هذه النفس تكلفني ألا يحدث لها الدهر همّا ولا حزنا ، وذلك مما لم يستطعه أحد قبلي .

ألم تر خير الناس أصبح نعشه ... على فتية قد جاوز الحي سائرا !

كان الملك منهم إذا مرض حمل على نعش وطيف به على أكتاف الرجال بين الحيرة والخورنق والنجف ، ينزهونه .

ونحن لديه نسأل الله خلده ... يرد لنا ملكا وللأرض عامرا[2]

ونحن نرجي الخير إن فاز قدحه ... ونرهب قدح الدهر إن جاء قامرا

لك الخير إن وارت بك الأرض واحدا ... وأصبح جد الناس يظلع عاثرا

وردت مطايا الراغبين وعريت ... جيادك لا يحفي لها الدهر حافرا

---

(١) ديوانه ٣٩–٤٢ . والجومان : موضع

(٢) الخلد : البقاء .

رأيتك ترعاني بعين بصيرة ... وتبعث حراساً على وناظرا
وذلك من قول أتاك أقوله ... ومن دس أعداء إليك المآزرا [1]
فآليت لا آتيك إن كنت محرماً ... ولا أبتغى جاراً سواك مجاورا

أي لا آتيك حتى يثبت عندك أني غير مجرم.

فهل في ندى لامرئ إن أتيته ... تقبل معروفي وسد المفاقرا [2]
سأربط كلبى أن يريبك نبحه ... وإن كنت أرعى مسحلان وحامرا [3]

أي سأمسك لسانى عن هجائك وإن كنت بالشام في هذين الواديين البعيدين عنك

وحلت بيوتي في يفاع ممنع ... تخال به راعي الحمولة طائرا [4]
تزل الوعول العصم عن قذفاته ... وتضحى ذراه بالسحاب كوافرا
حذاراً على ألا تنال مقادتى ... ولا نسوتى حتى يمتن حرائرا

يقول: أنا لا أفضحك وإن كنت من المنعة والعصمة على هذه الصفة..

أقول وقد شطت بي الدار عنكم ... إذا ما لقيت من معد مسافرا
ألا أبلغ النعمان حيث لقيته ... فأهدى له الله الغيوث البواكرا
وأصبحه فلجاً ولا زال كعبه ... على كل من عادى من الناس ظاهرا
وربّ عليه الله أحسن صنعه ... وكان على كل المعادين ناصرا [5]

فجعل أبو جعفر رحمه الله يهتز ويضرب بعصاه. والله لو مزجت هذه القصيدة بشعر البحتري لكادت تمتزج لسهولتها وسلامة ألفاظها، وما عليها من الديباجة والرونق! من يقول إن امرأ القيس وزهيراً أشعر من هذا؟ فسموا مديحاً كهذا

(١) المآزر: المآثم (٢) فقل: تعنى قبل، والمفاقر: جمع فقر
(٣) بديوان «سأكعم كلبي» أي سأسكت. ومسحلان وحامر: موضعان
(٤) يفاع: المشرف من الأرض. والحمولة: الإبل التي أطاقت الحمل (٥) ربه: أتمه

فأمّا امرُؤ القيس بن حُجْر، فقال محمد بن سلاّم الجُمَحيّ في كتاب "طبقات الشعراء": أخبرني يونسُ بن حَبيب أنّ علماء البَصرة كانوا يقدّمونه على الشّعراء كلّهم، وأنّ أهل الكوفة كانوا يقدّمون الأعشى، وأنّ أهل الحجاز والبادية يقدّمون زُهيرا والنابغة[1].

قال ابنُ سلاّم: فالطبقة الأولى إذَنْ أربعة. قال: وأخبرني شُعيب بن صَخْر، عن هارون بن إبراهيم، قال: سمعتُ قائلا يقول للفرزدق: مَن أشعرُ الناس يا أبا فراس؟ فقال: ذو القُروح، يعني امرأ القَيْس، قال: حين يقول: ماذا؟ قال حين يقول:

وَقاهمْ جَدُّهم ببني أبيهمْ ... وبالأشْقَيْن ما كان العِقابُ

قال: وأخبرني أبان بن عثمان البَجَليّ، قال: مرّ لبيد بالكوفة في بني نَهْد، فأتبعوه رسولا يسأله: من أشعرَ الناس؟ فقال: الملِكُ الضِّلّيل. فأعادوه إليه، فقال: ثمّ مَن؟ فقال: الغلامُ القتيل — يعني طَرَفة بن العَبْد — وقال غيرُ أبان: قال: ثمّ ابن العشرين، قال: ثمّ مَن؟ قال: الشيخُ أبو عَقيل يعني نفسه[2].

قال ابنُ سلاّم: واحتجّ لامرئ القيس من يقدّمه فقال: إنه ليس[3] قال ما لم يقولوه، ولكنّه سبَق العرَبَ إلى أشياء ابتدعها استحسنَتْها العرب، واتّبعته فيها الشعراء، منها استيقاف صَحْبه، والبُكاء في الدِّيار، ورقّةُ النَّسيب، وقربُ المأخذ، وتشبيهُ النّساء بالظّباء وبالبيض، وتَشبيهُ الخيل بالعِقبان والعِصيّ، وقَيْد الأوابد، وأجادَ في التّشبيه، وفصَل بين النّسيب وبين المعنى، وكان أحسنَ الطبقة تشبيها[4].

قال: وحدّثني معلّم لبني داودَ بن عليّ قال: بينا أنا أسيرُ في البادية إذا أنا برجلٍ على ظَليم قد زَمّه وخطَمه وهو يقول:

---

(١) طبقات الشعراء ٤٤ (٢) طبقات الشعراء ٤٤

(٣) طبقات الشعراء: «ما قال ما لم يقولوا» (٤) طبقات الشعراء ٤٦

هل يُبلِّغنِّيهمْ إلى الصَّباح   هِقْلٌ كأنَّ رأسَه جُماحُ

قال : فما زال يذهب به طَبيعُهُ وَيَجيء به حتى أنست به وعلمتُ أنه ليس بإنسيّ

فقلت : ياهذا ، من أشعرَ العرب ؟ فقال : الذي يقول :

أغرَّكِ مِنّي أنَّ حُبَّكِ قاتِلي   وأنَّكِ مهما تأمري القلب يَفْعَلِ

يعني امرأ القَيْس ، قلتُ : ثمَّ مَن ؟ قال : الذي يقول :

ويَبْرُدُ بَرْدَ رِداء العَرُو   سِ بالصَّيف رقرقتَ فيه العبيرا

ويَسخُن ليلةَ لا يَستطيعُ   نُباحًا بها الكَلْب إلاهَريرا

ثمّ ذهب به طَبيعه فلم أره [١] .

* * *

قال : وحدّث عَوانةُ ، عن الحسن أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال لحسّان بن ثابت : من أشعَر العرَب ؟ قال : الزُّرقُ العيون من بني قَيْس ، قال : لستُ أسألك عن القبيلة ، إنما أسألك عن رَجلٍ واحدٍ ، فقال حسّان : يا رسول الله ؛ إنَّ مَثَل الشّعراء والشّعرِ كمَثَل ناقةٍ نُحِرَتْ ، فجاء امرؤ القَيْس بنُ حجر فأخذ سَنامَها وأطايبها ، ثمّ جاء المتجاوِران من الأوْس والخَزْرج فأخذا ما والَى ذلك منها ، ثم جَعَلت العربُ تمزّعها حتى إذا بقي الفَرْث والدّمُ جاء عمرو بنُ تميم والنمرِ بنُ قاسط فأخذاه ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله : « ذاك رجلٌ مذكورٌ في الدنيا شريفٌ فيها خاملٌ يوم القيامة ، معه لواء الشّعراء إلى النار » [٢] .

* * *

فأمّا الأعشى فقد احتج أصحابه بتفضيله بأنه كان أكثرهم عَروضا ، وأذهبَهم في فنون الشعر ، وأكثَرَهم قصيدة طويلةً جيّدة ، وأكثرهم مدحا وهجاء ، وكان أوّل من سأل

بشعره ، وإن لم يكن له بيت نادر على أفواه الناس كأبيات أصحابه الثلاثة .

وقد سئل خلف الأحمر : من أشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهى إلى واحد يجتمع عليه كما لا ينتهى إلى واحد هو أشجع الناس ، ولا أخطب الناس ، ولا أجمل الناس ، فقيل له : يا أبا محرز ، فأيهم أعجب إليك ؟ قال : الأعشى كان أجمعهم .

قال ابن سلام : وكان أبو الخطاب الأخفش مستهترا به يقدمه ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : مثله مثل البازى يضرب كبير الطير وصغيره . ويقول : نظيره فى الإسلام جرير ، ونظير النابغة الأخطل ، ونظير زهير الفرزدق [١]

***

فأما قول أمير المؤمنين عليه السلام « ملك الضليل » فإنما سمى امرؤ القيس ضليلا لما يعلن به فى شعره من الفسق ، والضليل : الكثير الضلال ، كالشريب ، والخمير والسكير ، والفسيق ، للكثير الشرب وإدمان الخمر والسكر والفسق ، فن ذلك قوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا ... فألهيتها عن ذى تمائم محول [٢]

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشق وتحتى شقها لم يحول

وقوله :

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سمو حباب الماء حالا على حال [٣]

فقالت لحاك الله إنك فاضحى ... ألست ترى السمار والناس أحوالى

فقلت لها تالله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

---

(١) طبقات الشعراء ... (٢) ديوانه ١٢

(٣) ديوانه ٣١ — ٣٢

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذى شماريخ ميّال
فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ... ورضت فذلّت صعبة أىّ إذلال
حلفت لها بالله حلفة فاجر ... لناموا فما إن من حديث ولا صال
فأصبحت معشوقا وأصبح بعلها ... عليه قتام كاسف الوجه والبال

وقوله فى اللامية الأولى :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها ... تمتّعت من لهو بها غير معجل [1]
تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا ... علىّ حراصا لو يسرّون مقتلى
فجئت وقد نضّت لنوم ثيابها ... لدى الستر إلا لبسة المتفضّل
فقالت يمين الله مالك حيلة ... وما إن أرى عنك الغواية تنجلى
فقمت بها أمشى تجرّ وراءنا ... على أثرينا ذيل مرط مرحّل
فلما أجزنا ساحة الحىّ وانتحى ... بنا بطن خبت ذى حقاف عقنقل
هصرت بفودى رأسها فتمايلت ... علىّ هضيم الكشح ريّا المخلخل

وقوله :

فبت أكابد ليل التمام ... والقلب من خشية مقشعر
فلما دنوت تسدّيتها ... فثوبا نسيت وثوبا أجر
ولم يرنا كالئ كاشح ... ولم يفش منا لدى البيت سر
وقد رابنى قولها يا هنا ... ه ويحك ألحقت شرا بشر

---

(١) البيت ١٣ — ١٥

وقوله :

تقولُ وقد جرَّدتُها من ثيابها   كما رُعْتَ مكحولَ المدامعِ أتلعا (١)

لعمرُك لو شيءٌ أتانا رسولُه   سواك ولكنْ لم نجدْ لك مدفعا

فبتنا تَصُدُّ الوحشُ عنّا كأنّنا   قتيلانِ لم يعلمْ لنا الناسُ مصرَعا

تجافَى عن المأثورِ بيني وبينها   وتُدني عليَّ السابريَّ المُضلَّعا

وفي شعر امرىء القيس من هذا الفن كثير ، فمن أراده فليطلبه من مجموع شعره .



(١) ديوانه ٤٤ : ٢

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

ألا حُرٌّ يَدَعُ هذِهِ اللُّماظَةَ لأهْلِها ! إنَّهُ لَيْسَ لِأنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إلاَّ الجَنَّةَ ، فَلا تَبِيعُوها إلاَّ بِها .

• • •

الشَّـرْحُ :

اللُّماظة بفتح اللام : ما تبقّى في الفم من الطعام ؛ قال يصف الدنيا :

• لُماظةُ أيامٍ كأحلامِ نائمِ •

ولَمَظ الرجل يلمُظ بالضم لَمْظا ، إذا تتبّع بلسانه بقيّة الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه ، وكذلك التلمُّظ ، يقال : تلمّظت الحيّة إذا أخرجت لسانها كما يتلمّظ الآكل .

وقال : « ألا حُرٌّ » ، مبتدأ ، وخبره محذوف أي في الوجود . وألا حرفٌ، قال :

ألا رجلٌ جزاه الله خيراً … يدُلّ على مُحصّلةٍ تبيتُ

ثم قال : إنه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلاّ الجنة ، فلا تبيعوها إلا بها ، من الناس من يبيعُ نفسه بالدراهم والدنانير ، ومن الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء وأهونها ، ويقع هواهُ فيهلك ، وهؤلاء في الحقيقة أحمقُ الناس، إلا أنه قد رِين على القُلوب، فطمّها الذنوب، وأظلمت الأنفسُ بالجهل وسوء العادة ، وطال الأمد أيضا على القلوب فقست ، ولو أفكر الإنسانُ حقّ الفِكْر لما باع نفسه إلاّ بالجنّة لا غير .

الأصلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

مَنْهُومانِ لا يَشْبَعانِ : طالِبُ عِلْمٍ وطالِبُ دُنْيا .

* * *

الشرحُ :

تقول : نَهِم فلانٌ بكذا فهو مَنْهوم ، أى مُولَع به ، وهذه الكلمة مَرْوية عن النبى صلى الله عليه وآله : « مَنْهومان لا يَشْبعان : منهومٌ بالمالِ ، ومنهومٌ بالعلم » والنَّهَم بالفتح : إفراطُ الشهوة فى الطعام ، تقول منه : نَهِمْتُ إلى الطعام بكسر الهاء أنْهَمُ فأنا نَهِم ، وكان فى القرآن آية أنزلت ثم رفعت : « لو كان لابن آدم واديانِ من ذهبٍ لابتغى لهما ثالثاً ، ولا يَملأُ عينَ ابنِ آدم إلّا التراب ، ويتوبُ الله على مَنْ تاب » .

فأمّا طالبُ العلمِ العاشقُ له ، فإنه لا يَشبَع منه أبداً ، وكلّ استكثرَ منه زادَ عِشقُه له ، وتهالُكه عليه . مات أبو عثمانَ الجاحظُ والكتابُ على صدْره .

وكان شيخُنا أبو علىّ رحمه الله فى النَّزْع وهو يُمْلِى على ابنه أبى هاشم مسائلَ فى عِلْم الكلام . وكان القاضى أحمدُ بنُ أبى دُواد يأخذُ الكتابَ فى كُمّه وهو راكب ، فإذا جلَسَ فى دارِ الخليفة اشتغل بالنظر فيه إلى أن يَجلِس الخليفة ، ويدْخُل إليه . وقيل : مافارقَ ابنَ أبى دُواد الكتابَ قطّ إلّا فى الخلاء . وأعرف أنا فى زَمانِنا مَن مَكَثَ نحو خمسِ سنينَ لا ينامُ إلّا وقتَ السَّحَر ضيْقا وشاء مُكِبّا على كتابٍ صنّفه ، وكانت وسادتُه التى ينامُ عليها الكتاب .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

علامَةُ الإيمانِ أنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حيثُ يَضُرُّكَ ، عَلَى الكَذِبِ حيثُ يَنفعُكَ ، وألا يَكُونَ فى حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عِلْمِكَ ، وأنْ تَتَّقِىَ اللهَ فى حَدِيثِ غَيْرِكَ .

• • •

الشرح :

قد أخذ المعنى الأول القائلُ :

عليكَ بالصِّدْقِ وَلَوْ أنّه أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بنارِ الوَعِيدْ

وينبغى أن يكونَ هذا الحكمُ مقيدا لا مطلقا ، لأنه إذا أضرَّ الصِّدْقُ ضررا عظيما يؤدى إلى تَلَفِ النَّفْسِ أو إلى قطعِ بعضِ الأعضاء لم يَجُزْ فِعلُه شرعا ، ووجبتِ المعاريضُ حينئذ .

فإن قلتَ : فالمعاريضُ صِدْقٌ أيضا ، فالكلامُ على إطلاقه ! قلتُ : هى صِدْقٌ فى ذاتها ، ولكنَّ مُستعمِلَها لم يَصدُقْ فيما سُئل عنه ، ولا كَذَبَ أيضا ، لأنه لم يُخبِر عنه ، وإنما أخبرَ عنْ شىء آخرَ وهى المعاريض ؛ والتارك للخبر لا يكون صادقًا ولا كاذبا ، فوَجَبَ أن يقيدَ إطلاقُ الخبرِ بما إذا كان الضررُ غيرَ عظيم ، وكانت منفعةُ الصِّدقِ أعظمَ نفعا من تلك المَضرة .

قال عليه السلام : «وأن لا يكونَ فى حديثِك فضلٌ عن علمك » ، متى زاد مَنطق الرجل على عِلْمِه فقد لغا وظهَر نقصهُ ، والفاضلُ مَن كان عِلْمُه أكثرَ من مَنطقه . قوله : «وأن تتقى الله فى حديثِ غيرِك» ، أى فى نقلِه وروايتِه فترويه كما سمعتَه من غير تحريف

الاحتيال :

وقالَ عليهِ السلامُ :

يَغلِبُ المِقدارُ على التَّقديرِ ، حتَّى تكونَ الآفةُ في التَّدبيرِ .

قال : وقد مضى هذا المعنى فيما تقدَّم بروايةٍ تُخالفُ بعضَ هذه الألفاظ .

* * *

البخت :

قد تقدَّم هذا المعنى ، وهو كثيرٌ جدًا ، ومن جيّده قول الشاعر :

لعمرُكَ ما لامَ ابنُ أخطبَ نفسَهُ ... ولكنه من يخذلِ اللهُ يخذلِ

لجاهدَ حتى تبلغَ النفسُ عذرَها ... وقلقلَ يبغي العزَّ كلَّ مُقلقلِ

وقال أبو تمام :

وركبٍ كأطرافِ الأسنّةِ عرَّسُوا ... على مثلِها والليلُ تسطو غياهبُهْ[1]

لأمرٍ عليهم أنْ تتمَّ صدورُهُ ... وليس عليهم أن تتمَّ عواقبُهْ

وقال آخر :

فإنْ يبنِ حيطانًا عليه فإنّما ... أولئك عقّالاتُه لا معاقلُهْ

---

(١) ديوانه ١ : ٢٢٩ .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الحِلْمُ والأناةُ توْءمانِ ، يُنْتِجُهُما عُلُوُّ الهِمَّة

* * *

الشرح :

قد تقدم هذا المعنى وشرحه مراراً .

وقال ابن هانئ :

وكانَ أناةً في المواطِنِ سؤدُدٌ ... ولا كأناةٍ مِنْ قديرٍ مُحكَّمِ [1]

ومَنْ يتبيَّنْ أنَّ للسَّيفِ مَوضِعاً ... مِنَ الصَّفحِ يَصْفَحْ عن كثيرٍ ويَحلُمِ

وقال أربابُ المعاني : عظَّمَ اللهُ تعالى فضيلةَ الأناةِ بما حكاه عن سليمانَ ، ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴾[2]

وكان يقال : الأناة حِصنُ السلامة ، والعَجلة مفتاحُ الندامة .

وكان يقال : التأنِّي مع الخيبة ، خيرٌ من التهوُّر مع النَّجاح .

وقال الشاعر :

الرِّفقُ يُمْنٌ والأناةُ سَعادةٌ ... فتأنَّ في أمرٍ تُلاقِ نجاحَا

---

(١) ديوانه ١٢٣ وفي د « من قدير محكم » (٢) سورة النمل ٢٧

وقال مَن كره الأناة وذمّها : لو كانت الأناة محمودة والعجلة مذمومة ، لما قال موسى لربّه : ﴿ وعَجِلتُ إليكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ [1] .

وأنشدوا :

عَيبُ الأناةِ وإنْ سَرّتْ عواقِبُها   أن لا خُلودَ وأن ليسَ الفَتى حَجَرا

وقال آخر :

كم من مضيِّعِ فرصةٍ قد أمكنتْ   لغدٍ وليسَ له غـــدٌ بموَاتِي
حتى إذا فاتتْ وفاتَ طِلابُهــا   ذهبتْ عليها نفسُه حَسَراتِ

---

(١) سورة طه : ٨٤

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الغِيبةُ جُهْدُ العاجزِ .

● ● ●

الشَّـرْحُ :

قد تقدَّم كلامُنا في الغِيبة مُستقصًى .

وقيل للأحنف : مَنْ أشرفُ الناس ؟ قال : من إذا حضَر هابُوه ، وإذا غاب اغتابوه .

وقال الشاعر :

وَيغتابُني مَن لو كَفاني اغتيابُهُ ... لكنتُ له العينَ البصيرةَ والأُذْنا

وعندي من الأشياء ما لو ذكرتُها ... إذاً قرَعَ المغتابُ من ندَمٍ سِنّا

وقد نظمتُ أنا كلمةَ الأحنفِ فقلتُ :

أكْلُ عِرْضي إنْ غِبتُ ذمّاً فإنْ أُبْـ ... ـتُ فمـدحٌ ورَهْبـةٌ وسُجودُ

هكذا يفعلُ الجبانُ ، شجاعٌ ... حين يَخلو ، وفي اللقاء رِعْـديدُ

لكَ مِنّي خِلالٌ في غَيْبكَ الجنّـ ... ـةُ حُسْـناً وفي الفُـؤادِ وَقودُ

الأصْلُ

وقالَ عليه السلامُ :

رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ .

* * *

الشَّرْحُ :

طالما فُتِن الناسُ بثناء الناس عليهم ، فيقصِّر العالِم في اكتساب العلم اتّكالاً على ثناء الناس عليه ، ويقصِّر العابدُ في العبادة اتّكالاً على ثناء الناس عليه ، ويقول كلّ واحد منهما : إنّما أردتُ ما شُهِرتُ به للصِّيت ، وقد حصَل ، فلماذا أتكلّف الزّيادة ، وأعاني التّعب ! وأيضاً فإنّ ثناء النّاس على الإنسان يقتضي إعجابَه بنفسه ، وإعجاب المرء بنفسه مُهلِك .

واعلمْ أنّ الرّضيّ رحمه الله قطع كتاب نهج البلاغة على هذا الفصل ، وهكذا وجدتُ النُّسخة بخطّه ، وقال : « هذا حين انتهاء الغاية بنا إلى قَطْع المُنتزَع من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، حامدين لله سبحانه على ما منّ به من توفيقنا لضمّ ما انتشَر من أطرافه ، وتقريب ما بَعُد من أقطاره ، مقرِّرين العزمَ كما شرطْنا أوّلاً على تفضيل أوراق من البياض في آخر كلّ باب من الأبواب ، لتكون لاقتناص الشارد ، واستلحاق الوارد ، وما عساه أن يظهرَ لنا بعد الغموض ، ويقع إلينا بعد الشذوذ ، وما توفيقنا إلا بالله ، عليه توكّلنا ، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل ، نعمَ المولى ونعمَ النصير » .

ثم وجَدْنا نسخاً كثيرةً فيها زيادات بعد هذا الكلام ، قيل : إنها وُجِدَتْ في نسخةٍ كُتبتْ في حياة الرّضيّ رحمه الله وقُرِئَت عليه فأمضاها ، وأذِن في إلحاقها بالكتاب ، ونحن نذكرها .

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

الدُّنيا خُلِقَتْ لِغَيْرِها ، ولَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِها .

***

الشرح :

قال أبو العلاء المعرّي سمع ما كان يرمي به في هذا المعنى ما طابق إرادة أمير المؤمنين عليه السلام بلفظه هذا :

خُلِقَ النّاسُ لِلبَقاءِ فضَلَّتْ أُمّةٌ يَحسَبونَهُم لِلنَّفادِ[1]

إنّما يُنقَلونَ مِن دارِ أعمالٍ إلى دارِ شِقوةٍ أو رَشادِ

(١) سقط الزند ٩٧٨ : ٦٢٩

(٤٧٠)

الأصل :

وقالَ عليهِ السلامُ :

إنَّ لِبني أُميَّةَ مِرْوَداً يَجْرُونَ فيهِ ، وَلَوْ قدِ اختلفوا فيما بَيْنَهم ثُمَّ لو كادَتْهُمُ الضِّباعُ لَغَلَبَتْهُمْ .

* * *

قَالَ الرضيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعالى : وَهذا مِنْ أَفصحِ الكلامِ وَأَغربِهِ ، وَالمِرْوَدُ هاهنا مِفْعَلٌ مِنَ الإِرْوادِ ، وَهُوَ الإِمهالُ وَالإِنظارُ ، فَكأنَّهُ عليهِ السلامُ شَبَّهَ المُهْلَةَ التي هم فيها بالمِضْمارِ الذي يَجْرُونَ فيهِ إلى الغايةِ ، فإذا بلغوا مُنْقَطَعَها انْتَقَضَ نِظامُهُمْ بعدَها

* * *

الشرح :

هذا إخبارٌ عن غيبٍ صريحٍ ، لأن بني أمية لم يزل مُلكهم منتظماً لما لم يكن بينهم اختلاف ، وإنما كانت حروبهم مع غيرهم كحرب معاوية في صِفِّين ، وحرب يزيدَ أهلَ المدينة ، وابن الزبير بمكة ، وحرب مروانَ الضحاك ، وحرب عبدالملك ابنَ الأشعث وابنَ الزبير ، وحرب يزيد ابنه بني مُهلّب ، وحرب هشام زيدَ بن عليّ ، فلما ولي الوليد ابن يزيد وخرج عليه ابنُ عمه يزيد بن الوليد وقتله ، اختلفت بنو أمية فيما بينهما ، وجاء الوعدُ ــ وصَدَقَ من وعد به ــ فإنه منذ قتل الوليد دَعَتْ دعاةُ بني العباس بخُراسان ، وأقبل

مروانُ بن محمّد بن الجزيرة يطلب الخلافة ، فخلع إبراهيم بن الوليد ، وقتَل قوما من بنى أميّة ، واضطرب أمرُ الملك وانتشر ، وأقبلت الدولةُ الهاشميّة وتمّتْ ، وزال مُلك بنى أميّة ، وكان زوال مُلكهم على يد أبى مسلم ، وكان فى بدايته أضعفَ خلق الله وأعظمَهم فقرا ومسكنة ، وفى ذلك تصديقُ قوله عليه السلام : « ثمّ لو كادتْهم الضّباع لغلبتهم » .



(٤٧١)

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ في مدْحِ الأنصارِ :

هُمْ وَاللهِ رَبَّوُا الإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ ، وأَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ .

* * *

الشَّرْحُ

الفِلْوُ : المُهر .

ويُرْوَى : « بأيديهم البساط » ، أى الباسطة ، والأولى جمع سَبْط يعني السماح ، وقد يقال للحاذق بالطّعن : إنه لَسَبْط اليدين ، يريدُ الثّقافة . وألسنتهم السِّلاط ، يعني الفَصيحة .

وقد تقدّم القولُ في مدح الأنصار ، ولو لم يكن إلا قولُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله فيهم : « إنكم لتكثرُون عند الفزَع ، وتقِلّون عند الطَّمع » ، ولو لم يكن إلّا ما قاله لعامر ابن الطُّفَيل فيهم لمّا قال له : « لأغزوَنّك في كذا وكذا من الخَيل » يتوعّده ، فقال عليه السلام : « يكفي الله ذلك وأبناء قَيْلة » ، [سكان حراهم] وهذا عظيمٌ جدًّا وفوق العَظيم ، ولا ريبَ أنهم الذين أيّد اللهُ بهم الدّين ، وأظهرَ بهم الإسلام بعد خَفائه ، ولولاهم لَعجَزَ المهاجرون عن حَرْب قريش والعرب ، وعن حِماية رَسولِ الله صلّى الله عليه وآله ، ولولا مَدينتهم لم يكن للإسلام ظَهر يَلجَئون عليه ، ويكفيهم فخرًا يوم حَمْراء الأسد ،

يوم خرج بهم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى قريش بعد انكسار أصحابه ، وقتل من قُتل منهم ، وخرجوا نحوَ القوم والجراحُ فيهم فاشية ، ودماؤهم تَسيل ، وأنّهم مع ذلك كالأُسْد الغِراث تَتواثب على فرائسها ، وكم لهم من يومٍ أغرّ محجّل ! وقالت الأنصار : لولا عليّ بنُ أبي طالب عليه السلام في المهاجرين لأبَيْنا لأنفُسنا أن يُذكَر المهاجرون معَنا ، أو أن يُقرَنوا بنا ، ولكنْ رُبَّ واحدٍ كألف ؛ بل كألوف .

وقد تقدّم ذكرُ الشّعر المَنسوب إلى الوزير المغربيّ وما طعن به القادر بالله الخليفة العبّاسيّ في دِينه وطريقته ، وكان الوزيرُ المغربيّ يتبرّأ منه ويَجحَده ، وقيل : إنه وُجد مسوّدة بخطّه في رُفعت إلى القادر بالله

ومما وُجد بخطّه أيضاً ــ وكان شديدَ العَصبيّة للأنصار ولقحطانَ قاطبةً ، على عدنانَ ، وكان ينتمي إلى الأزْد ، أزد شَنوءة ــ قوله :

إنّ الذي أرسَى دعائمَ أحمدٍ	وعَــــلا بدعوته على كيوانِ
أبناء قَيْلة وارثو شرف العُلا	وعَرانِين الأقيــــال من قحطانِ
بسُيوفهم يومَ الوَغى وأكفّهم	ضُرِبتْ مَصاعبُ مُلكه بجِرانِ[1]
لولا مَصارعُهم وصِدْقُ قِراعهم	خرّت عُروشُ الدّين للأذقانِ
فليشكُرنّ محمّدٌ أسيافَ مَن	لولاه كان كخالدِ بن سِنــــانِ

وهذا إفراطٌ قبيح ، ولفظٌ شنيع ؛ والواجب أن يُصان قدرُ النّبوة عنه ، وخصوصاً البيتُ الأخير ، فإنه قد أساء فيه الأدب ، وقال ما لا يجوز قولُه ، وخالدُ بنُ سنان كان من بني عَبْس بن بَغيض ، من قيس عَيْلان ، ادّعى النّبوة ، وقيل : إنه كانت تظهر عليه آياتٌ ومُعجزات ، ثم مات وانقرض دِينُه ودثرتْ دعوتُه ، ولم يَبقَ إلا اسمُه ، وليس يعرفه كلّ الناس ، بل البعض منهم .

---

(١) يقال : ضرب بعير بجرانه : إذا برك

(٤٧٢)

الأصل :

وقال عليه السلام :

العَيْنُ وِكاء السَّهِ .

* * *

قالَ الرَّضيُّ رحمهُ اللهُ تعالى . وهذهِ مِنَ الاستعاراتِ العجيبةِ ، كأنَّهُ شبَّهَ السَّهَ بالوعاء والعينَ بالوِكاء ، فإذا أُطلِقَ الوِكاءُ لَمْ ينضبط الوعاء . وهذا القولُ في الأشهرِ الأظهرِ مِنْ كلامِ النبيِّ صلَّى الله عليه وآله ، وقدْ رواهُ قومٌ لأميرِ المؤمنين عليهِ السلامُ ؛ وذكرَ ذلكَ المبرِّدُ في الكتابِ المقتضَبِ في باب اللفظ المعروفِ .

قالَ الرضيُّ . وقدْ تكلَّمنا على هـذهِ الاستعارةِ في كتابِنا الموسُومِ بمجازات الآثارِ النبويَّةِ .

* * *

الشرح :

المعروف أنّ هذا من كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ذكره المحدّثون في كُتبهم وأصحابُ غريب الحديث في تصانيفهم ، وأهلُ الأدب في تفسير هذه اللفظة في مجموعاتهم اللغوية ، ولعل المبرّد اشتبه عليه فنسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، والرواية بلفظ التثنية : « العينان وِكاء السَّهِ » ، والسَّهُ : الاستُ .

وقد جاء فى تمام الخبر فى بعض الروايات : « فإذا نامت العينان استطلق الوكاء » ، والوكاء : رباطُ القِربة ، فجعل العينين وِكاء — والمرادُ اليقظة — للسَّته كالوكاء للقربة ، ومنه الحديث فى اللُّقَطة : « احفظ عِفاصَها ووِكاءها ، وعرِّفها سنةً ، فإن جاء صاحبُها وإلا فشأنَك بها » ، والعِفاص : السِّداد ، والوكاء : الشِّداد ، وهذه من الكنايات اللطيفة .

***

[فصل فى ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها]

وقد كنّا قدّمنا قطعةً صالحةً من الكنايات المستحسَنة ، ووعدنا أن نعاودَ ذكرَ طرفٍ منها ، وهذا الموضعُ موضعه ، فمن الكناية عن الحدث الخارج — وهو الذى كنّى عنه أميرُ المؤمنين عليه السلام ، أو رسول الله صلى الله عليه — الكناية التى ذكرها يحيى ابن زياد فى شعره ، قيل : إن يحيى بن زياد ومطيعَ بن إياس وحمّادا الراوية جلسوا على شرابٍ لهم ، ومعهم رجلٌ منهم ، فانحلّ وكاؤه ، فاستحيا وخرج ، ولم يَعُدْ إليهم ، فكتب إليه يحيى بن زياد :

أمِن قَلوصٍ غدَتْ لم يُؤذِها أحدٌ	إلاّ تذكُّرُها بالرَّمْل أوطانا
حانَ العِقالُ لها فانبتّ إذ نفرتْ	وإنما الذنبُ فيها للذى خانا
هجرتَنا مِنك هِجراناً ومَقْلِيَةً	ولا تزورنا كما قد كنت تغشانا
حفّصْ عليك فما فى الناس ذو إبلٍ	إلاّ وأينُقه يشردْن أحيانا

وليس هذا الكتابُ أهلاً أن يضمَّن حكاية سخيفة أو نادرة خليعة ، فنذكر فيه ما جاء فى هذا المعنى ، وإنما جرَأْنا على ذكر هذه الحكاية خاصّة كناية أمير المؤمنين عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وآله عنه ، ولكنا نذكر كنايات كثيرة فى غير هذا المعنى مستحسَنة ، يمتنع القارئ بالوقوف عليها .

يقال : فلانٌ من قوم موسى ، إذا كان مَلُولا ، إشارةً إلى قوله تعالى : ﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبِرَ على طعامٍ واحدٍ ﴾[1] .

قال الشاعر :

فيا مَنْ ليس يَكفيه صَديقٌ ولا ألفا صَديقٍ كلَّ عامِ

أظنّك مِنْ بقايا قوم مُوسى فهمْ لا يَصبرونَ على طعامِ

وقال العبّاس بنُ الأحنف :

كتبتْ تلومُ وتستريثُ زِيارتي وتقولُ : لستَ لنا كعَهْدِ العاهِدِ

فأجبتُها ودُموعُ عَيْنِيَ سُجَّمٌ تَجري على الخدّين غير جَوامِدِ

يافَوْزُ لمْ أهجرْكُمُ لملالةٍ عَرَضَتْ ولا لمقالِ واشٍ حاسِدِ

لكنّني جرّبتُكم فوجدتُكمْ لا تَصبِرون على طعامٍ واحدِ

ويقولون للجارية الحسناء : قد أَبَقَتْ من رِضْوان ، قال الشاعر :

خَجِلَت العُودَ بالتثنّي الحسنِ وتثنّت كأنّها غُصنُ بانِ

وسجَدْنا لهــــا حيناً وقلنا إذ شغَتْنا بالحسن والإحسانِ

حاشَ للهِ أن تكوني من الإنـ ـسِ ولكنْ أَبَقْتِ مِنْ رِضوان

ويقولون لمكشوف الأمر الواضح الحال : ابن جَلاَ ، وهو كناية عن الصُّبْح

ومنه ما تمثّل به الحجّاج :

أنا ابنُ جَـــلاَ وطَلاّعُ الثنايا متى أضَعِ العِمامةَ تعرِفوني[2]

ومنه قولُ القلاخ بن حَزْن :

---

(١) سورة البقرة ٦١ .
(٢) الكامل ١ : ٢٢٤ ، ونسبه إلى سحيم بن وثيل الرياحي

* أنا القُلاخُ بنُ القُلاخِ ابنِ جَلاَ *

ومنه قولهم: فلان قائدُ الجَمَل لأنه لا يَحْتَقِ لعظم الجمل وكِبَر جثته، وفي المَثَل: ما استتر مَن قاد جَمَلا. وقالوا: كَفَى رُغاؤها بِداء، ومِثْلُ هذا قولهم: مايومُ حَليمة بسِرّ يقال: ذلك في الأمر المَشْهور الذي لا يُستَر، ويومُ حَليمة يوم التقى المنذرُ الأكبرُ والحارثُ الغسّانيّ الأكبر، وهو أشهر أيام العرب، يقال: إنه ارتفع من العَجاج ماظهرتْ معه الكواكبُ نهاراً، وحليمة: اسمُ امرأةٍ أضيفَ اليومُ إليها، لأنّها أخرجَتْ إلى المعركة مَراكنَ الطِّيب، فكانتْ تُطيِّب بها الداخلين إلى القتال، فقاتلوا حتّى تفانَوْا.

ويقولون في الكِناية عن الشيخ الضعيف: قائدُ الجِمار، إشارةً إلى ما أنشده الأصمعي:

آتي النَّدِيَّ فلا يُقرَّبُ مجلسي وأقودُ للشَّرَفِ الرَّفيعِ حِماري

أي أقُودُه من الكِبَر إلى موضع مرتفع لأركبه ضَعْفاً. ومثلُ ذلك كِنايتُهم عن الشَّيخ الضعيف بالعاجن، لأنه إذا قام عَجَن في الأرض بكفّيه، قال الشاعر:

فأصبحتَ كُنْتِيًّا وأصبحتَ عاجناً وشرُّ خِصالِ المرء كُنتُ وعاجِنُ

قالوا: الكُنْتيُّ الذي يقول كنتُ أفعل كذا، وكنتُ أركَب الخيل، يتذكّر مامَضَى من زمانه، ولا يكونُ ذلك إلّا عند الهَرَم أو الفقر والضجر.

ومثلُه قولهم للشيخ: راكع، قال لبيد:

أخبِّرُ أخبارَ القرونِ التي مضتْ أدِبُّ كأنّي كلّما قمتُ راكِعُ[1]

والرُّكوع: هو التَّطامُنُ والانحناء بعد الاعتدال والاستواء، ويقال للإنسان إذا انتقل من الثروة إلى الفقر: قد رَكَع، قال:

لا تُهينَ الفقيرَ عَلَّكَ أن تَرْ كعَ يوماً والدَّهرُ قد رَفَعَه[2]

---

(١) ديوانه ١٧١ (٢) للأضبط بن قريع السعدي، أمالي القالي ١ : ١٠٨

وفى هذا المعنى قال الشاعر :

ارفعْ ضعيفَكَ لا يَحُرْ بِكَ ضعفُه يوماً فتدركه الحوادثُ قد نَمَا[1]

يَجزِيك أو يُثنِى عليكَ وإنّ مَنْ يُثنِى عليكَ بما فعلتَ فقد جزَى

ومثلُه أيضا :

وأكرِمْ كريمًا إنْ أتاكَ لحاجةٍ لعاقبةٍ إنّ العِضاةَ تَروحُ

تروّح الشجر : إذا امطر باسّت ، يقول : إن كان فقيرا فقد يستغنى ، كما أنّ الشجر الذى لا وَرَق عليه سيكتسى وَرَقا ، ويقال : رَكِم الرجل ، أى سقط .

وقال الشاعر :

حرقٌ إذا رَكِم المطىُّ من الوجَى لم يطو دونَ رفيقِه ذا المِزْوَدِ

حتى يؤوب به قليلاً فضلُه حمِد الرفيقُ نداكَ أو لم يَحمد

وكما يشبهون الشيخ بالراكم فيكنون به عنه ، كذلك يقولون : يحجِل فى قيده لتقارُب خطوه ، قال أبو الطمحان القينىّ :

حَنَتْنِى حانياتُ الدهرِ حتى كأنّى خاتلٌ أدنو لصيدِ

قريبُ الخطوِ يحسَبُ من رآنى ولستُ مقيّدا أنّى بقيدِ

ونحو هذا قولهم للكبير : بَدَتْ له الأرنب ، وذلك أنّ من يختِل الأرنبَ ليصيدَها يتمايَل فى مِشيته ، وأنشد ابن الأعرابىّ فى النوادر :

وطالتْ بىَ الأيامُ حتى كأنّنى من الكِبَرِ العالِى بَدَت لىَ أرنبُ

ونحوه يقولون للكبير : قيدَ بفلانٍ البعير ، أى لا قوّة ليدِه على أن يصرِّف البعيرَ تحته على حسَب إرادته ، فيقودُه قائدٌ يحمله حيثُ يريد .

---

(١) للسموءل بن عادياء ، ملحق ديوانه ٤٣

ومن أمثالهم : لقد كنتُ وما يقادُ بىَ البعير: يضرب من كان ذا قوّة وعزم ، ثم عجز وفتر .

ومن الكنايات عن شيب المتفقة قولهم : قد عض على صوفه .

ويكنون عن المرأة التى كبرسنها فيقولون : امرأة قد جمعت الثياب ، أى تلبس القناع والخمار والإزار ، وليست كالفتاة التى تلبس ثوبا واحدا .

ويقولون لمن يخضب :يسوّد وجه النذير ، وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وجاءكم النذير ﴾[1] : إنه الشيب .وقال الشاعر :

وقائلةٍ لىَ اخضبْ فالغوانى . تطيَّرُ مِنْ مُلاحظةِ القَتيرِ
فقلت لها المشيبُ نذيرُ موتى ولستُ مسوّدا وجهَ النذيرِ

وراحمَ شابٌ شيخا فى طريق فقال الشاب : كم ثمن القوس ؟ يعيره بانحناء الظهر ، فقال الشيخ : يابنَ أخى : إن طال بكَ عمرٌ فسوفَ تشتريها بلا ثمن .

وأنشد لابن خلف :

تعيِّرنى وخطَ المشيبِ عوارضى ولولا الصِّقولُ النصلُ لم تُعرف الدُّهْمُ
حنا الشيبُ ظهرى فاستمرت مريرتى ولولا انحناء القوسِ لم ينفذ السهمُ

ويقولون لمن رشا القاضى أو غيره : صبّ فى قنديله زيتا ، وأنشد :

وعند قضاتنا خُبثٌ ومكرٌ وزرعٌ حين تسقيه يُسنبِلْ
إذا ماصبَّ فى القنديل زيتٌ تحوّلت القضيّة للمُقَنْدِلْ

وكان أبو صالح كاتبُ الرشيدِ يُنسب إلى أخذ الرشا ، وكان كاتب أمّ جعفر .

(١) سورة فاطر ٣٧

وهو سعدانُ بنُ يحيى كذلك ، فقال له الرشيد يوما : أما سمعتِ ماقيل فى كاتبك ؟ قالت : ماهو ؟ فأنشدها :

صبَّ فى قنديل سعدا ن مع التسنيم زيتا
وقنـــــديل تيه قبل أن تعنى الكميتا

قالت : ما قيل فى كاتبك أشنع ، وأنشدته :

قنديلُ سعدانَ علا ضوءهُ فرْخٌ لقنديلِ أبى صالحِ
تراهُ فى مجلسِه أحوصـــــاً من لحمه للدَّرْم الـــلائحِ

ويقولون : لمن طلَّق ثلاثا (مطاعن‍ها عكنته)

ويقولون أيضا . أعطاه نصف السَّنة

ويقولون لمن يفخر بآبائه : هو عظامىّ ، ولمن يفخر بنفسه هو عصامىّ ، إشارة إلى قول النابغة فى عصام بن سهل حاجب النعمان .

نفسُ عصامٍ سوّدتْ عصاما وعلّمته الكرَّ والإقداما[1]

* وصيّرته ملكا هماما *

وأشار بالعصامىّ إلى فخره بالأموات من آبائه ورهطه ، وقال الشاعر :

إذا ما الحىُّ عاشَ بعظمِ ميْتٍ فـــذاكَ العظم حىٌّ وهو ميْتُ

ونحو هذا أنّ عبد الله بن زياد بن ظبيان التميمىّ دخل على أبيه وهو يجود بنفسه فقال . ألا أوصى بك الأمير ؟ فقال : إذا لم يكن للحىّ إلا وصيّة الميت فالحىّ هو الميت ، ويقال : إن عطاء بن أبى سفيان قال ليزيد بن معاوية : أعنى عن غيرك ، قال :

---

(١) العقد الثمين ، ملحق ديوانه ١٧٥

حَسْبُكَ ما أغناكَ به معاوية ؛ قال : فهو إذَنْ الحيُّ وأنتَ الميت ، ومثلُ قولهم : عِظامِيّ ، قولهم : خارجيّ ، أى يفخر بغير أوليّة كانت له ، قال كثيّر لعبد العزيز :

أبا مَرْوانَ لستَ بخارجيٍّ وليس قديمُ مجدكَ بانتحالِ

ويكنُون عن العزيز وعن الذليل أيضا فيقولون : بَيْضة البَلَد ، فمن يقولها للمَدْح يذهب إلى أنّ البَيْضة هى الحوزة والحِمى ، يقولون : فلانٌ يحمِى بيضته ، أى يحمِى حَوْزَته وجماعته ، ومن يقولها للذّم يعنى أنّ الواحدةَ من بَيْض النَّعام إذا فسدت تَركها أبواها فى البلد وذهبا عنها ، قال الشاعر فى المدح :

لكنّ قائلَه من لا كِفاءَ له من كان يُدعى أبوه بيضةَ البلدِ (١)

وقال الآخر فى الذّم :

تأبَى قُضاعةُ لم تَعرِفْ لكمْ نَسَبًا وابنا نِزارٍ فأنتمْ بيضةُ البَلَدِ (٢)

ويقولون للشىء الذى يكون فى الدهر مرّة واحدة : هو بَيْضة الدِّيك ، قال بشّار :

يا أطيبَ الناس ريقًا غير مختبَرٍ إلا شهادة أطرافِ المساويكِ (٣)
قد زُرتِنا زَوْرةً فى الدهر واحدةً ثَنّى ولا تجعليها بيضةَ الدِّيكِ

ويكنُون عن البُخل بالقَذَى فى الشراب ، قال الأخطل يذكر الخمرَ والأجتماع عليها :

وليسَ قَذاها بالذى قد يَضيرُها ولا ذُبابٍ نَزْعُه أيسَر الأمرِ (٤)
ولكنْ قَذاها كلّ جِلفٍ مكلّفٍ أتتنا به الأيّامُ من حيثُ لا ندرِى

---

(١) من أبيات لامرأة من بنى عامر بن لؤى ، ترثى عمرو بن ود ، اللسان (بيض)
(٢) اللسان (بيض) ونسبه إلى ابن الرقاع   (٣) أمالى القالى ١ : ٢٢٨
(٤) كنايات الجرجانى ١١١

فَدَاكَ الفَدَى وابنُ الفَدَى وأخو الفَدَى ... فإنّ له من زائرٍ آخر الدَّهـــــــر

ويكنون أيضا عنه بقدح البلاب ، قال الشاعر :

يا ثقيلاً زادَ في الثِّقْـــل على كلّ ثقيل (١)

أنت عندي قدح بلـ ... ـلاب في كفّ العليل

ويكنون عنه أيضا بالقدح الأول ، لأنّ القدح الأول من الخمر تكرهه الطبيعة

وما بعده يحلو به لاعتياده ، قال الشاعر :

وأثقل من حصيب بدية ... وأنغص من قدحٍ أول

ويكنون عنه بالكانون ، قال الحطيئة يهجو أمّه :

تنحّيْ فاقعـــدي عنّي بعيداً ... أراحَ الله منكِ العـــالمينا (٢)

أغربالاً إذا استودعتِ سِرّاً ... وكانوناً على المتحـــدّثينا !

قالوا : وأصله من كَنَنْتُ أي سترت ، فكأنه إذا دخل على قوم وهم في حديث

ستروه عنه ، وقيل : بل أراد شدة بَرْده .

ويكنون عن الثقيل أيضا برحا البزر ، قال الشاعر :

وأثقل من رحا بزرٍ علينا ... كأنك من بقايا قوم عادِ (٣)

ويقولون لمن يحمدون جواره : جاره جارُ أبي دُوادٍ ، وهو كعب بن مامة الإيادي ،

كان إذا جاوره رجلٌ فمات وَدَاه ، وإن هلك عليه شاة أو بعيرٌ أخلف عليه ، فجاوره

أبو دواد الإيادي ، فأحسن إليه ، فضرب به المثل .

ومثله قولهم : هو جليس قعقاع بن شَوْر ، وكان قد قدم إلى معاوية فدخل

عليه ، والمجلس غاصٌّ بأهله ليس فيه مقعد ، فقام له رجل من القوم وأجلسه مكانه ، فلم

---

(١) كنايات الجرجاني ١١١ (٢) ديوانه ٦١ . (٣) كنايات الجرجاني ١١١

يبرح القعقاعُ من ذلك الموضع بكلّم معاوية ومعاويةُ يُحاصيه حتّى أمَر له بمائة ألف درهم، فأحضِرَت إليه ، فحُملت إلى جانبه ، فقعد ثم قال للرجل القائم له من مكانه : ضُمَّها إليك ، فهى لك بقيامك لنا عن مجلسك ، فقيل فيه :

وكنتُ جليسَ قعقاعِ بن شَوْرٍ ولا يَشْقَى بقعقـاعٍ جليسُ[1]
ضحُوكُ السِّنِّ إنْ نطقوا بخيرٍ وعند الشرِّ مِطْراقٌ عَبُوسُ

أخذ قوله : « ولا يَشْقَى بقعقاعٍ جليسُ » من قول النبىّ صلّى الله عليه وآله : « هم القومُ لا يَشْقَى بهم جليسُهم » .

ويكنُون عن السَّمين من الرجال بقولهم : هو جار الأمير ، وضيفُ الأمير ، وأصلُه أنّ الغضبان بنَ القبعثرى كان محبوساً فى سجن الحجّاج ، فدعا به يوما فكلّمه ، فقال له فى جملة خطابه : إنّك لسمين ياغضبان ؛ فقال : القيد والرّتعة ، والخفض والدَّعة ، ومَن يكنْ ضيفَ الأمير يَسْمَن .

ويكنِى الفلاسفةُ عن السَّمين بأنّه يمرّض سور نفسه ، وذلك أنّ أفلاطونَ رأى رجلاً سميناً ، فقال : ياهذا ، ما أكثرَ عنايتَك بتمريض سور حبْسِك !

ونظر أعرابىٌّ إلى رجل جيّد الكِدْنة[2] ، فقال : أرى عليك قطيفةً محكَمَةً . قال : نعم ، ذاك عنوانُ نعمة الله عندى .

ويقولون للكذّاب : هو قوسُ الصَّخرة ، وأيضا هو زَلُوقُ الكَبِد ، وأيضا لا يُوثق بسَيْل سَفْحه . وأيضا أسيرُ الهِنْد لأنه يدّعى أنّه ابنُ الملِك ، وإن كان من أولادِ السَّفَلة

ويُكنَى عنه أيضا بالشيخ العرب ، لأنّه يحبّ أن يتزوج فى الغُربة فيدّعى أنه ابنُ خمسين سنةً ، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين .

(١) كنايات الجرجانى ١١١ (٢) الكدنة : كثرة الشحم واللحم .

ويقولون : هو فاختةُ النَّدَ ، من قول الشاعر :

أكذبُ من فاختةٍ تَصيحُ فوقَ الكَرَبِ[1]
والطَّلْعُ لم يَبْدُ لَها : هــذا أوانُ الرُّطَبِ

وقال آخرَ في المعنى :

حــــــديثُ أبي حازمٍ كلّه كقَوْلِ الفَواخِتِ : جاء الرُّطَبْ[1]
وهُنَّ وإن كُنَّ يُشْبِهْنَه فلسْنَ بُداتيــــه في الكَذِبْ

ويَكْنُون عن النَّمام بالزّجاج ، لأنه يَشِفُّ عن ماتَحته ، قال الشاعر :

أنَمُّ بمـــــا أستودَعْتُه من زُجاجةٍ يُرَى الشيء فيها ظاهراً وهو باطِنُ

ويَكْنُون عنه بالنَّسيمِ ، من قولِ الآخر :

وإنَّك كلّ استُودِعْتَ سِرّاً أنَمُّ من النَّسيم على الرّياضِ

ويقولون : إنّه لصُبْح ، وإنّه لطيب ، كلّه في النّمام . ويقولون : مازال يَفتِل له في الذِّرْوة والغارِب حتّى أسمَحَتْ قَرُونَته ، وهي النفسُ ، والذِّرْوة : أعلى السَّنام ، والغارب : مقدّمه .

ويقولون في الكِناية عن الجاهل : مايَدرِي أيّ طَرَفَيــه أطوَل ، قالوا : ذَكَرُه ولِسانُه .

وقالوا : هل نَسَبُ أبيه أفضلُ أمْ نَسَبُ أمّه ؟

ومثلُه لا يَعرِف قطاته من لطاته ، أي لا يعرف جَبْهته ممّا بين وَرِكيه .

وقالوا : الحِــدّة كُنية الجهــل ، والاقتصاد كنية البُخْل ، والاستقصاء كُنية الظُّلْم .

---

(١) الكنايات للجرجاني ١١٢ .

وقالوا للجائع : عَضّه الصَّفَر ، وعَضّه شُجاع البَطْن .

وقال الهُذَليّ :

أَرُدُّ شُجاعَ البَطْنِ قد تعلمِينَه ... وأُوثِرُ غَيْرِي مِن عِيالِكِ بالطُّعْمِ [(١)]

مَخافَةَ أن أحيا بِرَغْمٍ وذِلَّةٍ ... ولَلْمَوتُ خيرٌ من حَياةٍ على رَغْمِ

ويقولون : زوّده زادَ الضَّبِّ ، أي لم يزوِّده شيئاً لأنّ الضبّ لا يشرب الماء ، وإنما يتعدّى بالرّيح والنَّسيم ، ويأكل القليل من عُشْب الأرض .

وقال ابن المعتزّ :

تقول أكلنا لحمَ جَدْيٍ ونعجة ... وعشر دجاجاتٍ شواء بألوانِ [(٢)]

وقد كذب الملعونُ ما كان زادُه ... سوى زادِ ضَبٍّ يبلع الرّيحَ عطشانِ

وقال أبو الطيّب :

لقد لعِبَ البَيْنُ المُشِتُّ بها وبي ... وزوّدني في السَّيْرِ ما زوّد الضّبّا [(٣)]

ويقولون للمختبئين من الناس : هم كَبَعَر النّاقة ، وهم كبَعَر الكَبْش ، قال عمرو بن لجأ :

وشِعْرٍ كبَعْرِ الكَبْشِ ألّفَ بينَه ... لسانُ دَعِيٍّ في القَرِيضِ دَخِيلِ [(٤)]

وذلك لأنّ بعرَ الكَبْش يقعُ متفرّقاً .

وقال بعضُ الشعراء لشاعر آخر : أنا أشعر منك لأني أقولُ البيت وأخاه ، وتقول البيت وابن عمّه . وأما قولُ جرير في ذي الرمّة : إنّ شعره بعرظباء ، ونقط عروس ، فقد فسره الأصمعيّ فقال : يريد أنّ شعره حُلْوٌ أول ما تسمعه ، فإذا كرّر إنشادُه ضعف ، لأنّ أبعار الظِّباء أول ما تشمّ توجد لها رائحةُ ما أكلتْ من الجَثْجاث والشِّيح

---

(١) لأبي خراش الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ١٢٨
(٢) كنايات الجرجاني ١١٥
(٣) ديوانه ٦٠
(٤) كنايات الجرجاني ١١٢

والقَيْصوم ، وإذا أُدْمِنَ شمّه عُدِمَتْ تلك الرائحة ، ونقط العروس إذا غسلتها ذهبت .

ويقولون أيضا للمختلفين : أخياف ، والخَيَف : سوادُ إحدى العينين وزرق الأخرى .

ويقولون فيهم أيضا : أولادُ عَلاّت كالإخوة لأمّهاتٍ شتّى ، والعَلّة : الضَّرّة .

ويقولون فيهم : حمر كُتَف ، لأنه يكون مختلفا ، قال شاعرٌ يهجو الحجّاجَ ابنَ يوسف :

أينسَى كليبٌ زمانَ الهزالِ وتعليمه سورة الكوثر[1]
رغيفٌ له فَلْكَة ما ترى وآخر كالقمر الأزهر

ومثله :

أما رأيت بني سَهْم وجوههم كأنّها حمر كُتْفٍ وتفّاح[2]

ويقال للمتساوين في الرداءة : كأسنان الحمار ، قال الشاعر :

سواء كأسنان الحمارِ فلا ترى لذي شَيْبةٍ منهم على ناشىء فضلا[2]

وقال آخر :

شبابهم وشيبهم سواء فهم في اللؤم أسنانُ الحمارِ[3]

وأنشد المبرّد في الكامل لأعرابي يصف قوما من طيّئ بالتساوي في الرداءة :

ولما أن رأيتُ بني جُوَيْنٍ جُلوساً ليس بينهم جَليسُ
يئست من التي أقبلت أبغي لديهم ، إنني رجلٌ يئوسُ
إذا ما قلتُ أيهم لأيٍّ تشابهت المناكب والرءوسُ

قال : فقوله : «ليس بينهم جليس» هجاء قبيح ، يقول : لا يتحرم الناس معروفهم .

---

(١) سرح العيون ١٧٠ وكنايات الجرجاني ١١٨ (٢) كنايات الجرجاني ١٢١
(٣) الكامل ١ : ١٧٢ ، ونسبه لبعض أعراب من طيّئ .

فليس بينهم غيرهم . ويقولون فى المتساويين فى الرّدَاءة أيضا : هما كحمارَى العبادى ، قيل له : أىُّ حماريك شرٌّ ؟ قال : هذا ثمّ هذا . ويقال فى التساوى فى الشّرّ والخير : هم كأسنان المُشط ، ويقال : وقعا كركبتى البعير ، وكرِجلى نَعامة .

وقال ابنُ الأعرابىّ : كلُّ طائرٍ إذا كُسِرَتْ إحدى رِجليه تحامل على الأخرى إلا النعام فإنه متى كُسرتْ إحدى رِجليه جَثَم ، فلذلك قال الشاعر يذكر أخاه :

وإنّى وإياه كرِجلَىْ نَعامةٍ　　على ما بِنا من ذى غِنًى وفقيرِ[1]

وقال أبو سفيانَ بنُ حرب لعامر بن الطفيل وعلقمة بن عُلاثة وقد تنافرا إليه : أنتما كرُكبتَىِ البعير : فلم ينفّر واحدا منهما ، فقالا : فأيّنا اليُمنى ؟ فقال : كلٌّ منكما يُمنى .

وسأل الحجاج رجلا عن أولاد المهلب : أيهم أفضل ؟ فقال : هم كالحلقة الواحدة .

وسُئل ابنُ دُرَيد عن المبرّد وثعلب ، فأثنى عليهما ، فقيل : فأين قُتيبة ؟ قال : ربوة بين جبلين ، أى تحمل ذِكرُه بنباهتهما .

ونكنى عن الموت بالقطع عند المنجّمين ، وعن السّعاية بالنصيحة عند العمال ، وعن الجماع بالوطء عند الفقهاء ؛ وعن السُّكر بطيب النفس عند النُّدَماء ، وعن السؤال بالزوار عند الأجواد ؛ وعن الصَّدقة بما أفاء الله عند الصّوفية .

ويقال للمتكلّف بمصالح الناس : إنه وصىّ آدم على وَلَدِه ، وقد قال شاعرٌ فى هذا الباب :

فكأنّ آدمَ عند قربِ وفاتِه　　أوصاكَ وهو يجودُ بالحَوْباء
ببنيـــه أنْ ترعاهمُ فرعيتَهمْ　　وكَفَيتَ آدمَ عَيْلةَ الأبناء

ويقولون : فلانٌ خليعُ الخِصر إذا كان كثيرَ السَّفَر ، قال أبو تمام .

---

(١) كنايات الجرجانى ١١٩

حليفة الحضر من يربَع على وطنٍ | أو بلدة فظهور العيس أوطاني[1]
ببغداد أهلي وبالشام الهوى وبها | بالرقتين وبالفسطاط إخواني
وما أظن النوى ترضى بما صنعت | حتى تبلّغني أقصى خراسانِ

ويقولون للشيء الحار المتحصّب : هو تمرة الغراب ، لأنه ينتقي خير التمر .

ويقولون : تمرُ فلان في أديمه : كناية عمن لا ينتفع به ، أي ما خرج منه يرجع إليه ، وأصله أن يُحيا[2] من سمن الشق في طرف من الدقيق ، فقيل ذلك ، قال الشاعر :

ترحّل فما ببغداد دار إقامة | ولا عندمن أضحى ببغداد طائل[3]
محلّ ملوك تمرهم في أديمهم | وكلهم من حلية المجد عاطل
فلا غرو أن شلّت يد المجد والعلى | وقلّ سماح من رجال ونائل
إذا غضغض البحر الغطامط ماءه | فليس عجيباً أن تغيض الجداول[3]

ويقولون من لا يفي بالعهد : فلان لا يحفظ أول المائدة ، لأن أولها : ﴿ يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾[4] .

ويقولون لمن كان حسن اللباس ولا طائل عنده : هو مِشجب ، والمشجب : خشبة القصار التي يطرح الثياب عليها ، قال ابن الحجاج :

لي سادة طائر السرور بهم | يطرده اليأس بالمقاليع[5]
مشاجب للثياب كلهم | وهذه عادة المشاجيع
حاشاي عندهم إذا سمعوا | شعري هذا كلام مطبوع

---

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٨ ، ٣١٠ .
(٢) كنايات الجرجاني ١٢٠ ، ونسبها إلى أبي العالية .
(٣) بحر غطامط : كثير الأمواج .
(٤) سورة المائدة ١ .
(٥) كنايات الجرجاني ١٢١ .

وإنهم يضحكون إن ضحكوا مِنّي وأبكي أنا مِن الجوع

وقال آخر :

إذا لبسوا دُكْنَ الخزوزِ وخُضْرَها وراحوا فقد راحتْ عليكَ المشاجِبُ[1]

وروى أن كَيْسانَ غلامَ أبي عُبيدة وَفَدَ على بعض البرامكة فلم يُعطِه شيئاً ، فلما وافى البَصْرة قيل له : كيف وجدته ؟ قال : وجدتهُ مِشجَبًا من حيث ما أتيته وَجدْتهُ .

ويكنون عن الطُّفَيْليّ فيقولون : هو ذبابٌ ، لأنه يقع في القُدور ، قال الشاعر :

أتيتُكَ زائراً لقضاء حَقٍّ فحالَ السِّترُ دُونكَ والحجابُ[2]

ولستُ بواقعٍ في قِدْرِ قومٍ وإنْ كرِهوا كما يقعَ الذُّبابُ

وقال آخر :

وأنتَ أخو السَّلام وكيفَ أنتمْ ولستَ أخا الملمَّاتِ الشِّدادِ[3]

وأطفل حين يُغنى من ذُبابٍ وألزم حين يُدعَى مِن قُرادِ

ويكنون عن الجرَب بحَبّ الشَّباب ، قال الوزير المهلبي :

يا صُروفَ الدهرِ حَسْبي أيَّ ذنبٍ كانَ ذَنْبي ! [4]

عِــــلةٌ حَصَّتْ وعمَّتْ في حبيبٍ ومُحِبِّ

دبَّ في كفَّيْه يا مَنْ حُبُّــــهُ دَبَّ بقلبي

فهو يشكو حرَّ حَبٍّ واشتكائي حَرَّ حُبِّ

ويكنون عن القصير القامة بأبي زبيبة ، وعن الطويل بخيط باطل . وكانت كُنْية مروان بن الحكم لأنه كان طويلا مضطربًا ، قال فيه الشاعر :

لحا الله قومًا أمَّرُوا خيطَ باطلٍ على الناس يُعطِي من يَشاء ويَمنَعُ[3]

وفي خيط باطلٍ قولان : أحدهما أنه الهباء الذي يدخل من ضوء الشمس في الكُوَّة

(١) الأخطل ، ديوانه ٢٢

(٢) كنايات الجرجاني ١٢٢ ، ونسبه لابن أبي عيينة .

(٣) كنايات الجرجاني ١٢٢

من البيت ، وتسمّيه العامّة غَزْلَ الشَّمْس ، والثانى أنه الخيط الذى يخرُج من فَم العَنْكَبوت ، وتسمّيه العامّة مُخاط الشَّيطان .

وتقول العرب للملقوّ[1] : لَطِيمُ الشيطان .

وكان لقبُ عَمْرو بن سعيد الأشدق ، لأنه كان مَلْقُوًّا .

وقال بعضهم لآخَر : ما حَدَث ؟ قال : قَتَل عبد الملك عمرًا ، فقال : قتل أبو الذبّان لَطِيمَ الشَّيطان ، ﴿ وكَذَلِكَ نُوَلِّى بعضَ الظّالمين بعضاً بما كانوا يَكسِبون ﴾ .

ويقولون للحزين المهموم : يَعُدّ الحصى ، ويَخُطّ فى الأرض ، ويَفُتّ اليَرْمَع ؛ قال المجنون :

عشيّةَ مالى حيلةٌ غيرَ أنّنى ... بلَقْطِ الحَصَى والخطّ فى الدار مُولَعُ[2]

أخُطّ وأمحو كلَّ ما قد خططتُه ... بدَمعى والغِربان حَولى وُقّعُ

وهذا كالنادم يَقْرَع السِّنّ ، والمحيل ينكُت الأرض ببنانه ، أو بعُودٍ عند الردّ ، قال الشاعر :

عَبيدُ إخوتِهمْ حتى إذا رَكِبوا ... يومَ الكَريهةِ فالآسادُ فى الأجَمِ[3]

يُرضُون فى العُسْر والإيسارِ سائِلَهم ... لا يَقرَعون على الأسنانِ مِن نَدَمِ

وقال آخَر فى نَكْت الأرض بالعِيدان :

قــومٌ إذا نزل الغريب بدارِهمْ ... ترَكوه رَبَّ صَواهِلٍ وقِيانِ

لا ينكُتون الأرضَ عند سؤالِهمْ ... لتطلّبِ العِلّاتِ بالعِيدانِ

ويقولون للفارغ : فؤادُ أمّ موسى .

---

(١) الملقو : المصاب باللقوة ، وهو مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه .

(٢) ديوانه ١٨٨

(٣) كنايات الجرجانى ، ونسبه إلى عمر بن أمية بن أبى الصلت

ويقول للمُثْرِى من المال: مُنْقَرِس، وذلك أنّ عِلّة النِّقْرِس أكثر ما تعترى أهل الثَّروة والتنعّم.

حَكى المبرِّد، قال: كان الجرمازيّ في ناحية عمرو بن مَسْعدة، وكان يُجرى عليه، فخرج عمرو بن مسعدة إلى الشام؛ وتخلّف الجرمازيّ ببغداد، فأصابه النِّقْرس، فقال:

أقامَ بأرضِ الشّام فاختلّ جانبى ... ومَطلبُه بالشام غيرُ قريبِ[1]

ولا سيّما من مُفلِسٍ حِلفِ نِقرِسٍ ... أما نِقرِسٌ فى مُفلِسٍ بعجيبِ!

وقال بعضهم يهجو ابن زيدان الكاتب:

تواضعَ النِّقرسُ حتى لقد ... صار إلى رِجْـلِ ابنِ زَيْدانِ

علّةُ إنسانٍ ولكنّها ... قد وُجدتْ فى غيرِ إنسانِ

ويقولون للمترَف: رقيقُ النّعال، وأصله قولُ النابغة:

رِقاقُ النّعالِ طيّبٌ حُجُزاتُهم ... يُحيَّون بالرَّيحان يومَ السَّباسبِ[2]

يعنى أنهم ملوكٌ، والملوك لا يخصفون نعالهم، إنما يخصف نعله من يمشى. وقوله: «طيّب حُجُزاتهم»، أى هم أعفّاء الفروج، أى يشدّون حُجُزاتهم على عفّة. وكذلك قولهم: فلانٌ مُسمَّط النِّعال، أى نعله طبقة واحدة غير مخصوفة، قال المرّار بن سعيد الفقعسيّ:

وجدتُ بنى خفاجة فى عُقيلٍ ... كرامَ الناسِ مُسمَّطة النِّعالِ[3]

وقريبٌ من هذا قولُ النّجاشيّ:

ولا يأكلُ الكلبُ السَّروقُ نِعالنا ... ولا ينتقى المُخَّ الذى فى الجماجمِ[3]

---

(١) كنايات الجرجانى ١٢٥ (٢) د و ٣٠

(٣) كنايات الجرجانى ١٢٥

يريد أنّ نعالهم سِبْت ، والسِّبْت : جلودُ البقر المدبوغة بالقَرَظ ، ولا تقربها الكلاب ، وإنما تأكل الكلابُ غيرَ المدبوغ ؛ لأنه إذا أصابه المَطَرُ دسّمه فصار زَهِماً .

ويقولون للسيّد : لا يَطأُ على قَدَم ، أى هو يتقدّم الناسَ ولا يتبع أحداً فيطأ على قدَمه .

ويقولون : قد اخضرّت نعالهم ، أى صاروا فى خِصْب وسَعة ، قال الشاعر :

يتأيّهون إذا اخضرّتْ نعالهُمُ ... وفى الحفيظةِ أبرامٌ مَضاجِيرُ

وإذا دَعَوا على إنسان بالزَّمانة قالوا : ختم الله نعليه ، لأنّ المُقعد لا يحتاجُ إلى نَعْل .

ويقولون : أطفأ اللهُ نورَه ، كناية عن العَمَى وعن الموت أيضاً ، لأنّ من يموت فقد طَفِئَتْ نارُه .

ويقولون : سقاهُ اللهُ دمَ جوفه ؛ دُعاء عليه بأن يقتُل ولدَه ، ويُضطرّ إلى أخذ دِيَته إبلاً فيَشربَ ألبانَها .

ويقولون : رماه الله بليلةٍ لا أختَ لها ؛ أى ليلة موته ، لأنّ ليلةَ الموْت لا أختَ لها .

ويقولون : وَقَعوا فى سَلَا جَمَل ، أى فى داهية لا يُرى مثلُها ، لأنّ الجمل لا سَلَا له ، وإنما السَّلا للناقة ، وهى الجُلَيْدة التى تكون ملفوفةً على ولدها .

ويقولون : صاروا فى حُوَلاء ناقة ، إذا صاروا فى خِصْب .

وكانوا إذا وَصفوا الأرض بالخصب قالوا : كأنّها حُوَلاء ناقة .

ويقولون لأبناء الملوك والرؤساء ومن يجرى مجراهم : جُفاة المَحَزّ ، قال الشاعر :

جُفاةُ المَحَزّ لا يُصيبون مِفْصَلاً ولا يأكلون اللحم إلا تَخَذُّما

يقول : هم ملوكٌ ، وأشباهُ الملوك لا حِذْقَ لهم بنحر الإبل والغنم ولا يعرفون التجليد والسلخ ، ولهم من يتولَّى ذلك عنهم ، وإذا لم يحضرهم من يحُزُّ الجزور تكلَّفوا هم ذلك بأنفسهم ، فلم يُحسنوا حزَّ المفصل كما يفعله الجزّار ، وقوله :

* ولا يأكلون اللحمَ إلا تخذُّما *

أى ليس بهم شَرَه فإذا أكلوا اللحمَ تخذَّموا قليلا قليلا ، والخذم : القطع ، وأنشد الجاحظ فى مثله :

وصُلْعِ الرءوسِ عِظامُ البطونِ جُفاةُ المَحَزِّ غِلاظُ القَصَرْ

لأنّ ذلك كله أمارات الملوك ؛ وقريبٌ من ذلك قوله :

ليس براعِى إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزّارٍ على ظهرِ وَضَمْ[1]

ويقولون : فلانٌ أملَس ، يكنُون عن لا خير فيه ولا شرّ ، أى لا يَثبُت فيه حمدٌ ولا ذَمّ .

ويقولون: مِلْحُه على رُكبَتِه ، أى هو سيّئ الخلُق ، يُغضبه أدنى شىء ، قال :

لا تَلُمْها إنها من عُصْبةٍ مِلْحُها موضوعةٌ فوقَ الرُّكَبْ[2]

ويقولون كنايةً عن مجوسىّ : هو ممّن يخطّ على النَّمْل ، والنَّمْل جمع نَمْلة ، وهى قَرْحة بالإنسان ، كانت العربُ تزعم أنّ المجوسىَّ إذا كان من أخته وخطّ عليها برَأت ، قال الشاعر :

ولا عيبَ فينا غيرَ عِرْقٍ لِمَعشرٍ كِرامٍ وأنّا لا نَخُطُّ على النَّمْل[3]

---

(١) الكامل ٢١٨ (طبع أوربا) . (٢) الجرجانى ١٢٧ ، ونسبه إلى مسكين .
(٣) اللسان (نمل)

ويقولون للصبي : قد قُطِعت ثمرته ، أى خُتِن . وقال عُمارة بنُ عقيل بنِ بلالِ ابن جرير :

مازال عِصيانُنا لله يُرذِلُنا حتى دُفِعنا إلى يحيى ودينارِ[1]
إلى عُنَيْجَيْن لم تُقطَع ثمارُهما قد طالَما سَجَدا للشمس والنار

ويقولون : قِدْر حليمة ، أى لا غَلَيانَ فيها .

ويقولون لمن يصلِّي صلاةً مختصَرة : هو زاجِرُ الصلاة

وقال أعرابىٌّ لرجل رآه يصلِّى صلاةً خفيفة : صلاتُك هذه زَجْر .

ويقولون : فلانٌ عفيفُ الشَّفَة ، أى قليلُ السؤال ، وفلانٌ خفيفُ الشَّفة ، كثيرُ السؤال .

وتَكنى العرَب عن المتيقِّظ بالقطامىّ ، وهو الصَّقر .

ويكنون عن الشدّة والمشقّة بعَرَق القِربة ، يقولون : لقيتُ من فلانٍ عَرَق القِرْبَة ، أى العَرَق الذى يحدُث لك من حَمْلها وثِقلها ؛ وذلك لأنّ أشدّ العمل كان عندهم السَّقْى وما ناسبه من معالجة الإبل .

وتكني العرَب عن الحشَرات وهَوامّ الأرض بخُروج سَعْد ؛ يعنُون سعدَ الأخبية ، وذلك لأنه إذا طَلَع انتشرتْ فى ظاهر الأرض ، وخرج منها ما كان مستترًا فى باطنها ، قال الشاعر :

قد جاء سعدٌ مُنذِراً بحَرِّهِ مُوعِـدةً جُنودُه بشَرِّهِ[1]

ويكني قومٌ عن السائلين على الأبواب بحَفَظة سورة يوسفَ عليه السلام ، لأنهم يعتنون بحفظها دونَ غيرها ، وقال عُمارة يهجُو محمّد بنَ وُهَيب .

تَشَبّهتَ بالأعراب أهلِ التعجرُفِ فدَلّ على ماقلتَ قُبْحُ التكلُّفِ[1]

---

(١) كنايات الجرجانى ١٢٩ ، ١٢ .

لسانٌ عِراقيٌّ إذا ما صرَفْتَه ... إلى لغةِ الأعرابِ لم يتصرَّفِ
ولم تَنْسَ ما قد كان بالأمسِ حاكَه ... أبوهُ وغودُ الحفِّ لم يتقصَّفِ
لئن كنتَ للأشعارِ والنحوِ حافظاً ... لقد كان من حُفَّاظ سورة يوسفِ

ويَكْنُون عن اللقيط بتربيةِ القاضي، وعن الرقيب بثاني الحبيب، لأنه يُرَى معه أبداً، قال ابنُ الرومي:

مَوْقِعُ الرقيبِ لا أنساهُ ... لستُ أختارُه ولا آباهُ
مرحباً بالرقيبِ من غيرِ وَعْدٍ ... جاءَ يَجْلُو عليَّ مَنْ أهواهُ
لا أحبُّ الرقيبَ إلّا لأنّي ... لا أرى من أحبُّ حتّى أراهُ

ويَكْنُون عن الوجه المليح بحُجَّة الذنب، إشارة إلى قول الشاعر:

قد وجدْنا غفلةً من رقيبٍ ... فسَرَقْنا نظرةً من حبيبِ
ورأينا ثَمَّ وجهاً مليحاً ... فوجدْنا حُجَّةً للذنوبِ

ويَكْنُون عن الجاهل ذي النعمة بحُجَّة الزندقة، قال ابنُ الرومي:

مَهْلاً أبا الصَّقْرِ فكم طائرٍ ... خَرَّ صريعاً بعد تحليقِ
لا قُدِّسَتْ نُعمَى تَسرْبَلتَها ... كم حُجَّةٍ فيها لزِنْديقِ!

وقال ابنُ بسّام في أبي الصقر أيضاً:

يا حُجَّةَ الله في الأرزاقِ والقِسَمِ ... وعبرةً لأولي الألبابِ والفهمِ
تراكَ أصبحتَ في نَعْماء سابغةٍ ... إلّا وربُّك غضبانٌ على النِّعَمِ

فهذا ضدُّ ذلك المقصد، لأنّ ذاك جعله حُجَّةً على الزندقة، وهذا جعله حجّة على قُدْرة الباري سبحانه على غرائب الأمور وعجائبها، وأن النعم لا قَدْر لها عنده سبحانه، حيث جعلها عند أبي الصقر مع دناءة منزلته. وقال ابن الرومي:

وقَيْنـــةٍ أبْرَدُ من ثَلْجَة ... تَبِيتُ منهـا النفسُ في ضَجَّة
في ضَحْكَة كأنَّها مِن نَتْنِها ... نَحْمَة لكِنَّها في اللون أُتْرُجَّة
تفاوتتْ خِلقَتُها فاغتدَتْ ... لكلِّ مَنْ عُطِّلَ مُحْتجَّة

وقد يُشابِه ذلك قولَ أبي عليّ البَصِير في ابن سعدان :

يابنَ سَعْدانَ أجْلَحَ الرِّزْقُ في أمْـ ... ـرِكَ واستحسن القبيـــح بمرَّة
نلتَ مالم تكن تَمَنَّى إذا ما ... أسرفت في غاية الأماني عِشْرَة
ليس فيما أظنّ إلاّ لكَيْلاَ ... يُنكِر المُنكِرون لله قُدْرَة

وللمفجّع في قريب منه :

إن كنتُ خُنْتُكمُ المودَّة غادِراً ... أو حُلْتُ عن سَنَن المحبِّ الوامِق
فُمِسِخْتُ في قُبْح ابن طلحة إنه ... مادلّ قطّ على كمال الخـــالِق

ويقولون : عَرَض فلانٌ على الحاجة عَرْضا سابِرِيا ، أي خفيفاً من غير استقصاء ، تشبيهاً له بالثَّوب السابِرِيّ ، والدِّرْع السابرِيّة ، وهي الخفيفة .

ويُحكَى أن مرتدّا مرَّ على قوم يأكلون وهو راكبٌ حِماراً ، فقالوا : انزل إلينا ، فقال : هذا عَرْضٌ سابِرِيّ ، فقالوا : انزل يابن الفاعلة . وهذا طَرْفٌ ولبَاقة .

ويقولون في ذلك : وعـدٌ سابِرِيّ ، أي لا يُعْرَّن به وفاء ، وأصلُ السابِرِيّ ، اللّطيف الرّقيق .

وقال المبرّد : سألتُ الجاحِظَ : من أشعَر المولَّدين ؟ فقال : القائل :

كأنّ ثِيابَه أطْلَعْـــــن من أزراره قَمَرا
يَزيدُكَ وجهُه حُسْناً ... إذا مازِدْتَه نَظَرا
بَعَينٍ خالَطَ التَّفْتِـ ... ـيرُ في أجفانها الحَوَرا

ووجه سابري لو تصوّب ماؤه قطرا

يعنى العباس بن الأحنف[1] .

وتقول العرب فى معنى قول المحدثين : عَرض عليه كذا عَرضا سابريًّا ، عَرَض عليه عَرْضَ عالّة ، أى عَرْض الماء على النَّعم العالّة التى قد شَرِبت شربا بعد شُرب ، وهو العَلَل ؛ لأنها تُعرَض على الماء عَرْضا خفيفا لا تَمنع فيه .

ومن الكنايات الحسنة قولُ أعرابيّة قالت لقيس بن سعد بن عبادة . أشكو إليك قلّة الجرذان فى بيتى ؛ فاستحسن منها ذلك ، وقال لأكثرنّها ؛ املئوا لها بيتها خبزا وتمرا وسمنا وأقطا ودقيقا .

وشبيه بذلك ما رُوى أن بعض الرؤساء سايره صاحب له على برذون مهزول ، فقال له : ما أشدّ هُزال دابتك ؟ فقال : يدُها مع أيدينا ، ففطن لذلك ووصله .

وقريب منه ما حُكى أن المنصور قال لإنسان : ما مالُك ؟ قال ما أصون به وجهى ، ولا أعود به على صديق ؛ فقال : لقد تلطّفت فى المسألة ، وأمر له بصلة .

وجاء أعرابىٌّ إلى أبى العباس ثعلب وعنده جماعة ، فقال له : ما أراد القائلُ بقوله :

الحمدُ لله الوهوب المَنّانْ صار الثريدُ فى رءوس القُضبانْ

فأقبل ثعلب على أهل المجلس فقال : أجيبوه ، فلم يكن عندهم جواب ، وقالوا له بعطونيه الجواب منك ياسيدى أحسن ، فقال : على أنكم لا تعلمونه ؟ قالوا : لا نعلمه ، فقال الأعرابى : قد سمعتُ ما قال القوم ، فقال : ولا أنت أعزك الله تعلمه ، فقال ثعلب : أراد أن السُّنبل قد أفرك ، قال : صدقت فأين حق الفائدة ؟ فأشار إليهم ثعلب ،

(١) ديوانه ١٢٩

فزوه ، فقام قائلاً : بوركتَ من ثعلب ، ما أعظم بركتك !

ويكنون عن الشيب بغبار العسكر ، وبرغوة الشباب ، قال الشاعر :

قالت أرى شيئاً رأيتك ، قلتُ لا هـذا غبارٌ من غبار العسكر

وقال آخر — وسماه غبار وقائع الدهر :

غضبتْ تلوم وأزمعتْ هجري وصغتْ ضمائرُها إلى الغدرِ

قالت أرى شيئاً قلتُ لها هـذا غبارُ وقائع الدهرِ

ويقولون للسحاب : فحل الأرض .

وقالوا : القلم أحدُ اللسانين ورداءة الخطِّ أحدُ الزمانتين .

قال : وقال الجاحظ : رأيت رجلاً أعمى يقول في الشوارع وهو يسأل : ارحموا ذا الزمانتين ، قلتُ : وما هما ؟ قال : أنا أعمى وصوتي قبيح . وقد أشار شاعرٌ إلى هذا فقال :

اثنان إذا عُـدّا حقيقٌ بهما الموتُ

فقيرٌ ماله زهـدٌ وأعمى ماله صوتُ

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله : « إياكم وخضراء الدمن » ، فلما سُئل عنها قال : « المرأةُ الحسناء في المنبت السوء » .

وقال عليه السلام في صلح قومٍ من العرب : « إنّ بيننا وبينهم عَيبة مكفوفة » ، أي لا نكشف ما بيننا وبينهم من ضغن وحقد ودم .

وقال عليه السلام : « الأنصارُ كرشي وعيبتي » ، أي موضع سرّي . وكرشي : جماعتي .

ويقال: جاء فلانٌ رَبِذَ[1] العِنانِ، أي مُنهزِماً.

وجاء ينفض مِذْرَوَيه[2]، أي يتوعّد من غيرِ حقيقة.

وجاء يَقْطُر عن شِماله، أي مُنهزِماً.

وتقول: فلانٌ عندي بالشِّمال، أي منزلتُه خسيسة. وفلانٌ عندي باليمين، أي بالمنزلة الحسنى، قال أبو نُوَاس:

أقـــولُ لناقتي إذ بلّغتْني ... لقد أصبحتِ عندي باليمينِ[3]

فلـــم أجعلكِ للغربانِ نَهْباً ... ولا قلتُ اشرقي بدمِ الوَتينِ

حَرُمتِ على الأزمّةِ والوَلايا ... وأعلاقِ الرِّحالةِ والوَضينِ

وقال ابن ميّادة:

أبيني أفي يُمنى يديكِ جعلتِني ... فأفرحَ أم صيّرتِني في شِمالكِ؟

وتقول العرب: التقى الثريان في الأرض، أي ... ، أو الرحالين. قال أبو عبيدة: والتقى الثريان: أن يُنديَ في بطن الوادي، فإذا جاء المطر ورسَخ في بطن الوادي حتى يلتقي نداه والندى الذي في بطن الوادي يقال: التقى الثريان.

ويقولون: هم في خيرٍ لا يُطيَّرُ غُرابُه، يريدون أنهم في خيرٍ كثير وخِصْبٍ عظيم فيقع الغراب فلا يُنفَّر لكثرة الخِصْب.

وكذلك أمرٌ لا يُنادَى وليدُه، أي أمرٌ عظيم يُنادَى فيه الكبارُ دونَ الصِّغار.

وقيل: المرادُ أنّ المرأة تشتغل عن وليدِها فلا تناديه لِعِظَم الخَطْب، ومن هذا قولُ الشاعر يَصِفُ حرباً عظيمة.

---

(١) في اللسان: «ربذ العنان، أي منفرداً منهزماً».

(٢) المذروان: الجانبان من كل شيء، وقد مضتا على ... كلمتين.

(٣) ديوانه ٦٥٨.

إذا حَرِنَ الفَحْلُ وَسْطَ الحجُورِ وصاحَ الكِلابُ وعَقَّ الوَلَدْ

يريد أنّ الفحل إذا عاين الجيشَ والبارقةَ لم يلتفتْ لَفْتَ الحجور ولم يَصهَل ،وتَنبح الكلابُ أربابَها ، لأنّها لا تَعرفهم للبسهم الحديد ، وتَذهَل المرأةُ عن ولدها رعبا ، فجعل ذلك عُقوقا .

ويقولون : أصبحَ فلانٌ على قَرْن أعفَر ؛ وهو الظَّبي إذا أرادوا أصبح على خَطَر ، وذلك لأنّ قَرْن الظّبي ليس يَصلُح مكاناً ، فمن كان عليه فهو على خطر ، قال أمرؤ القَيْس :

ولا مِثـــلَ يومٍ بالطالَى قَطعتُه كأنّى وأصحابى على قَرْن أعفَرا [1]

وقال أبو العلاء المَعرّى :

* كأنّى فوقَ رَوْقِ الظّبي من حَذَرِ [2] *

وأنشدَ ابنُ دريد فى هذا المعنى :

وما خَـــيرُ عَيْشٍ لا يزالُ كأنّه محَـــلّةُ يَعسوبٍ برأسِ سِنانِ

يعنى من القلق وأنّه غيرُ مطمئنّ .

ويقولون : به داء الظّبي ، أى لا داء به ، لأنّ الظّبي صحيحٌ لا يزال ، والمَرَض قلّ أن يَعتريَه . ويقولون للمتلوّن المختلف الأحوال : ظلّ الذئب ، لأنه لا يزل مرّةً هكذا ومرّةً هكذا .

ويقولون : به داء الذّئب ، أى الجوع .

---

(١) ديوانه ٢٠ وروايته :

وَلا مِثْلَ يَوْمٍ فى قَدَرانَ ظَلْتُهُ كأنّى وأصحابى على قَرْنِ أعفَرا

(٢) سقط الزند ١٣١ ، وصدره : * فى جلة مثل ظهر الصل بت لها *

وعهدُ فلانٍ عهدُ الغُراب ، يعنون أنه غدر ، قالوا : لأنّ كلّ طائر يألفُ أنثاه إلّا الغراب ، فإنّه إذا باضت الأنثى تركها وصار إلى غيرها .

ويقولون : ذهب تَمْعَ الأرض وبصرَها ، أى حيثُ لا يُدرى أين هو !

وتقول : ألقى عصاه ؛ إذا أقامَ واستقرّ ، قال الشاعر :

فألقتْ عصاها واستقرّ بهـــا النّوى ... كما قرّ عَيْنــــا بالإيابِ المُسافرُ [١]

ووقع القضيبُ من يدِ الحجّاج وهو يخطُب ، فتطيّر بذلك حتى بان فى وجهه ، فقام إليه رجلٌ فقال : إنّه ليس ما سبق وهْم الأمير إليه ، ولكنّه قولُ القائل ، وأنشده البيت ، فسُرِّىَ عنه .

ويقال للمختلفين : طارت عصاهم شِقَقًا .

ويقال : فلان منقطِع القبال [٢] ، أى لا رأْىَ له .

وفلان عريضُ البطان ، أى كثيرُ الثروة .

وفلانٌ رخىُّ اللّبَبِ ، أى فى سَعَة .

وفلانٌ واقعُ الطائر ، أى ساكنٌ .

وفلانٌ شديدُ الكاهل ، أى منيع الجانب .

وفلانٌ ينظُر فى أعقابِ نجمٍ مُغرِّب ، أى هو نادِم آيِس ، قال الشاعر :

فأصبحتُ من ليلَى الغَـــداة كناظرٍ ... مع الصّبح فى أعقابِ نجمٍ مغرِّبِ [٣]

وسُقِط فى يدِه ، أى أيقن بالهَلَكة .

وقد رددتُ يدَه إلى فيه ، أى منعته من الكلام .

وبنو فلان يدٌ على بنى فلان ، أى مجتمِعون .

---

(١) اللسان (عصا) .

(٢) القبال : زمام النعل .

(٣) للمجنون ، ديوانه ٧٩ .

وأعطاه كذا عن ظَهْر يد ، أي ابتداء لا عن مُكافأة .

ويقولون : جاء فلانٌ ناشراً أُذُنَيه ، أي جاء طامعا .

ويقال : هـــذه فرسٌ غيرُ محيفة ، أي لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف أنها كريمة ، قال :

كميتٌ غير محلفةٍ ولـكنْ كلَوْنِ الصّرف عُلَّ به الأديمُ

وتقول : حَلَبَ فلانٌ الدهر أشطُرَه ، أي مرّت عليه ضُروبه خيرُه وشرّه

وقَرَع فلانٌ لأمرِ ظُنبوبَه ، أي جدّ فيه واجتهد

وتقول : أبدَى الشرّ نواجِذَه ، أي ظهر .

وقد كشفت الحربُ عن ساقِها ، وكشرتْ عن نابها .

وتقول : استنوَق الجملُ ؛ يقال ذلك للرجل يكون في حديث ينتقل إلى غيره يخلطه به .

وتقول لمن يهون بعد عزّ : استنّت الفِصال .

وتقول للضعيف يقوى : استنسر البُغاث .

ويقولون : شرابٌ بأنقع ، أي مُعاود للأمور ؛ وقال الحجاج : يا أهل العِراق ، إنكم شرّابون بأنقع ، أي معتادون الخير والشرّ . والأنقع : جمع نقْع ، وهو ما استنقع من الغُدران ، وأصله في الطائر الحذر يرِدُ المناقع في الفلوات حيث لا يبلغه قانص ، ولا ينصب له شَرَك .

* * *

[حديث عن امرئ القيس]

وختم هذا الفصل في الكنايات بحكاية رواها أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني؛ قال أبو الفرج: أخبرني[١] محمد بن القاسم الأنباري، قال: حدثني ابن عمي، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله، عن الهيثم بن عدي. قال: وحدثني عمي، قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني؛ قال: حدثنا العمري، عن الهيثم بن عدي، عن مجالد بن سعيد، عن عبد الملك بن عمير، قال: قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة أميراً على العراق، فأرسل إلى عشرة من وجوه أهل الكوفة أنا أحدهم، فسمرنا عنده، فقال: ليحدثني كل رجل منكم أحدوثة، وابدأ أنت يا أبا عمرو، فقلت: أصلح الله الأمير، أحديث حق أم حديث باطل؟ قال: بل حديث حق؛ فقلت: إن امرأ القيس كان آلى أليّة[٢] ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين، فجعل يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن: أربعة عشر، فبينا هو يسير في جوف الليل إذ هو برجل يحمل ابنة صغيرة له كأنها البدر لتمه، فأعجبته، فقال لها: يا جارية، ما ثمانية، وأربعة، واثنتان؟ فقالت: أما ثمانية فأطباء الكلبة، وأما أربعة: فأخلاف الناقة، وأما اثنتان فثديا المرأة، فخطبها إلى أبيها، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال، فجعل لها ذلك، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل، وعشرة أعبد، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس، ففعل ذلك، ثم بعث عبداً إلى المرأة، وأهدى إليها معه نحياً[٣] من سمن ونحياً من عسل وحلة من عصب، فنزل العبد على بعض المياه، ونشر الحلة فلبسها، فتعلقت بسمرة فانشقت، وفتح النحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا، ثم قدم على المرأة وأهلها خلوف[٤] فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع

---

(١) أغاني ٩: ١٠١ — ١٠٣

(٢) الأغاني: [illegible]

(٣) النحي: الزق.

(٤) خلوف: غيب.

إليها هديتها ، فقالت : أعلِمْ مولاك أنّ أبي ذهب يقرّب بعيداً ، ويبعّد قريباً ، وأن أمي ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأنّ أخي ذهب يراعي الشمس ، وأنّ سماءكم انشقّت ، وأن وعاءيكم نضبا .

فقدم الغلام على مولاه ، فأخبره فقال : أما قولها : إن أبي ذهب يقرّب بعيدا ، ويبعّد قريبا ، فإن أباها ذهب يحالف قوماً على قومه ، وأمّا قولها : إن أمي ذهبت تشق النفس نفسين ، فإن أمها ذهبت تقبل [1] امرأة نفساء . وأمّا قولها : إن أخي ذهب يراعي الشمس ، فإن أخاها في سَرْح له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به . وأما قولها : إن سماءكم انشقّت ، فإن البُرْد الذي بعثت به انشق ؛ وأما قولها إنّ وعاءيكم نضبا فإن النِّحْيين اللذين بعثت بهما نقصا ، فاصْدُقْني . فقال : يا مولاي ، إني نزلتُ بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أني ابن عمك ، ونشرتُ الحلّة ولبستها وتجمّلت بها ، فتعلّقت بسَمُرة فانشقّت ، وفتحتُ النحيين فأطعمتُ منهما أهلَ الماء ، فقال : أوْلى لك ! ثم ساق مائة من الإبل ، وخرج نحوها ومعه العبد يسق الإبل ، فعجز ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به العبد في البئر ، وخرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل ، فأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا ! ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ، فأكل ما أطعموه ، فقالت : اسقوه لبنا حازراً — وهو الحامض — فسقوه فشرب ، فقالت : افرشوا له عند الفرث [2] والدم ، ففرشوا له ، فنام فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريد أن أسائلك ، فقال لها : سلي عمّا بدا لك ، فقالت : مم تختلج شفتاك ؟ قال : من تقبيلي إياك ، فقالت : مم يختلج كشحاك ، قال : لالتزامي إياك ، قالت : فمم يختلج فخذاك ؟

---

(١) يقال : قبلت القابلة المرأة : تلقت ولدها عند ولادته .

(٢) الفرث : السرجين ما دام في الكرش .

قال: لتوركى إياك، فقالت: عليكم العبد فشدوا أيديكم به، ففعلوا.

قال: ومر قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر، فرجع إلى حيه وساق مائة من الإبل، وأقبل إلى امرأته فقيل لها: قد جاء زوجك، فقالت: والله ما أدرى أزوجى هو أم لا! ولكن انحروا له جزورا، وأطعموه من كرشها وذنبها، ففعلوا، فلما أتوه بذلك قال: وأين الكبد والسنام والملحاء[1]، وأبى أن يأكل، فقالت اسقوه لبنا حازرا، فأتى به، فأبى أن يشربه، وقال: فأين الصريب[2] والرثيئة؟ فقالت: افرشوا له عند الفرث والدم، ففرشوا له، فأبى أن ينام، وقال: افرشوا لى عند التلعة الحمراء، واضربوا لى عليها خباء، ثم أرسلت إليه: هلم شريطتى عليك فى المسائل الثلاث، فأرسل إليها أن سلى عما شئت، فقالت: مم تختلج شفتاك؟ فقال: لشربى المشعشعات، قالت: فمم تختلج كشحاك؟ قال: للبسى الحبرات، قالت: فمم تختلج فخذاك؟ قال: لركضى المطهمات[3]، فقالت: هذا زوجى لعمرى، فعليكم به، فاقتلوا العبد فقتلوه، ودخل امرؤ القيس بالجارية.

فقال ابن هبيرة: حسبكم، فلا خير فى الحديث سائر الليلة بعد حديث أبى عمرو، ولن يأتينا أحد منكم بأعجب منه، فانصرفنا وأمر لى بجائزة.

---

(١) الملحاء: لحم ينحدر من الكاهل إلى العجز من ظهر البعير. (٢) والصريب: هو اللبن يحلب من عدة لقاح؟ وفى الأغانى: «الصريف»، وهو اللبن الحار ساعة يصرف من الضرع، والرثيئة: اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض، فيروب من ساعته.

(٣) المطهمات: الخيل التامة الحسن.

الأصْـلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ في كلامٍ لهُ :

ووَلِيَهُمْ والٍ فأقامَ واستقامَ ، حتى ضربَ الدِّينُ بِجِرانِهِ .

* * *

الشَّـرْحُ

الجِران : مقدَّم العُنُق ، وهذا الوالي هو عمرُ بنُ الخطاب .

وهذا الكلامُ من خُطْبةٍ خطبها في أيام خلافته طويلة ، يذكر فيها قُرْبه من النبي صلى الله عليه وآله واختصاصه له ، وإفضاءه بأسراره إليه ، حتى قال فيها :

فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلاً منهم ، فقارَبَ وسدَّد حَسَبَ استطاعته على ضَعْفٍ وحدٍّ كانا فيه ، ووليهم بعده والٍ ، فأقامَ واستقامَ حتى ضَرَبَ الدِّين بجرانه ، على عَسْفٍ وعَجْرَفِيّة كانا فيه ، ثمّ احتملوا ثالثاً لم يكن يملك من أمر نفسه شيئاً ، غَلَبَ عليه أهلُه فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدةُ البعيرَ المخطوم ، فلم يزل الأمرُ بينه وبين الناس يَبْعُد تارة ويقرب أخرى حتى نزَوْا عليه فقتلوه ، ثم جاءوا بي مَدَبَّ الدَّبَى يريدون بَيْعتي .

وتمام الخطبة معروف ، فليطلب من الكتب الموضوعة لهذا الفنّ .

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ :

يأتِي على النَّاسِ زمانٌ عَضُوضٌ، يَعَضُّ المُوسِرُ فيهِ على ما في يدَيْهِ، ولَمْ يُؤْمَرْ بِذَلِكَ، قالَ اللهُ سُبْحانَهُ : ﴿ ولا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُم ﴾ ؛ يَنْهَدُ فِيهِ الأشْرارُ، ويُسْتَذَلُّ الأخْيارُ، ويُبايِعُ المُضْطَرُّونَ، وقدْ نَهَى رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ عَنْ بَيْعِ المُضْطَرِّينَ .

* * *

الشَّرْحُ :

زمانٌ عَضُوض : أي كلِب على الناس، كأنه يعَضّهم، وفعول للمبالغة، كالعقور والعَقوق، ويجوز أن يكون من قولهم : بئرٌ عَضُوض، أي بعيدةُ القَعر ضَيّقة، وما كانت البئر عَضُوضا، فعَضّت، كقولهم: ما كانت جَرُورا فأجرّت، وهي كالعَضوض .

وعَضّ فلانٌ على ما في يده، أي بَخِل وأمسك .

وينهد فيه الأشرار : ينهضون إلى الولايات والرياسات، وترتفع أقدارُهم في الدنيا .
ويُستَذَلّ فيه أهلُ الخير والدِّين، ويكون فيه بَيْعٌ على وجه الاضطرار والإلجاء : كمن بِيعتْ[١] ضَيعتُه، وهو ذليل ضعيف، من ربِّ ضَيعةٍ مجاورة لها ذي ثَرْوة وعِزٍّ وجاه فيلجئه بمَنْعه الماء، واستذلاله الأكَرةَ، وتوكيل به أن يبيعها عليه ؛ وذلك منهيٌّ عنه، لأنه حرامٌ محض .

---

(١) ب: [illegible]

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلام :

يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ ، وبَاهِتٌ مُفْتَرٍ .

* * *

قالَ الرَّضيّ رَحمَهُ اللهُ تعالى : وهذا مِثْلُ قَوْلِه عليهِ السلامُ : هَلَكَ فِيَّ اثْنانِ : مُحِبٌّ غالٍ ، ومُبْغِضٌ قالٍ .

* * *

الشَّرْحُ :

قد تقدّم شرحُ مِثلِ هذا الكلام ؛ وخلاصةُ هذا القول أنّ الهالكَ فيه المُفْرِط والمفرِّط ، أما المُفرِط فالغلاة ، ومن قال بتكفير أعيان الصّحابة ونفاقِهم أوفِسْقهم ، وأما المُفرِّط فمن استنقص به عليه السلام، أو أبغضَه أوحاربَه أو أضمرَ له غِلاًّ ؛ ولهذا كان أصحابنا أصحابَ النّجاة والخلاص والفوْز في هذه المسألة ، لأنّهم سَلَكوا طريقةً مقتصدة ، قالوا : هو أفضل الخلْق في الآخرة ، وأعلاهُم منزلةً في الجنة ، وأفضل الخلق في الدّنيا ، وأكثرهم خصائص ومزايا ومناقب ، وكلّ من عاداه أو حاربه أو أبغضَه فإنه عدوٌّ لله سبحانه وخالدٌ في النّار مع الكفّار والمنافقين ، إلاّ أن يكون ممن قد ثبتتْ توبتُه ، ومات على تولّيه وحبِّه .

فأما الأفاضلُ من المهاجرين والأنصار الذين وَلُوا الإمامة قبله فلو أنّه أنكر إمامتَهم

وغضب عليهم ، وسخط فعلهم ، فضلاً عن أن يُشهر عليهم السيف ، أو يدعو إلى نفسه ، لقلنا: إنهم من الهالكين ، كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « حربك حربي ، وسلمك سلمي » ، وأنه قال : « اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه » ، وقال له : « لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق » ، ولكنا رأيناه رضيَ إمامتهم وبايعهم وصلى خلفهم وأنكحهم وأكل من فيئهم ، فلم يمكن لنا أن نتعدّى فعله ، ولا نتجاوز ما اشتهر عنه ؛ ألا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه ، ولما لعنه لعنّاه ، ولما حكم بضلال أهل الشام ومن كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص وعبد الله ابنه وغيرهما حكمنا أيضا بضلالهم !

والحاصل أنا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلا رتبة النبوة ، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينهم[1] ، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم ، وعاملناهم بما عاملهم عليه السلام به .

• • •

[فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة]

والقول بالتفضيل قولٌ قديم ، قد قال به كثيرٌ من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة عمار ، والمقداد ، وأبو ذرّ ، وسلمان ، وجابر بن عبد الله ، وأُبيّ بن كعب ، وحذيفة ، وبُريدة ، وأبو أيوب ، وسهل بن حُنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبو الهيثم بن التيهانّ ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو الطُّفيل عامر بن واثلة ، والعباس بن عبد المطلب وبنوه ، وبنو هاشم كافةً ، وبنو المطلب كافةً .

(١) ب : « بينه » تحريف .

وكان الزبيرُ من القائلين به في بدء الأمر، ثم رجع، وكان من بني أمية قومٌ يقولون بذلك، منهم خالدُ بنُ سعيد بن العاص، ومنهم عمرُ بنُ عبد العزيز.

* * *

وأنا أذكر هنا الخبر المروي المشهور عن عمر، وهو من رواية ابن الكلبي، قال: بينا عمر بن عبد العزيز جالس في مجلسه، دخل حاجبُه ومعه امرأةٌ أدماء طويلة حسنةُ الجسم والقامة، ورجلان متعلّقان بها، ومعهم كتابٌ من ميمونَ بن مِهران إلى عمر، فدفعوا إليه الكتاب، ففضّه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مِهْران، سلامٌ عليكَ ورحمةُ الله وبركاته، أما بعد، فإنه وَرَدَ علينا أمرٌ ضاقَتْ به الصدور، وعجزتْ عنه الأوساع[1]، وهربنا بأنفسنا عنه، ووكلناه إلى عالمه، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[2]، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإنّ أباها يا أميرَ المؤمنين زعم أنّ زوجها حلَف بطلاقها أنّ عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام خيرُ هذه الأمّة وأولاها برسولِ الله صلى الله عليه وآله، وأنّه يزعُم أنّ ابنته طلقتْ منه، وأنه لا يجوز له في دينه أن يتخذه صهرًا، وهو يعلم أنها حرامٌ عليه كأمّه. وإنّ الزّوج يقول له: كذبتَ وأثمتَ، لقد برّ قسَمي، وصدقَتْ مقالتي، وإنها امرأتي على رغم أنفك، وغيظ قلبك؛ فاجتمعوا إليّ يختصمون في ذلك، فسألتُ الرجلَ عن يمينه، فقال: نعم، قد كان ذلك، وقد حلفتُ بطلاقها أنّ عليًّا خيرُ هذه الأمّة وأولاها برسولِ الله صلى الله عليه وآله، عرَفه من عرَفه، وأنكره من أنكره، فليغضب من

(١) الأوساع: جمع وُسع، وهو الطاقة.
(٢) سورة النساء ٨٣.

تَصيب ، وليَرْضَ من رَضِي ، وتَسامعَ الناسُ بذلك ، فاجتمعوا له ، وإن كانت الألسنُ مجتمعةً فالقلوب شَتَّى ، وقد علمتَ يا أميرَ المؤمنين اختلافَ الناس في أهوائهم، وتسرُّعهم إلى ما فيه الفِتنة ، فأحجَمْنا عن الحكم لتَحكم بما أراك الله . وإنهما تعلّقا بها ، وأقسم أبوها ألا يدَعها معه ، وأقسم زوجُها ألا يفارقَها ولو ضُرِبتْ عُنُقُه إلا أن يحكم عليه بذلك حاكمٌ لا يَستطيع مخالفتَه والامتناعَ منه ، فرفعناهم إليك يا أميرَ المؤمنين ، أحسنَ الله توفيقَك وأرْشَدَك !

وكَتَب في أسفلِ الكتاب :

إذا ما المُشكِلاتُ وَرَدْن يومًا	فحارتْ في تأمُّلِهـــا العُيونُ
وضاقَ القـــومُ ذَرْعا عن نَباها	فأنتَ لهـــا أبا حفصٍ أمينُ
لأنك قـــد حَوَيْتَ العِلمَ طُرًّا	وأحكَمَكَ التجـــارِبُ والشُّئونُ
وخَلَّفكَ الإلهُ على الرَّعايا	فَحظُّكَ فيهمُ الحظُّ الثَّمينُ

قال : فجمع عمرُ بنُ عبد العزيز بني هاشم وبني أميّة وأفخاذ قُرَيش ، ثم قال لأبي المرأة : ما تقول أيها الشيخ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا الرجلُ زوّجتُه ابنتي ، وجهزتُها إليه بأحسن ما يُجهَّز به مِثلُها ، حتى إذا أمَّلتُ خيرَه ، ورجوتُ صلاحَه، حَلَف بطلاقها كاذبًا ، ثم أراد الإقامة معها ، فقال له عمر : يا شيخ ، لعلّه لم يُطلِّق امرأته ، فكيف حَلَف ؟ قال الشيخ : سبحانَ الله ! الذي حَلَف عليه لأَبْيَنُ حِنثًا وأوضح كذبًا من أن يَختلج في صدري منه شكٌّ ، مع سِنّي وعِلْمي ، لأنه زعم أنّ عليًّا خيرُ هذه الأمّة وإلّا فامرأته طالق ثلاثًا . فقال للزوج : ما تقول ؟ أهكذا حلفتَ ؟ قال : نعم . فقيل : إنه لما قال نعم ، كادَ المجلسُ يَرتجُّ بأهله ، وبنو أميّة يَنظُرون إليه شَزْرًا ، إلا أنهم لم ينطِقوا بشيء ، كلٌّ ينظرُ إلى وجهِ عمر .

فأكبَّ عمر مليًّا ينكتُ الأرضَ بيدِه والقومُ صامتون ينظرُونَ ما يقولُه ، ثمَّ رفع رأسَه وقال :

إذا وَلِيَ الحكومةَ بينَ قومٍ   أصابَ الحقَّ والتمسَ السَّدادا

وما خيرُ الإمامِ إذا تعدَّى   خلافَ الحقِّ واجتنبَ الرَّشادا

ثم قال للقوم : ما تقولونَ في يمينِ هذا الرجل ؟ فسكتُوا ، فقال : سبحانَ الله ! قولُوا . فقال رجلٌ من بني أميّة : هذا حُكمٌ في فرجٍ ، ولسنا نجترئُ على القولِ فيه ، وأنتَ عالمٌ بالقولِ ، مؤتمنٌ لهم وعليهم ، قُلْ ما عندك ، فإنّ القول ما لم يكن يُحقّ باطلا ويُبطِلُ حقًّا جائزٌ عليّ في مجلسي .

قال : لا أقولُ شيئًا ؛ فالتفتَ إلى رجلٍ من بني هاشمٍ من ولد عَقيل بن أبي طالب ، فقال له : ما تقول فيما حلفَ به هذا الرجل ياعَقِيلِي ؟ فاغتنمها ، فقال : ياأمير المؤمنين ؛ إن جعلتَ قولي حُكمًا ، أو حُكمي جائزًا قلتُ ؛ وإن لم يكن ذلك فالسكوت أوسع لي ، وأبقى للمودّة ؛ قال : قل وقولُك حُكم ، وحُكمُك ماضٍ .

فلما سَمِع ذلك بنو أميّة قالوا : ما أنصفتَنا ياأميرَ المؤمنين إذ جعلتَ الحكم إلى غيرنا ، ونحن من لُحمتك وأولى رَحِمك ! فقال عمر : اسكتُوا أعجزًا ولُؤمًا ! عرضتُ ذلك عليكم آنفًا فما انتدبتم له . قالوا : لأنك لم تُعطِنا ما أعطيتَ العَقيليَّ ، ولا حكّمتنا كما حكّمتَه ، فقال عمر : إن كانَ أصابَ وأخطأتُم ، وحَزَم وعجزتم ، وأبصر وعميتم ، فما ذَنبُ عمرَ، لا أبا لكم ! أتدرون ما مَثَلُكم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : لكنِ العقيليُّ يدري ، ثم قال : ماتقول يارجل ؟ قال . نعم ياأمير المؤمنين ، كما قال الأوّل :

دُعيتم إلى أمرٍ فلما عجزتُمُ   تناوله من لا يُداخِلُه عجزُ

فلما رأيتمْ ذاكَ أبدتْ نفوسُكُمْ   ندامًا وهل يُغني من الحذرِ الحِرْزُ !

فقال عمر : أحسنتَ وأصبتَ ، فقل ما سألتُك عنه . قال : ياأمير المؤمنين ،

بزقته ، ولم تطلق امرأته ، قال : وأنّى علمت ذلك ؟ قال : نشدتك الله يا أمير المؤمنين، ألم تعلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيتها عائدٌ لها : يا بُنيّة ، ما علّتك ؟ قالت : الوعك يا أبتاه ـ وكان علىٌّ غائبا في بعض حوائج النبيّ صلى الله عليه وآله ـ فقال لها : أتشتهين شيئاً ؟ قالت : نعم أشتهي عنبا ، وأنا أعلم أنه عزيز ، وليس وقت عنب ، فقال صلى الله عليه وآله : إن الله قادرٌ على أن يجيئنا به ، ثم قال : اللهمّ ائتنا به مع أفضل أمّتي عندك منزلة ؛ فطرق علىٌّ الباب ، ودخل ومعه مكتل قد ألقى عليه طرف ردائه ، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله : ما هذا يا علىّ ؟ قال : عنبٌ التمسته لفاطمة عليها السلام ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، اللهمّ كما سررتني بأن خصصت عليّاً بدعوتي فاجعل فيه شفاء بنيّتي ، ثم قال : كلي على اسم الله يا بنيّة ، فأكلت ، وما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى استقلّت وبرأت ، فقال عمر : صدقت وبررت ، أشهد لقد سمعته ووعيته ، يا رجل ، خذ بيد امرأتك فإن عرض لك أبوها فاهشم أنفه . ثم قال : يا بنى عبد مناف ، والله ما نجهل ما يعلم غيرنا ، ولا بنا عمًى في ديننا ، ولكنّا كما قال الأوّل :

تَصيَّدتِ الدنيا رجالاً بفخّها ... فلم يدركوا خيراً بل استقبحوا الشّرّا

وأعماهُمُ حُبُّ الغنى وأصمّهمْ ... فلم يدركوا إلّا الخسارةَ والوِزْرَا

قيل : فكأنما ألقم بنى أمية حجَرا ، ومضى الرجلُ بامرأته .

وكتب عُمر إلى ميمون بن مِهرانَ :

عليك سلامٌ ، فإنّي أحمَد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد ، فإنّي قد فهمتُ كتابك ، وورَدَ الرجلان والمرأة ، وقد صدَّق الله يمينَ الزوج ، وأبرّ قسمَه، وأثبته على نكاحه ، فاستيقنْ ذلك ، واعملْ عليه ، والسّلام عليكَ ورحمةُ الله وبركاته .

فأما مَن قال بتفضيله على الناس كافةً من التابعين فخلقٌ كثير كأُوَيس القَرَنيّ وزيد بن صُوحان ، وصَعصعة أخيه ، وجُندُب[1] الخير ، وعَبيدة السَّلمانيّ وغيرهم ممن لا يُحصَى كثرةً ، ولم تكن لفظة الشيعة تُعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله ، ولم تكن مقالةُ الإماميّة ومَن نحا نحوَها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار ، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمَّون الشيعة ، وجميعُ ما ورَدَ من الآثار والأخبار في فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة ، فهؤلاء هم المعنيّون به دون غيرهم ، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كُتُبهم وتصانيفهم : نحن الشيعةَ حقًّا . فهذا القولُ هو أقربُ إلى السلامة وأشبَهُ بالحقّ من القولين المقتسِمَين طرفَي الإفراط والتفريط إن شاء الله .

---

(١) ق د « وجندب » .

الأصل :

وسُئل عن التوحيدِ والعَدْل ، فقال :

التَّوحيدُ ألاّ تَتَوَهَّمَهُ ، والعَدْلُ ألاّ تَتَّهِمَهُ .

***

الشرح :

هذان الركنان هما رُكنا علم الكلام ، وهما شِعارُ أصحابنا المعتزلة ، لنَفْيِهم المعانيَ القديمةَ التي يُثبتها الأشعريّ وأصحابُه ، ولتنزيههم البارى سبحانَه عن فِعل القَبيح .

ومعنى قوله « ألا تتوهمه » أى ألاّ تتوهمَه جسما أو صورةً أو فى جهةٍ مخصوصة ، أو مالئاً لكلّ الجهات كما ذهب إليه قومٌ ، أو نورا من الأنوار ، أو قوّة سارية فى جميع العالم ، كما قاله قومٌ ، أو مِنْ جنس الأعراض التى تَحُلّ المَحالّ أو تحُلّ المَحَلّ ، وليس بعرض كما قاله النصارى وغُلاة الشّيعة ، أو تحلّه المعانى والأعراض ، فمتى تُوُهِّم على شىء مِنْ هذا فقد خُولف التوحيد ، وذلك لأنّ كل جِسْم أو عَرَض أو حالٍّ فى مَحَلّ أو محلّ الحالّ ، أو مختص بجهة ، لا بدّ أن يكون منقسما فى ذاته ، لا سيّما على قول مَنْ نَفَى الجزء مطلقا ، وكلّ منقسم فليس بواحد ، وقد ثبت أنّه واحد . وأضاف أصحابُنا إلى التوحيد نَفىَ المعانى القديمة ، ونفىَ ثانٍ فى الإلهية ، ونفى الرؤية ، ونفى كونه مشتهيا أو نافرا أو ملتذّاً[1] أو آلما أو عالما بعلم مُحْدَث ، أو قادرا بقُدْرة محدثة ، أو حيّاً بحياة محدثة ، أو نفى كونه عالما بالمستقبلات أبدا ، أو نفى كونه عالما بكلّ معلوم ، أو قادرا على

(١) فى د « متلذذا » .

كل الأجسام وغير ذلك من مسائل علم الكلام التي يدخلها أصحابنا في الركن الأول، وهو التوحيد.

وأما الركن الثاني فهو ألا تتهمه، أي لا تتهمه في أنه أجبرك على القبيح، ويعاقبك عليه، حاشاه من ذلك، ولا تتهمه في أنه مكن الكذابين من المعجزات، فأضل بهم الناس، ولا تتهمه في أنه كلفك ما لا تطيقه، وغير ذلك من مسائل العدل التي يذكرها أصحابنا مفصلة في كتبهم كالعوض عن الألم، فإنه لا بد منه، والثواب على فعل الواجب فإنه لا بد منه، وصدق وعده ووعيده فإنه لا بد منه.

وجملة الأمر أن مذهب أصحابنا في العدل والتوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين. وهذا الموضع من المواضع التي قد صرح فيها بمذهب أصحابنا بعينه، وفي فرش كلامه من هذا النمط ما لا يحصى.

(٤٧٧)

الأصلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ : في دُعاء استَسْقَى بِهِ :

اللَّهُمَّ اسْقِنا ذُلُلَ السَّحَائِبِ دُونَ صِعَابِها .

* * *

قالَ الرَّضِيّ رحمهُ اللهُ تعالى :

وهذا مِنَ الكَلامِ العَجيبِ الفصاحةِ ، وذلكَ أنهُ عليهِ السلامُ شبَّهَ السُّحُبَ ذَوَاتِ الرُّعُودِ والبَوَارِقِ ، والرِّياحِ والصَّوَاعِقِ ، بالإِبِلِ الصِّعَابِ الَّتِي تَقْمُصُ بِرِحالِها[١] ، وتَتَوَقَّصُ بِرُكْبانِها ، وشبَّهَ السَّحائبَ الخاليَةَ مِنْ تِلْكَ الرَّوائعِ بالإبِلِ الذُّلُلِ الَّتِي تُحْتَلَبُ طَيِّعَةً ، وتُقْتَعَدُ مُسْمِحَةً .

* * *

الشرح :

قد كفانا الرضيُّ - رحمه الله - بشرحه هذه الكلمة مَئُونةَ الخوض في تفسيرها .

---

(١) في د « بصاحبها » .

الأصْلُ :

وقيلَ لَهُ عليهِ السلامُ : لَوْ غيَّرْتَ شَيْبَكَ يا أميرَ المُؤمنينَ ! فقال : الخِضَابُ زِينَةٌ ، ونَحْنُ قَوْمٌ فى مُصِيبَةٍ برَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآلهِ .

* * *

[مختارات مما قيل من الشعر فى الشيب والخضاب]

الشّرْحُ :

قد تقدّم لنا فى الخضاب قولٌ كافٍ ، ونحن نستمع قولَ الشاعر فيه

خضابٌ تقاسَمْناه بينى وبينَهـــا ولكنّ شأنى فيه خالفَ شأنَها

فياقُبْحَه إذ حَـــلّ منّى بمَفْرِقى ويا حُسْنَه إذ حلّ منهـــا بنانَها

وسُحْقاً له عن لِمّتى حينَ شانَها وأهلاً به فى كفّها حيث زانَها

وقال أبو تمام :

لَعِبَ الشّيبُ بالمفارِق بل جَدَّ فأبكى تُمَاضِراً ولَعُوبا[1]

خَضَبَتْ خَــدّها إلى لؤلؤٍ عِقْـــدِ دماً أنْ رأتْ شَوَاتى خَضِيبا[2]

كلّ داءٍ يُرْجَى الدّواءُ له إلّا الفَظِيعَيْن : مِيتـــةً ومَشِيباً

يانسيبَ الثّغـــامِ ذنبُكَ أبقى حَسَناتى عند الحِسان ذُنوبا[3]

---

(١) ديوانه ١ : ١٦٦ ، وتماضر ولعوب من أسماء النساء .

(٢) الشواة : جلدة الرأس .

(٣) الثغام : نبت أبيض يشبه به الشيب .

ولئن عِبْنَ ما رأينَ لقــد أنــكرنَ منــكرا وعِبْنَ معيبا
لو رأى الله أنّ فى الشيب فضلا جاورته الأبرارُ فى الخلد شيبا

وقال :

فإن يكن للشيبِ طَعمٌ عليا وذى بالبشاشةِ والشبابِ
فإنى لستُ أدفعـــه بشىءٍ يكون عليه أثقلَ من خِضابِ
أردتُ بأن ذاك وذا عذابٌ سخطت لعذابٍ على العذابِ

ابن الرومى :

لم أخضب الشيبَ للغــوانى أبغى به عنـــدهم ودادا
لكنْ خضابى على شبابى لبستُ من بعده حدادا

***

ومن مختارِ ما جاء من الشعر فى الشيب وإن لم يكن فيه ذكر الخضاب قولُ أبى تمام :

نسجَ المشيبُ له لفاعاً مُغـــدِفا يَقَقاً فقنّع مِـــذرَويه ونصَّفا
نظرَ الزمانُ إليـــه قطّع دونه نظرَ الشفيقِ تحسُّرا وتلهُّفـــا
ما اسودّ حتى أبيضّ كالكرم الذى لم يُدنَ حتـــى جىء كيما يقطفا
لمـــا تعوّقت الخطوبُ سوادَها بَبياضهـــا عبثت به فتفوّفا
ما كان يخطر قبـــل ذا فى فكره فى البدر قبـــل تمامه أن يُكسَفا

وقال أيضا :

غـــدا الهمُّ مختطّا بفَوْدَىّ خِطّةً طريقُ الردى منها إلى الموت مَهيَعُ[1]

---

(١) ديوانه ٢ ـ ٣٢٤

هو الزَّور يُجْـتَى ، والمُعاشرُ يُجتوَى ... وذُو الإلفِ يُقْلَى ، والجديدُ يُرقَّعُ
له مَنظَـــرٌ فى العَيْن أبيضُ ناصعٌ ... ولكنّه فى القلب أســـوَدُ أسْفَعُ
ونحن نُرَجِّيــه على الكُرْه والرِّضا ... وأنفُ الفتَى من وجهِه وهو أجْدعُ

وقال أيضا :

شُعلةٌ فى المَفـــارِقِ استودَعَتْنِى ... فى صَميمِ الأحشاءِ ثُـكلاً صَمِيما (١)
تَستثيرُ الهمومَ ما أكتنَّ منها ... صُعُـــداً وهى تَستثيرُ الهُموما
عَزةٌ مُرّةٌ ألا إنّمـــا كنـــتُ أعزَّ أيّامَ كنتُ نَهِيما
دِقّةٌ فى الحياةِ تُدعَى جَلالاً ... مِثْـــلَ ما سُمّىَ اللّدِيغُ سَليما
حلّمتْنِى زَعَمْـــتُمُ وأرانى ... قبلَ هذا التحليمِ كنتُ حَليما

وقال الصّابى وذَكَر الخِضابَ :

خضبتُ مَشيبى للتعلّق بالصِّبـــا ... وأوهَمْتُ مَن أهواهُ أنِّى لم أشِبْ
فلمّا ادّعى منّى العِـــذارُ شَبِيبةً ... إذا صَلِيَ قد صاحَ من فوقه كَذَبْ
فكم طُرّةٍ طارَتْ ودانَتْ ذوائبٌ ... وكم وَجْنةٍ حالَتْ وماءُ بِهـــا نَضَبْ
شَواهِـــدُ بالتزويرِ يَحوِينَ رَبَّها ... فهِجرانُه عنـــدَ الأحبّةِ قد وَجَبْ

البحترىّ :

بانَ الشَّبابُ فـــلا عَيْنٌ ولا أثرٌ ... إلّا بقيّةَ بُرْدٍ منـــــه أسمالِ
قد كنتُ أُخرِجه عن مُنتهَى عَدَدِى ... يأساً وأسقِطُه إذْ فاتَ مِن بالِى
سُوءُ العَواقِبِ يأسٌ قبلَــه أمَلٌ ... وأعضَلُ الداءِ نُكْسٌ بعــدَ إبلالِ
وللمرءِ طاعـــةُ أيّامٍ تُنقِّلُه ... تَنقُّـــلَ الظِّلِّ من حالٍ إلى حالِ

---

(١) ديوانه ٣ : ٢٢٣

الأصْـلُ :

وقال عليهِ السلامُ :

ما المُجاهِدُ الشَّهيدُ في سَبيلِ اللهِ بِأعْظَمَ أجْراً مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ ، لَـكَادَ العَفِيفُ أنْ يكُونَ مَلَـكاً مِنَ الملائِـكَةِ .

•••

[نبذ وحكاياتٍ حول العفة]

الشَّـرْحُ :

قد تقدّم القولُ في العِفّة ، وهي ضُرُوب : عِفة اليد ، وعِفة اللسان ، وعِفّة الفَرْج ، وهي العُظمَى ، وقد جاء في الحديث المرفوع : « مَن عَشِق فـكَتَم وعَفّ وصَبَر فماتَ ماتَ شهيداً ودخَل الجنّة » .

وفي حكمةِ سليمانَ بن داود : إنّ الـغالبَ لِهوَاه أشـدُّ من الذى يفتح المدينة وحدَه .

نَزَل خارجيٌّ على بعض إخوانه منهمْ مستتِرا من الحجّاج ، فشَخَص المنزولُ عليه لبعضِ حاجاته وقال لزوجه : يا ظَمياء ، أُوصيكِ بضَيْفِ هـذا خيراً ، وكانتْ من أحسنِ الناس ـ فلمّا عاد بعدَ شهر قال لها : كيف كان ضيفُكِ ؟ قالت : ما أشغلَه بالعمَى عن كلّ شيء ؛ وكان الضيف أطبَقَ جَفْنَيه فلم ينظُر إلى المرأة ولا إلى منزلها إلى أن عاد زوجُها .

وقال الشاعر :

إن أكنْ طامحَ اللحاظِ فإنّي والذى يملكُ القلوبَ عفيفُ

خرجت امرأةٌ من صالحات نساء قريش من بابها لتغلقه ، ورأسُها مكشوف ، فرآها رجلٌ أجنبيٌ ، فرجعتْ وحلقتْ شعرَها ، وكانت من أحسنِ النّساء شَعْرا ، فقيل لها فى ذلك ، فقالت : ما كنتُ لأدَعَ على رأسِى شَعْراً رآه من ليس لى بمحرَم .

كان ابنُ سيرينَ يقول : ما غَشِيتُ امرأةً قطّ فى يقظةٍ ولا نوم غيرَ أمّ عبدِ الله وإنّى لأرَى المرأةَ فى المَنام وأعلم أنّها لا تحِلّ لى فأصرف بَصَرى عنها .

وقال بعضهم :

وإنّى لعفّ عن فُكاهةِ جارتى وإنّى لمشنوءٌ إلىّ اغتيابُهــــا
إذا غابَ عنها بعلُها لم أكنْ لها صديقاً ولم تأنسْ إلىّ كِلابُها
ولم أكُ طلاّبا أحاديثَ سِرِّهــا ولا عالماً من أىّ حَوْكٍ ثيابُها

دخلتْ بُثينةُ على عبدِ الملكِ بن مروانَ ، فقال : ما أرَى فيك يا بُثَينةُ شيئا مما كان يلهج به جَميل ! فقالت : إنه كان يرنو إلىّ بعينين ليستا فى رأسِك يا أميرَ المؤمنين ، قال : فكيف صادفتِه فى عِفّته ؟ قالت : كما وَصَفَ نفسَه إذ قال :

لا والذى تسجُــد الجِباهُ له مالى بما ضَمّ ثوبُهـــا خَبَرُ [1]
ولا بفيهـــا ولا همَمْتُ به ما كانَ إلّا الحــديثُ والنظرُ

وقال أبو سَهْل السّاعدىّ : دخلتُ على جَميل فى مرضِ موته ، فقال : يا أبا سَهْل ، رجلٌ يلقَى اللهَ ولم يسفِكْ دماً حراما ، ولم يَشربْ خمرا ، ولم يأتِ فاحشةً ، أترجو له الجنّة؟ قلتُ : إى والله فمن هوَ ؟ قال : إنى لأرجُو أن أكون أنا ذلك ، فذكرتُ له بُثينة ،

---

(١) ديوانه ٨٩ ، ٩٠ .

فقال : إنّى لفى آخر يوم من أيام الدنيا ، وأوّل يوم من أيام الآخرة ، لا نالتنى شفاعة محمّد إن كنتُ حدّثتُ نفسى بريبةٍ معها أو مع غيرها قطّ .

قال الشاعر :

قالتْ وقتتُ ترفّق فى مَسِيلى ... حَتّى أمرِئٍ بوصالكمْ صبّ

صادِقْ إذاً تَمْلِى فقلتُ لها ... الصدرُ شىء ليسَ من شَعْبى

ثِنْتـــانِ لا أصبو لوَصْلِهما ... عِرْسُ الصديق وجارة الجَنْبِ

أمّا الصـــديقُ فلستُ خائنَه ... وجـــارُ أوصانى به ربّى

يقال : إنّ امرأةً ذات جمالٍ دعتْ عبد الله بن عبد المطلب إلى نفسها لما كانت ترى على وجهه من النُّور ، فأبى وقال :

أمّا الحرامُ فالمماتُ دونَهُ ... والحِلّ لا حِلّ فأستبينَهُ

فكيف بالأمرِ الذى تبغينَهُ ... يَحْمِى الكريمُ عِرْضَه ودينَهُ

راوَدَ توبةُ بنُ الحُميِّر ليلى الأخيليّة مرّةً عن نفسها ، فاشمأزّت منه وقالت :

وذى حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها ... فليس إليها ما حَيِيتَ سبيلُ[1]

لنا صاحبٌ لا ينبغى أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلُ

ابنُ ميّادة :

موانِعُ لا يُعطين حبّةَ خردلٍ ... وهنّ زوانٍ فى الحديث أوانسُ

ويكرهن أن يَسمعن فى اللهو ريبةً ... كما كرهتْ صوتَ اللّجامِ الشّوامِسُ

آخر :

بيضٌ أوانسُ ما هممن بريبةٍ ... كظباء مكّةَ صيدُهنّ حرامُ

---

(١) أمالى القالى ١ : ٨٨

يُحَسّن من لين الكلام زَوَانيًا ... ويصدُّهن عن الخنا الإسلامُ

في الحديث المرفوع : « لا تكونَنَّ حديدَ النظر إلى ما ليس لك ، فإنه لا يزني فرجُك ما حَفِظتَ عينَيك ، وإن استطعت ألاّ تنظر إلى ثوب المرأة التي لا تحلّ لك فافعل ولن تستطيع ذلك إلاّ بإذن الله » .

كان ابن المولى الشاعر المدنيّ موصوفاً بالعفّة وطيب الإزار ، فأنشد عبد الملك شعراً له من جملته :

وأبكي فلا ليلَى بكتْ من صبابةٍ ... لباكٍ ولا ليلى لذي البذل تبذُلُ

وأخنع بالعُتبى إذا كنتُ مذنبًا ... وإن أذنبتْ كنتُ الذي أتنصّلُ

فقال عبدُ الملك : مَن ليلى هذه ؟ إن كانت حرّة لأزوّجنكها ، وإن كانت أمَة لأشترينّها لك بالغة ما بلغت ، فقال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، ما كنت لأصَعّر وجه حُرٍّ أبدًا في حُرّته ولا في أمَته ، وما ليلى التي أنسب بها إلاّ قوسي هذه سمّيتها ليلى لأنّ الشاعر لا بدّ له من النسيب .

ابن الملوّح المجنون :

كأنّ على أنيابها الخمرَ مجَّهُ ... بماء الندى من آخر الليل غابقُ[1]

وما ذقتُه إلاّ بعيني تفرّسًا ... كما شِيمَ من أعلى السحابة بارِقُ

هذا مثل بيت الحماسة :

بأعذبَ مِن فيها وما ذُقتُ طعمَه ... ولكنني فيما ترى العينُ فارسُ[2]

شاعر :

ما إن دعاني الهوى لفاحشةٍ ... إلاّ نهاني الحياءُ والكرَمُ

---

(١) ديوانه ٢٠٣

(٢) لأبي بصرة الدولاني ، ديوان الحماسة ٣ : ١٢٨١ ـ بشرح المرزوقي .

ولا إلى محرمٍ مددتُ يدى ولا مشت بى لريبةٍ قدمُ

العباس بنُ الأحنف :

أتأذنون لصبٍّ فى زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصرِ [١]

لا يُضمِرُ السوء إن طال الجلوس به عفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظرِ

قال بعضهم : رأيتُ امرأةً مستقبلة البيت فى موسم ، وهى فى غاية الضر والنحافة ، رافعة يديها تدعو ، فقلتُ لها : هل لكِ من حاجة ؟ قالت : حاجتى أن تنادىَ فى الموقف بقولى :

تزوَّدَ كلُّ الناس زاداً يقيمهم وما لى زادٌ والسلام على نفسى

ففعلت ، وإذا أنا بفتى منهوك ، فقال : أنا الزاد ، فمضيتُ به إليها ، فما زادوا على النظر والبكاء ، ثمّ قالت له : انصرف مُصاحَباً ، فقلت : ما علمت أن التقاءكما يقتصر فيه على هذا ، فقالت : امسك يا فتى ، أما علمت أن ركوب العار ودخول النار شديد .

قال بعضهم :

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فيمنعنى منه الحياء وخوفُ الله والحـــذرُ

وكم خلوتُ بمن أهــوى فيقنعنى منه الفكاهةُ والتحديثُ والنظرُ

أهوى الملاحَ وأهوى أن أجالسهم وليس لى فى حــرامٍ منهمُ وطرُ

كذلك الحبُّ لا إتيانُ معصيةٍ لا خير فى لذةٍ من بعدها سقرُ

قال محمد بن عبد الله بن طاهر لبنيه : اعشقوا تظرفوا ، وعفوا تشرفوا .

وصف أعرابى امرأة طرقها ، فقال : ما زال القمر يُرينيها فلما غاب أرتنيه ، قيل : فما كان بينكما ؟ قال : ما أقرب ما أحل الله مما حرم ، إشارة فى غير باس ، ودنو من غير مساس ، ولا وجع أشد من الذنوب .

---

(١) ديوانه ١٤٧

كثيِّر عزّة :

وإنّى لأرضَى منكِ يا عزّ بالّذى ... لو أبصرَه الواشى لقرّت بَلابِلُه

بِلَا وبألاّ أستطيعَ وبالمُنى ... وبالوَعْد حتى يسأمَ الوعدَ آمِلُه

وبالنظرةِ العجْلَى وبالحَوْل ينقضى ... أواخره لا نلتقى وأوائلُه

وقال بعضُ الظرفاء : كان أربابُ الهوى يسرّون فيما مضى ، ويقنعون بأن يَمضغ أحدُهم لباناً قد مَضغته محبوبتُه ، أو بِسِنَاك سواكِها ، ويرَوْن ذاك عظيما ، واليومَ يطلبُ أحدهم الخلوة وإرخاء الستور ، كأنه قد أشهد على نكاحها أبا سعيد وأبا هُريرة .

وقال أحمد بنُ أبى عثمان الكاتب :

وإنّى ليُرضِينى المرورُ ببابها ... وأقنعُ منها بالوَعيد وبالزّجر

قال يوسف بن الماجِشون : أنشدتُ محمّد بن المنكدر قول وضّاح اليمن :

إذا قلتُ هاتِى نوّليني تبسّمتْ ... وقالت معاذَ الله مِنْ فِعلِ ما حَرُمْ

فما نوّلتْ حتى تضرّعتُ حولَها ... وعرّفتُها ما رخّص الله فى اللّمَمْ

فضحك وقال : إنْ كان وضّاحٌ لفقيها فى نفسه .

قال آخر :

فقالت بحقِّ الله إلاّ أتيتنا ... إذا كان لونُ اللّيل لونَ الطّيالِسِ

فجئتُ وما فى القومِ يقظانُ غيرُها ... وقد نامَ عنها كلُّ والٍ وحارسِ

فبتُّ مَبيتاً طيّبَ سِـــدّه ... حميداً ولم أمدُدْ لها كفّ لامسِ

مرّت امرأة حسناء بقومٍ من بنى نُمَير مجتمعين فى نادٍ لهم ، فرمقوها بأبصارهم ، وقال قائل منهم : ما أكملَها لولا أنّها رَسْحاء[1] ! فالتفتت إليهم ، وقالت : والله

---

(١) الرسحاء : المسحة

بأبى نمير ، ما أطعتم الله ولا الشاعر ، قال الله تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾[1].

وقال الشاعر :

فغضَّ الطرْفَ إنك من نُمَيرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلاَبا[2]

فأخجلتهم .

وقال أبو صَخر الهذلىُّ من شِعْر الحماسة :

وللَيلة منها تعود لنـــا من غير مارَفَثٍ ولا إثم

أشهى إلى نفسى ولو نزحتْ مما ملكتُ ومن بنى سَهْم

آخر :

وما نلتُ منها محرَّماً غير أننى أُقبِّل بسّاما من الثغر أفلجـا

وألثمُ فاها آخذاً بقرونهـــا وأتركُ حاجاتِ النفوسِ تحرُّجا

وأعفُّ من هذا الشعر قولُ عبدِ بنى الحسحاسِ على فسقه :

لعمرُ أبيها ما صبوتُ ولا صبتْ إلىَّ ولا أبغى صبا الحليمُ

سِوَى قُبلةٍ أستغفر الله ذنبهـا سأطعِم مسكينا لهـــا وأصُومُ

وقال آخَر :

ومجدُولةٍ مجدُولِ الساقِ كأنما تبسَّم برقٌ فى داجى الظلامِ ابتسامُها

ضربتُ لها الميعادَ ليستْ بكنَّةٍ ولا حرةٍ يُخشَى علىّ ذِمامُهـــا

فلمّا التقينا قالت الحكمَ فاحتكمْ سوى خلّةٍ هيهاتَ منكَ مرامُها

فقلتُ معاذَ الله أن أركبَ التى تبيدُ ويبقَى فى المعادِ أثامُهـــا

---

(١) سورة النور ٣٠

(٢) لجرير ، ديوانه .

قوله : « ليست بكَنَّة * ولا جارة يُخشى علىَّ ذِمامُها » ، مأخوذٌ من قول قيس ابن الخطيم :

ومثلكِ قد أحببْتُ ليستْ بكَنّةٍ ولا جارةٍ ولا حَليلةِ صاحبِ[1]

وهذا الشاعر قد زاد عليه بقوله « ولا حليلة صاحب » .

وأنشد ابن مَنْدَوَيه لبعضهم :

أنا زانِي اللسانِ والطرْفِ إلاّ أنّ قلبي يَصـافُ ذاكَ ويأبَى
لا يَرانى الإلهُ أشْرَبُ إلاّ كلّ ما حَلّ شُربُه لى وطابَا

آخَر :

نلهُو بهنّ كذا من غيرِ فاحشةٍ لَهوَ الصِّيامِ بتفّاحِ البساتينِ

بشّار بنُ بُرْد :

قالوا حرامٌ تلاقِينا فقلتُ لهمْ ما في التلاقي ولا في قُبلةٍ حَرَجُ[2]
مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظفَرْ بحاجتِه وفازَ بالطيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

البيت الآخَر مِثلُ قولِ القائل :

مَن راقبَ النـاسَ ماتَ غمًّا وفازَ باللـــــذّةِ الجَسُورُ

أبو الطيِّب المتنبّى :

وترَى الفُتُـوّةَ والمروّةَ والأبُوّةَ فىَّ كلُّ مليحـةٍ ضَرّاتِها[3]
هنّ الثلاثُ المـانِعاتِي لَذّتِي فى خَلْوَتى لا الخوفُ مِنْ تَبِعاتِها
إنّى على شَغَفِى بما فى خُمْرِهـا لأعِفُّ عمّا فى سَراوِيلاتِهـا

* * *

---

(١) ديوانه ٣٦
(٢) ديوانه ٢ : ٧٥ ، ٧٦
(٣) ديوانه ١ : ٢٢٧

كان الصاحبُ رحمه الله يستهجن قوله : « عفّا فى سراويلاتها » ، ويقول : إن كثيراً من التهتُّر أحسن من هذه العفة ، ومعنى البيت الأول أنّ هذه الخلال الثلاث تراهُنّ المِلاحُ ضرائرَ لهنّ لأنّهن يمنعنه عن الحظوة بالملاح والتمتع بهنّ . ثم قال : إنّ هذه الخلال هى التى تمنعه لا الخوفُ من تبعاتها ، وقال قوم : هذا تهاونٌ بالدّين ، ونوعٌ من الإلحاد . وعندى أنّ هذا مذهبٌ للشعراء معروف ، لا يُريدون به التهاوُنَ بالدّين ، بل المبالغة فى وَصْف سجاياهُم وأخلاقهم بالطهارة ، وأنهم يتركون القبيح لأنه قبيح ، لا لورُود الشّرْع به ، وخوف العِقاب منه . ويمكن أيضاً أن يريدَ بتبعاتها تبعات الدّنيا ، أى لا أخاف من قوم هذه الحظوة التى أُنِسْتُ بها ، ولا أُشفِق من حَزْمهم وكيدِهم ، فأمّا عفة اليد وعفة اللّسان فهما بابٌ آخَر ، وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من ذلك فى الأجزاء المتقدّمة عند ذكرنا الوَرَع .

وفى الحديث المرفوع : « لا يَبلُغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يترك مالا بأس به حذارَ ما به البأس » .

وقال أبو بكر فى مرض موته : إن منذُ ولينا أمرَ المسلمين لم نأخذ لهم درهماً ولا ديناراً ، وأكلنا من جَرِيش الطعام ، ولبسنا من خَشِن الثياب ، وليس عندنا من فَىْء المسلمين إلّا هذا الناضح ، وهذا العبد الحبشى ، وهذه القطيفة ، فإذا قُبِضْتُ فادفعوا ذلك إلى عمرَ ليجعلَه فى بيتِ مالِ المسلمين . فلما مات حُمِل ذلك إلى عمر ، فبكى كثيراً ثم قال : رحم الله أبا بكر ، لقد أتعبَ مَن بعده !

قال سليمانُ بنُ داود : يابنى إسرائيل ، أوصيكم بأمرَيْن أفلح مَن فعلهما : لا تُدخِلوا أجوافَكم إلّا الطيّبَ ، ولا تُخرِجوا مِن أفواهِكم إلّا الطيّب .

وقال بعضُ الحكماء : إذا شئتَ أن تَعرِفَ ربَّك معرفةً يقينيّة فاجعلْ بينكَ وبين المحارم حائطاً من حديد ، فسوفَ يَفتح عليكَ أبوابَ مَعرفته .

ومما يُحكَى من وَرَع حسّان بن أبي سِنان أنّ غلاما له كتب إليه من الأهواز : إنّ قصَبَ السكّر أصابتْه السنة آفة فاشترِ ماقَدَرْتَ عليه من السكّر ، فإنك تجد به رِبحًا كثيرا فيما بعد ، فاشترى ، وطلب منه ما اشتراه بعد قليل ربح ثلاثين ألف درهم ، فاستقالَ البيْعَ من صاحبه ، وقال : إنه لم يَعلمْ ما كنتُ أعلم حين اشتريتُه منه ، فقال البائع : قد علمتُ الآن مقدارَ الرّبح ، وقد طيّبتُه لك وأحللتُه ، فلم يطمئنّ قلبُه ، وما زال حتى ردّه عليه !

ويقال : إنّ غَنَم الغارة اختلطتْ بغَنَم أهلِ الكوفة ، فتورّع أبو حنيفة أن يأكلَ اللحم ، وسأل كم تعيشُ الشاة ؟ فقالوا سبعَ سنين ، فترك أكلَ لحم الغنم سبعَ سنين .

ويقال : إنّ المنصور حمل إليه بَدْرةً فرمَى بها إلى زاوية البيت ، فلمّا مات جاء بها ابنُه حمّاد بن أبي حنيفة إلى أبي الحسن بن أبي قحطبة ، وقال : إنّ أبي أوصاني أن أردَّ هذه عليك ، وقال : إنّها كانت عندي كالوَديعة ، فاصرفْها فيما أمرَك الله به ، فقال أبو الحسن : رَحِم الله أبا حنيفة ! لقد شحّ بدينه إذ سخَتْ به نفوسُ أقوام .

وقال سُفيانُ الثوريّ : انظر درهمَك من أينَ هو ، وصلِّ في الصّفّ الأخير .

جابر : سمعتُ النبيَّ صلّى الله عليه وآله يقول لكعب بن عُجْرة : « لا يدخل الجنّة لحمٌ نبتَ من السُّحْت ، النار أولَى به » .

الحسن : لو وجدتُ رغيفًا من حلالٍ لأحرقتُه ثم سحقتُه ثم جعلتُه ذَرُورًا ، ثم داويتُ به المرضى .

عائشة ، قالت : يارسول الله ، مَن المؤمن ؟ قال : من إذا أصبح نظر إلى رغيفيه كيف يكتسبهما ، قالت : يارسول الله ، أما إنهم لو كُلفوا ذلك لتكلفوه ، فقال لها : إنهم قد كُلّفوه ، ولكنهم يعسفون الدنيا عسفا .

حُذيفة بن اليمان يرفعه : إن قوما يجيئون يومَ القيامة ولهم من الحسنات كأمثال الجبال ، فيجعلها الله هباء منثورا ، ثمّ يؤمَر بهم إلى النّار ؛ قيل : حَلِّهم لنا يارسول الله ، قال : إنهم كانوا يصلّون ويصومون ويأخذون أهبة من الليل ، ولكنهم كانوا إذا عرض عليهم الحرامُ وثبوا عليه .

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ : القَناعَةُ مالٌ لا يَنْفَدُ

قال : وقدْ رَوَى بَعْضُهُم هذَا الكلامَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وآله .

* * *

الشَّرْحُ :

قد تقدَّم القولُ في هذا المعنى ، وقد تكرَّرتْ هذه اللفظة بذاتِها في كلامِه عليه السلام .

ومن جيِّد القولِ في القناعة قولُ المعَرِّي :

أما كالثُّغارِ حِلْيِي مِلْبَسِي   لستُ محتاجةً إلى ثوبِ الجَالِ
فالخمولُ العِزّ واليأسُ الوَفَى   والقُنوعُ المُلْكُ ، هذا ما بَدا لي

وقال أيضاً :

لا تعجبنّ لمن يهوى ويصعد في   دُنْياه فالخلقُ في أُرجوحةِ القَدَرِ
واقنعْ بما قلَّ فالأوشالُ صافيةٌ   ولجةُ البحرِ لا تخلو من الكَدَرِ

الأصْلُ :

وقال عليهِ السلامُ لزيادِ بنِ أبيهِ وقد استخلفهُ لعبدِ اللهِ بنِ العبّاسِ على فارسَ وأعمالِها ، في كلامٍ طويلٍ كانَ بينهُما نهاهُ فيهِ عنْ تقديمِ الخراجِ .

إِسْتَعْمِلِ العَدْلَ ، واحْذَرِ العَسْفَ والحَيْفَ : فإِنَّ العَسْفَ يَعودُ بالجَلاءِ ، والحيْفَ يَدْعُو إلى السَّيْفِ .

الشَّرْحُ

قد سبَقَ الكلامُ في العَدْلِ والجَوْرِ .

وكانت عادةُ أهلِ فارسَ في أيامِ عثمانَ أن يطلبَ الوالي منهم خراجَ أملاكِهم قبلَ بيعِ الثمارِ على وجهِ الاستسلافِ ، أو لأنّهم كانوا يظنّون أن أوّلَ السنةِ القمريّةِ هو مُبتدأُ وجوبِ الخراجِ حَمْلاً لخراجِ الذي لسنةِ الشمسِ على الحقوقِ الهلاليّةِ التابعةِ لسنةِ القمرِ ، كأجرةِ العقارِ ، وجَوالي أهلِ الذمّـــةِ ، فكان ذلكَ يُجحِفُ بالنّاسِ ويدعو إلى عسفِهم وحيفِهم .

وقد غلط في هذا المعنى جماعةٌ من ملوكِ في كثيرٍ من الأعصارِ ، ولم يعلموا فرقَ ما بين السَّنتين ، ثم تنبّهَ له قومٌ من أذكياءِ الناسِ فكبَسوا وجعلوا السنتين واحدةً ، ثم أهملَ الناسُ الكَبْسَ ، وخرج ما بين السنةِ القمريّةِ والسنةِ الخراجيّةِ التي هي سنةُ الشمسِ انفراجاً كثيراً .

واستقصاءُ القولِ في ذلكَ لا يليقُ بهذا الموضعِ ، لأنّه خارجٌ عن فنِّ الأدبِ الذي هو موضوعُ كتابِنا هذا .

(٤٨٢)

الأصْـلُ :

وقالَ عليه السلام :

أشَدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَخَفَّ بها صاحِبها .

• • •

الشَّـرْحُ :

عِظَمُ المعصيةِ على حَسَبِ نِعْمةِ العاصى ، ولهـذا كان لَطْمُ الولدِ وجهَ الوالدِ كبيراً ليس كلَطْمةِ وجهِ غيرِ الوالد .

ولمّا كان البارى تعالى أعظمَ المُنعِمين ، بل لا نِعمةَ إلّا وهى فى الحقيقةِ مِن نِعَمِه ، ومنسوبة إليه ، كانت مخالَفته ومعصِيَته عظيمة جدّاً ، فلا ينبغى لأحدٍ أن يعصِيَه فى أمرٍ وإن كان قليلا فى ظنّه ، ثم يستقلّه ويستهين به ، ويُظهِر الاستخفافَ وقلّةَ الاحتفال بمواقعته ، فإنّه يكون قد ضمّ إلى المعصية معصيةً أخرى ، وهى الاستخفاف بقَدْر تلك المعصية التى لو أمعَنَ النَّظَرَ لعلم أنّها عظيمة ، ينبغى له لو كان رشيدا أن يَبْكِىَ عليها الدَّمَ فَضْلا عن الدَّمْع ، فلهذا قال عليه السلام : « أشدّ الذنوب ما استَخَفَّ بها صاحِبها » .

الأصْلُ :

وقال عليه السلام :

مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا .

* * *

الشرْحُ :

تعليمُ العلمِ فرضُ كفايةٍ ، وفى الخبرِ المرفوعِ « من عَلِمَ عِلْماً وكَتَمه ألجمه اللهُ يومَ القيامة بلجامٍ من نار » .

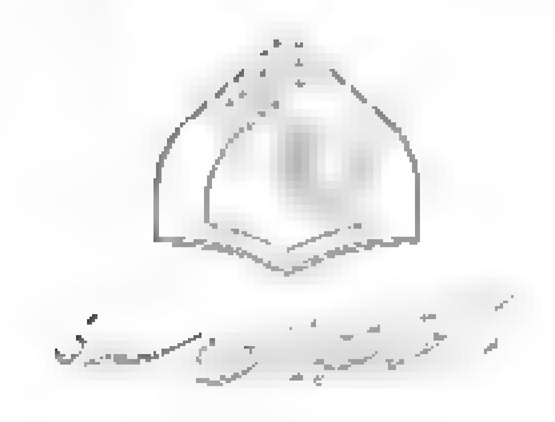
ورَوَى مُعاذُ بنُ جَبَل عن النبىّ صلّى الله عليه وآله قال : « تعلّموا العِلمَ فإنّ تعلّمه خشية الله ، ودِراسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وطلبه عبادة ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قُرْبة ، لأنّه معالِم الحلال والحرام ، وبيانُ سبيلِ الجنّة ، والمؤنس فى الوحشة ، والمحدّث فى الخلوة ، والجليس فى الوحدة ، والصاحب فى الغربة ، والدليل على السرّاء ، والمُعين على الضرّاء ، والزّين عند الأخلاء ، والسلاح على الأعداء » .

ورُئِىَ واصل بن عطاء يكتب من صبىّ حديثا ، فقيل له : مثلك يكتب من هذا ! فقال : أما إنى أحفظُ له منه ، ولكنى أردت أن أذيقه كأس الرياسة ، ليدعوَه ذلك إلى الازدياد من العلم .

وقال الخليل : العلوم أقفال ، والسؤالات مفاتيحها .

وقال بعضهم : كان أهل العلم يصونون علمهم عن أهل الدنيا فيرغبون فيه ويبذلون لهم دنياهم ، واليوم قد بذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا فزهدوا فيه وضنّوا عليهم بدنياهم .

وقال بعضهم : ابذل علمك لمن يطلبه ، وادع إليه من لا يطلبه ، وإلا كان مَثَلك كمن أُهديتْ له فاكهة فلم يَطعَمها ولم يُطعِمْها حتى فسدتْ .



الأصْـلُ :

وقال عليه السلامُ :

شَرُّ الإخْوَانِ مَنْ تُـكُلِّفَ لَهُ .

* * *

الشَّــرْحُ :

إنما كان كذلك لأنّ الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط ، وترك التكلف ، فإذا احتيج إلى التكلف له فقد دلّ ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق ، ومن ليس بأخ صادق فهو من شرّ الإخوان .

وروى ابن ماقيا في كتاب « ملح الممالحة » ، قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون ، فقال له : كيف علمك بالمروءة ؟ قال : ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه ؟ قال : عليك بعمرو بن مسعدة ، قال : فوافيتُ عمراً وفي داره صنّاع ، وهو جالس على آجُرّة ينظر إليهم ، فقلت : إن أمير المؤمنين بعثك أن تعلّمني المروءة ، فدعا بآجرّة فأجلسني عليها ، وتحدّثنا مليّاً ، وقد امتلأتُ غيظاً من تقصيره بي ، ثم قال : ياغلام عندك شيء يؤكل ؟ فقال : نعم ، فقدّم طبقاً لطيفاً ، عليه رغيفان وثلاث سكرّجات ، في إحداهنّ خلّ ، وفي الأخرى مريّ ، وفي الأخرى ملح ، فأكلنا ، وجاء الفرّاش فوضّأنا ، ثم قال : إذا شئت ! فنهضت متسخطاً ، ولم أودّعه ، فقال لي : إن رأيتَ أن تعود إليّ في يوم مثله ! ولم أذكر للمأمون شيئاً مما جرى ، فلما كان في اليوم الذي وعدني فيه لُقياه

سرت إليه فاستؤذِن لى عليه ، فتلقانى على باب الدار ، فعانقنى ، وقبّل بين عينىّ ، وقدّمنى أمامه ، ومشى خلفى حتى أقعدنى فى الدّست ، وجلس بين يدىّ ، وقد فُرِشت الدار ، وزُيّنت بأنواع الزينة ، وأقبل يحدّثنى ويتنادر معى إلى أن حضر وقت الطعام ، فأمر فقدّمت أطباق الفاكهة ، فأصبنا منها ، ونصبت الموائد ، فقدّم عليها أنواع الأطعمة من حارّها وباردِها ، وحلوها وحامضها ، ثم قال : أىّ الشراب أعجب إليك ؟ فاقترحت عليه ، وحضر الوصائف للخدمة ، فلما أردت الانصراف حَمَل معى جميع ما أحضر من ذهب وفضة وفُرُش وكِسوة ، وقدم لى البساط فرش بمركب ثقيل ، فركبته وأمر من بحضرته من الغلمان الرّوم والوصائف حتى صاروا بين يدىّ ، وقال : عليك بهم فهم لك . ثم قال : إذا زارك أخوك فلا تتكلف له ، واقتصر على ما يحضرك ، وإذا دعوته فاحتفل به واحتشد ، ولا تدعنّ ممكنا ، كفعلنا إيّاك عند زيارتك إيانا ، وفعلنا يوم دعوناك .

(٤٨٥)

الأصْلُ :

وقالَ عليهِ السلامُ في كلامٍ له :

إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ .

●●●

الشَّرْحُ :

ليس يعني أنّ الاحتشام علة الفرقة بل هو دلالة وأمارة على الفرقة ، لأنه لو لم يَحْدُث عنده ما يقتضي الاحتشام لا نبسط على عادته الأولى ، فالانقباض أمارة المباينة .

●●●

هذا آخر ما دوّنه الرضيّ أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في « نهج البلاغة » ، قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى .

ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضيّ مما نسبه قوم إليه ، فبعضهُ مشهور عنه ، وبعضه ليس بذلك المشهور ؛ لكنه قد روى عنه ، وعُزِيَ إليه ، وبعضه من كلام غيره من الحكماء ؛ ولكنه كالنظير لكلامه ، والمضارع لحكمته ؛ ولما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة ؛ رأينا ألا نُخلِيَ هذا الكتاب عنهُ ؛ لأنه كالتكملة والتتمة لكتاب « نهج البلاغة » .

وربما وقع فى بعضه تكرار يسير شذ عن أذهاننا التنبه له ، لطول الكتاب وتباعد أطرافه ، وقد عددنا ذلك كلمة كلمة، فوجدناه ألف كلمة .

فإن اعترضنا معترض وقال : فإذ كنتم قد أقررتم بأن بعضها ليس بكلام له ؛ فلماذا ذكرتموه ، وهل ذلك إلا نوع من التطويل ؟ .

أجبناه وقلنا : لو كان هذا الاعتراض لازماً لوجب ألا نذكر شيئاً من الأشباه والنظائر لكلامه ، فالعذر ها هنا هو العذر هناك ، وهو أن الغرض بالكتاب الأدب والحكمة ؛ فإذا وجدنا ما يناسب كلامه عليه السلام ، وينصب فى قالبه ويحتذى حذوه ، ويتقبل منهاجه ، ذكرناه على قاعدتنا فى ذكر النظائر عند الخوض فى شرح نظائره .

وهذا حين الشروع فيها خالية عن الشرح لجلائها ووضوحها ، وإن أكثرها قد سبقت نظائره وأمثاله ، وبالله التوفيق .


الحكم المنسوبة



الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

١ — كان كثيراً ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل : أشهد أن السموات والأرض وما بينهما آيات تدلّ عليك ، وشواهد تشهد بما إليه دعوت . كلّ ما يؤدّي عنك الحجّة ، ويشهد لك بالرّبوبيّة موسوم بآثار نعمتك ومعالم تدبيرك . علوتَ بها عن خلقك ، فأوصلتَ إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ، وكفاها رجْم الاحتجاج ؛ فهي مع معرفتها بك ، وولهها إليك : شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام ، ولا تدركك العقول ولا الأبصار . أعوذ بك أن أشير بقلبٍ أو لسان أو يدٍ إلى غيرك ؛ لا إله إلا أنتَ ، واحداً أحداً ، فرداً صَمَداً ، ونحن لك مسلمون .

٢ — إلهي ، كفاني فخراً أن تكون لي ربًّا ، وكفاني عزًّا أن أكون لك عبداً ؛ أنت كما أريد ، فاجعلني كما تريد .

٣ — ما ماتَ امرؤ عدَل في حكمه ، وأطعم من قوته ، وذخر من دنياه لآخرته .

٤ — أفضِلْ على مَنْ شئتَ تكنْ أميرَه ، واستغنِ عمَّن شئتَ تكنْ نظيرَه ، واحتجْ إلى مَنْ شئتَ تكن أسيرَه .

٥ — لولا ضعفُ اليقين ما كان لنا أن نشكوَ محنةً يسيرةً نرجو في العاجل سرعةَ زوالها ، وفي الآجل عظيمَ ثوابها ، بين أضعاف نِعَمٍ لو اجتمع أهلُ السموات والأرضِ على إحصائها ماوفوا بها فضلاً عن القيام بشكرها .

٦ — من علاماتِ المأمون على دينِ الله بعدَ الإقرار والعمل ، الحزمُ في أمره ، والصّدق في قوله ، والعدل في حكمه ، والشفقة على رعيّته ، لا تخرجه القدْرة إلى خُرْق[1] ، ولا اللّين إلى ضَعف ، ولا تمنعه العزّة من كرم عفو ، ولا يدعوه العفو

(١) الخرق : ضد الرفق ، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور .

إلى إضاعة حق ، ولا يدخله الإعطاء في سَرَف ، ولا يتخطَّى به القصد[1] إلى بُخْل ، ولا تأخذه نِعَمُ الله ببطر .

٧ — الفِسْق نجاسةٌ في الهمّة ، وكَلَبٌ في الطَّبيعة[2] .

٨ — قلوب الجهال تستفزها[3] الأطماع ، وترتهن بالأماني ، وتتعلق بالخدائع . وكثرة الصمت زمام اللسان ، وحسْم[4] الفطنة ، وإماطة الخاطر[5] ، وعذاب الحس .

٩ — عَـداوة الضعفاء للأقوياء ، والسفهاء للحلماء ، والأشرار للأخيار ، طبـع لا يُستطاع تغييره .

١٠ — العقل في القلب ، والرحمة في الكبِد ، والتنفُّس في الرئة .

١١ — إذا أراد الله بعبدٍ خيراً حال بينه وبين شهوته ، وحجز بينه وبين قلبه ، وإذا أراد به شرّاً وكلَه إلى نفسه .

١٢ — الصَّبْر مطيّة لا تكبُو ، والقناعة سيف لا ينبو .

١٣ — رحم اللهُ عبداً اتقى ربَّهُ ، وناصح نفسه ، وقدَّم توبته ، وغلب شهوته ؛ فإنَّ أجلَه مستورٌ عنه ، وأملَهُ خادع له ، والشيطان مُوَكَّلٌ به .

١٤ — مرَّ بمقبرة فقال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحِشَة ، والمحالّ المقفرة[6] ؛ من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا فَرَط[7] ، ونحن لكم تَبَع[8] نزوركم عمّا قليل ، ونلحق بكم بعد زمان قصير . اللهمَّ اغفر لنا ولهم ، وتجاوز عنّا وعنهم .

---

(١) القصد : أمر بين الإفراط والتفريط (٢) الطبع والطبيعة : السجية

(٣) استفزه واستخفه : أخرجه عن دارة الحزم وسط الأمر والأخذ فيه بالثقة

(٤) الحسم : القطع ، والفطنة : الذكاء وحدة الفهم .

(٥) إماطة الخاطر : الإماطة : الإبعاد والإزالة ، والخاطر : ما خطر بالبال من المشغلات

(٦) أقفر المكان : خلا .

(٧) فرط القوم يفرطهم : تقدمهم إلى الورد ، والفرط بالتحريك : المتقدم إلى الماء .

(٨) التبع : التابع .

الحمد لله الذى جعل الأرض كِفاتا ، أحياء وأمواتا(١) . والحمد لله الذى منها خلقَنا ، وعليها ممشانا ، وفيها معاشنا ، وإليها يُعيدنا . طوبى لمن ذكر المعاد ، وقنع بالكفاف ، وأعدّ للحساب !

١٥ — إنكم مخلوقون اقتدارا ، ومربوبون اقتسارا(٢) ، ومضمَّنون أجداثا(٣) ، وكائنون رُفاتا(٤) ، ومبعوثون أفرادا ، ومدينون حسابا . فرحم الله امرأ اقترف فاعترف ، ووجِل فعمِل ، وحاذر(٥) فبادر ، وعُبِّر فاعتبر ، وحُذِّر فازدجر ، وأجاب فأناب ، وراجع فتاب ، واقتدى فاحتذى(٦) ، وتأهّب للمعاد ، واستظهر بالزاد ؛ ليوم رحيله ، ووجه سبيله ، ولحال حاجته ، وموطن فاقته ، فقدّم أمامه لدار مقامه ؛ فمهِّدوا لأنفسكم على سلامة الأبدان وفسحة الأعمار . فهل ينتظر أهلُ غضارة(٧) الشباب إلا حوانىَ الهرم ، وأهلُ نضارة الصّحة إلا نوازل السّقم ، وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء ، واقتراب الفوت ، ومشارفة الانتقال ، وإشفاء الزوال ؛ وحَفْز الأنين(٨) ورشْح الجبين ، وامتداد العِرْنين(٩) ، وعَلَز القلق(١٠) ، وفَيْظ الرَّمَق(١١) ، وشدة المضَض ، وغصص الجرَض(١٢) .

١٦ — ثلاث منجيات : خشية الله فى السرّ والعلانية ، والقصْد فى الفقر والغنى ، والعَدْل فى الغضب والرضا .

---

(١) قوله : « كفاتا أحياء وأمواتا » ؛ أى جعل الأرض ضمًّا لنا فى حياتنا ومماتنا . الكفات بالكسر : الموضع يكفت فيه الشىء ، أى يضم ويجمع ، والأرض كفات .

(٢) قسره : قهره . (٣) الحفز : الحث والإعجال .

(٤) رفاتا ، رفته : كسره ودقه ، والرفات : الحطام . (٥) الحذر : الاحتراز .

(٦) د : « فاحتذى » .

(٧) الغضارة : النعمة والسعة والخصب . (٨) الحفز : الحث والإعجال .

(٩) العرنين : الأنف ، فإنه يمتد عند الموت . (١٠) العلز : القلق والخفة .

(١١) الفيظ بالظاء : شدة الحر ، وفاظ الميت : مات ، وهو من فيظ نفسه حية .

(١٢) الغصة : ما اعترض فى الحلق ، والجرض : الريق .

١٧ — إياكم والفُحْش ؛ فإن الله لا يحب الفحش ، وإياكم والشّح فإنه أهلك مَنْ كان قبلكم ؛ هو الذى سفك دماء الرجال ، وهو الذى قطّع أرحامها ، فاجتنبوه .

١٨ — إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقةٍ جارية ، وعلمٍ كان علّمه الناس فانتفعوا به ، وولدٍ صالح يدعو له .

١٩ — إذا فعلتَ كلّ شيء فكن كمن لم يفعل شيئاً .

٢٠ — سأله رجل ، فقال : ماذا أسوء عدوّى ؟ فقال : بأن تكون على غاية الفضائل ، لأنه إن كان يسوءه أن يكون لك فرس فارهٌ ، أو كلب صَيُود ؛ فهو لأن تُذكَرَ بالجميل وينسب إليك أشدّ مساءة .

٢١ — إذا قُذِفت بشيء فلا تتهاونْ به وإن كان كذبا ، بل تحرّزْ من طرقِ القذف جُهدكَ ؛ فإن القول وإن لم يثبت يوجب ريبةً وشكاً .

٢٢ — عدم الأدبِ سببُ كلّ شرّ .

٢٣ — الجهل بالفضائل عِدْل الموتِ .

٢٤ — ما أصعب على من استعبدتْه الشهوات أن يكون فاضلاً !

٢٥ — مَنْ لم يقهر حَسَدَهُ كان جَسَدُهُ قبراً لنفسِه .

٢٦ — احمَد من يغلظ عليك ويعظك ، لا من يزكّيك ويتملّقك .

٢٧ — اختر أن تكون مغلوبا وأنت منصف ، ولا تختر أن تكون غالبا وأنت ظالم .

٢٨ — لا تهضمنّ محاسنك بالفخر والتكبر .

٢٩ — لا تملك المدينة من شرّ ؛ حتى يجتمع مع قوّة السلطان قوّة دينه وقوة حكمته .

٣٠ — إذا أردتَ أن تُحمَد فلا يظهر منك حرصٌ على الحمْدِ .

٣١ — مَن كثُرَ همّـهُ سقم بدنه ، ومَنْ ساء خُلُقه عَذَّبَ نفسه ، ومن لاحَى الرِّجال سقطت مروءته ، وذهبت كرامته ؛ وأفضل إيمانِ العبْدِ أن يعلم أن الله معه حيث كان .

٣٢ — كُنْ ورِعاً تكن من أعبدِ الناس ، وارْضَ بما قسَم الله لك تكن من أغنى الناس ، وأحسنْ جوارَ مَنْ جاورك تكن مسلما ، ولا تكثرنّ الضحك؛ فإنّ كثرته تميت القلب ، وأحرس لسانك ، واجلس في بيتك ، وابكِ على خطيئتك .

٣٣ — إنّ الرَّجُل ليُحْرَم الرِّزق بالذنب يصيبُه ، ولا يردّ القدر إلا الدعاء ؛ ولا يزيد في العمر إلا البرّ ، ولا يزول قدم ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعمّا عمل فيم علم !

٣٤ — في التجارب علم مستأنف ، والاعتبار يفيدك الرشاد ، وكفاك أدبا لنفسك ما كرهته من غيرك ، وعليك لأخيك مثل الذي عليه لك .

٣٥ — الغضب يثير كامن الحِقْد ، ومَن عرف الأيام لم يُغفل الاستعداد ، ومَنْ أمسك عن الفضول عدّلت رأيه العقول .

٣٦ — اسكت واستتر تسلم . وما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسن العمل يزينه الرِّفق !

٣٧ — أكبرُ الفخر ألاّ تفخر .

٣٨ — ما أصعب اكتساب الفضائل وأيسر إتلافها !

٣٩ — لا تنازع جاهلاً ، ولا تشايع مائقاً[1] ، ولا تعاد مسلّطاً .

٤٠ — الموت راحة للشيخ الفاني من العمل ، وللشاب السقيم من السقم ، والسلام[2]

---

(١) المائق : الأحمق (٢) د . ج . السلام .

الناشئ من استقبال الكدّ والجمع لغيره ، ولمن ركبه[1] الدَّيْن لغرمائه ، وللمطلوب بالوتر ، وهو فى جله الأمر أمنية كل ملهوف مجهود .

٤١ — ما كتمتَ كاتمه عدوّك من سرّ ، فلا تطلعنّ عليه صديقك . واعرف قدرك يستقل أمرك ، وكفى ما مضى مخبرا عمّا بقى !

٤٢ — لا تَعِدَنّ عِدَةً تحقّرها قــوة الثقة بنفسك ، ولا يغرنّك المرتقى السّهل إذا كان المنحدر وَعْراً .

٤٣ — اتق المواقف على تركن للأعمال حزما وأخرا ، واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها .

٤٤ — مَن استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأى ، ومَن أخطأته وجوه المطالب خذلته الحِيَل ، ومن أخلّ بالصبر أخلّ به حسنُ العاقبة ؛ فإنّ الصبر قوة من قوى العقل ؛ وبقدر موادّ العقل وقوتها يَقوَى الصبر .

٤٥ — اخطأ فى إعطاء من لا ينتهى ، ومنع من ينتهى واحد .

٤٦ — العِشْقُ مَرَضٌ ليس فيه أجرٌ ولا عِوَضٌ

٤٧ — أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وقائل كلمة الزور ومن يمدّ بحبلها فى الإثم سواء .

٤٨ - الخصومة تمحق الدِّين .

٤٩ — الجهاد ثلاثة : جهاد باليد ، وجهاد باللسان ، وجهاد بالقلب ؛ فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ، ثم يصير إلى القلب، فإن كان لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا نُكِس فجعل أعلاه أسفله .

---

(١) أى علاه .

٥٠ — ما أنعم الله على عبد نعمة فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه .

٥١ — الحاجةُ مسألة ، والدُّعاء زيادة ، والحمدُ شكرٌ ، والندم توبة .

٥٢ — لِن وحلمْ تنَل[1] ، ولا تكُنْ معجبا فتمقت وتُمتهن .

٥٣ — مالى أرى الناس إذا قُرِّب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إنارة المصابيح ليبصروا ما يدخِلون بطونهم ، ولا يهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعِلْم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب فى اعتقاداتهم وأعمالهم .

٥٤ — الفقر هو أصل حسنِ سياسة الناس ؛ وذلك أنه إذا كان من حُسن السياسة أن يكون بعض الناس يسوس ، وبعضهم يُساس ، وكان مَنْ يُساس لا يستقيم أن يُساس من غير أن يكون فقيرا محتاجاً ؛ فقد تبيّن أنّ الفقر هو السبب الذى به يقوم حسن السياسة .

٥٥ — لا تتكلمّ بين يدى أحدٍ من الناس دون أن تسمع كلامه[2] ، وتقيس ما فى نفسك من العلم إلى ما فى نفسه ، فإن وجدت ما فى نفسه أكثر ؛ فحينئذ ينبغى لك أن تَرُوم زيادة الشىء الذى به يفضل على ما عندك .

٥٦ — إذا كان اللسان آلة لترجمة ما يخطر فى النفس ؛ فليس ينبغى أن تستعمله فيما لم يخطر فيها .

٥٧ — إذا كانت الآباء هم السبب فى الحياة ، فمعلمو الحكمة والدين هم السبب فى جودتها .

٥٨ — وشكا إليه رجلٌ تعذُّر الرزق ، فقال : مه ، لا تجاهد الرزق جهاد المغالب ، ولا تتكِلْ على القَدَر اتكال المستسلم ؛ فإنّ ابتغاء الفضل من السُّنّة ، والإجمال فى

---

(١) النيل : التعرف والصلة . (٢) د : « قوله » .

الطّلب من العفّة ، وليست العفّة دافعة رزقاً ، ولا الحرصُ جالباً فضلا ؛ لأن الرّزق مقسوم ، وفى شدّة الحرص اكتساب المآثم .

٥٩ — إذا استغنيت عن شىء فدعه ، وخذ ما أنت محتاج إليه

٦٠ — العمر أقصر من أن تعلّم كلّ ما يحسن بك علمه ؛ فتعلّم الأهمّ فالأهمّ .

٦١ — مَنْ رَضِىَ بما قُسِم له استراح قلبُه وبدنه[1] .

٦٢ — أبعد ما يكون العبدُ من الله إذا كان همّه بطنُه وفرْجه .

٦٣ — ليس فى الحواسّ الظاهرة شىء أشرفُ من العَيْن فلا تُعطوها سؤلها[2] ، فيشغلكم عن ذكر الله .

٦٤ — ارحموا ضعفاءكم فالرّحمة لهم سببُ رحمةِ الله لكم .

٦٥ — إزالة الجبال أسهلُ من إزالة دولة قد أقبلتْ ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء .

٦٦ — قال له عثمان فى كلام تلاحَيا فيه حتى جرى ذكْر أبى بكر وعمر : أبو بكر وعمر خيرٌ منك ؛ فقال : أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما، وعبدته بعدهما .

٦٧ — أوثق سُلّم يُتَسَلّق[3] عليه إلى الله تعالى أن يكون خيراً .

٦٨ — ليس المُوسِر مَنْ كان يساره باقياً عنده زماناً يسيراً ، وكان يمكن أن يغتصبه[4] غيره منه ، ولا يبقى بعد موته له ؛ لكن اليَسار على الحقيقة هو الباقى دائماً عند مالكه ، ولا يمكن أن يؤخذ منه ، ويبقى له بعد موته ، وذلك هو الحكمة .

٦٩ — الشّرف اعتقاد المِنن فى أعناق الرّجال[5] .

---

(١) د : « عنه » (٢) ا : « سؤالها » . (٣) تسلق الشىء : علاه

(٤) د : « يقصبه » . (٥) المن : اصطناع المعروف فى أعناق الناس .

٧٠ — يصرع الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، وتكلف حمل ما لا يطاق اتكالا على القوة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر.

٧١ — أحزم الناس مَنْ ملك جِدُّه هزلَه، وقهر رأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعلُه، ولم يخدعه رضاه عن حظه، ولا غضبه عن كيده.

٧٢ — مَنْ لم يُصْلِح خلائقه، لم ينفع الناسَ تأديبُه.

٧٣ — مَن اتّبع هواه ضلّ، ومن جاد ساد، وجحود الذكر أخلق من دميم الذِكْر[1].

٧٤ — طلب الشوق أحسن عملاً من مقاساة ثلاثة

٧٥ — بالرفق تُنال الحاجة، وبحُسْنِ التأنّي تسهل المطالب.

٧٦ — بعزيمة الصبر تطفأ نارُ الهوى، وبنفي العجب يؤمن كيد الحساد.

٧٧ — ما شيء أحقُّ بطولِ سجنٍ من لسان

٧٨ — لا نذرَ في معصيةٍ، ولا يمينَ في قطيعةٍ.

٧٩ — لكلّ شيء ثمرة، وثمرة المعروف تعجيل السَّراح.

٨٠ — إيّاكم والكسل؛ فإنه من كسل لم يؤدّ لله حقًّا.

٨١ — احسبوا كلامكم من أعمالكم، وأقلّوه إلّا في الخير.

٨٢ — أحسِنُوا صحبةَ النِّعم فإنّها تزول، وتشهد على صاحبها بما عمل فيها.

٨٣ — أكثِروا ذكرَ الموتِ، ويوم خروجكم من قبوركم، ويوم وقوفكم بين يدي اللهِ عزّ وجلّ، يهُنْ عليكم المصاب[3].

---

(١) د: «الفكر».
(٢) أي تعجيل سراح طالب المعروف، وهو قضاء حاجته، وورد في الأثر: خير البر عاجله.
(٣) د: «تهن عليكم المصائب».

٨٤ — بحسب مجاهدة النفوس وردّها عن شهواتها ومنعها عن مصافحة [١] لذّاتها ومنع ما أدّت إليه العيون الطامحة من حظاتها تكون المثوبات والعقوبات ؛ والحازم مَنْ ملك هواه ؛ فكان بملكه له قاهراً ؛ ولما قدحت الأفكار من سوء الظنون راجراً ؛ فمتى لم تردّ النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بغاية ماشُعِفت [٢] به ، فعند ذلك تأنس بالآراء الفاسدة ، والأطماع الكاذبة ، والأماني المتلاشية ؛ وكما أنّ البصر إذا اعتلّ [٣] رأى أشباحاً وخيالات لا حقيقة لها ؛ كذلك النفس إذا اعتلّت بحب الشهوات وانطوت على قبيح الإرادات، رأت الآراء الكاذبة ؛ فإلى الله سبحانه نرغب في إصلاح ما فسد من قلوبنا ، وبه نستعين على إرشاد نفوسنا ؛ فإن القلوب بيده يصرّفها كيف شاء [٤] .

٨٥ — لا تؤاخينّ الفاجر ؛ فإنه يزيّن لك فعله ، ويودّ لو أنك مثله ؛ ويحسّن لك أقبح خصاله ، ومدخله ومخرجه من عندك شينٌ وعار ونقص ؛ ولا الأحمق فإنّه يجهد لك نفسه ولا ينفعك ؛ وربما أراد أن ينفعك فضرّك ؛ سكوته خيرٌ لك من نطقه ، وبعده خير لك من قربه ، وموته خير لك من حياته ؛ ولا الكذّاب فإنّه لا ينفعك معه شيء ؛ ينقل حديثك ، وينقل الحديث إليك ؛ حتى إنه ليحدّث بالصّدق فلا يصدّق .

٨٦ — ما استقصى كريم قطّ ، قال تعالى في وصف نبيه : ﴿ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ [٥] .

٨٧ — ربّ كلمة يخترعها حليم مخافة ماهو شرٌّ منها ، وكفى بالحلم ناصراً .

٨٨ — مَنْ جمع ستّ خصال لم يدَع للجنّة مطلبا ، ولا عن النار مهربا : مَنْ عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحقّ فاتبعه ، وعرف الباطل فاتّقاه ، وعرف الدّنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها .

---

(١) ب : « مسافحة » .
(٢) شعفت : رغبت وأغرمت .
(٣) اعتل : أصابته العلة .
(٤) ب : « كيفما شاء » .
(٥) سورة التحريم : ٣

٨٩ — مَن استحيى مِنَ النّاس ولم يستحي مِن نفسه فليس لنفسه عند نفسه قدر .

٩٠ — غايةُ الأدب أنْ يستحيَ الإنسان من نفسه .

٩١ — البلاغة النّصر بالحجّة ، والمعرفة بموضع الفُرْصة ، ومن البَصر[1] بالحجّة أن تَدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذ كان الإفصاح أوعرَ طريقة ، وكانت الكناية أبلغ فى الدَّرك وأحقَّ بالظفر .

٩٢ — إيّاك والشّهوات ؛ وليكن مما تستعين به على كَفّها علمك بأنها ملهية لعقلك ، مهجّنة[2] لرأيك ، شائنة لعرضك ، شاغلة لك عن معالي أمورك ، مشتدّةٌ بها التّبعة عليك فى آخرتك . إنما الشّهوات لعبٌ ؛ فإذا حضر اللّعبُ غاب الجِدّ ، ولن يقام الدّين وتصلحَ الدّنيا إلا بالجدّ ؛ فإذا[3] نازعتْك نفسك إلى اللّهو واللّذات ، فاعلم أنها قد نزعتْ بك إلى شرّ منزع ، وأرادت لك أفضح الفضوح ؛ فغالبْها مغالبة ذلك ، وامتنع منها امتناع ذلك ؛ وليكن مرجعك منها إلى الحقّ ؛ فإنك مهما تتركْ من الحق لا تتركْه إلّا إلى الباطل ، ومهما تدَعْ من الصواب لا تدَعْه إلا إلى الخطأ ؛ فلا تداهنَنّ هواك فى اليسير فيطمع منك فى الكثير .

وليس شىء مما أوتيت فاضلا عمّا يصلحك ؛ وليس لِأمْرك وإن طال فضل عمّا ينوبك من الحقّ اللازم لك ، ولا لمالك وإن كثر فضل عمّا يجب عليك فيه ، ولا لقوّتك وإن تمّتْ فضلٌ عن أداء حقّ الله عليك ، ولا لرأيك وإن حَزُمَ فضل عمّا لا تُعْذَرُ بالخطأ فيه ؛ فليمنعْك علمك بذلك مِنْ أن تطيش لك عزماً فى غير نفع ، أو تضيّعَ لك مالًا فى غير حقّ ، أو أن تصرف لك قوة فى غير عبادة ، أو تعدّل لك رأيا فى غير رشد .

---

(١) كذا فى د ، وفى ا ، ب : « النصر » تحريف .

(٢) مهجنة : مقبحة . (٣) د : « وإن » .

فالحفظَ الحفظَ لما أوتيتَ ، فإنّ بك إلى صغيرِ ما أوتيتَ الكثيرَ منه أشدُّ الحاجة .

وعليك بما أصبته منه أشدُّ التربة ؛ ولا سيما العمر الذى كل متعذرٍ سواه مستخلَف ، وكلّ ذاهب بعده مرتجع .

فإن كنت شاغلا نفسك بلذّة فتمكن لذتك فى محادثة العلماء ودرس كتبهم ، فإنه ليس سرورك بالشهوات بلغاً منك مبلغا إلا وإكبابك على ذلك ، ونظرُك فيه بالغه منك ، غير أنّ ذلك يجمعُ إلى عاجل السُّرور تمامَ الستمادة ، وخلافُ ذلك يجمع إلى عاجل الغىَ وخامةَ العاقبة ؛ وقديما قيل : أسعدُ الناس أدركُهم لهواه إذا كان هواه فى رشده ؛ فإذا كان هواه فى غير رشده ، فقد شقِىَ بما أدرك منه . وقديما قيل : عوِّدْ نفسك الجميلَ ؛ فباعتيادك إياه يعود لذيذاً .

٩٣ — وُكِّلَ ثلاثٌ بثلاث : الرزق بالحمق ، والحرمان بالعقل ، والبلاء بالمنطق . ليعلمَ ابنُ آدم أنْ ليسَ له مِنَ الأمر شىء .

٩٤ — ثلاثةٌ إن لم تَظلمهم ظلمُوك : عبدُك ، وزوجتك ، وابنك .

وقد روينا هذه الكلمة لعُمر فيما تقدم [1] .

٩٥ — للمنافقين علاماتٌ يعرفون بها : تحيّتهم لعنة ، وطعامهم نُهْبَة ، وغنيمتهم غلول ، لا يعرفون المساجد إلا هَجْرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دَبْرا [2] ؛ مستكبرون لا يألفون ولا يُؤْلَفون ، خُشُبٌ بالليل ، صُخُبٌ [3] بالنهار .

---

(١) ا : « فيما سبق » .　　　(٢) دبرا ، أى فى آخر وقتها

(٣) فى اللسان : « وفى الحديث فى ذكر المنافقين « خشب بالليل ، صخب بالنهار » ؛ أراد أنهم ينامون كأنهم خشب مطرحة » .

٩٦ - الحَسَدَ حُزْنٌ لازِمٌ ، وعَقْلٌ هائمٌ ، ونَفَسٌ دائمٌ ؛ والنعمة على المحسود نعمة ، وهى على الحاسد نِقْمَة .

٩٧ — ياحَمَلة العلم ، أعملوا به ! فإنّمـا العِلْمُ لمن عَلِمَ ثم عَمِل ؛ ووافق عملُه علمَه ، وسيكون أقوامٌ يحملون العِلْم ، لا يجاوز تراقيَهم ، تخالف سريرتُهم علانيتَهم ، ويخالف علمُهم عِمَلَهم ، يقعدون حَلَقا ، فيباهى بعضُهم بعضا ؛ حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ؛ أولئك لا تصعد أعمالهم فى مجالسهم تلك إلى الله سبحانه .

٩٨ — تعلَّموا العلم صِغاراً تسودُوا به كِباراً ؛ تعلموا العلم ولو لغير الله ؛ فإنه سيصير لله . العلم ذَكَرٌ لا يحبه إلا ذُكُورٌ من الرجال .

٩٩ — ليس شيء أحسن من عَقْلٍ زانَه علم ، ومن عِلْمٍ زانه حِلْم ، ومن حِلْمٍ زانه صِدْق ، ومن صدق زانه رفق ، ومن رِفْقٍ زانه تقوى . إنّ مِلاكَ العقل ومكارم الأخلاق صونُ العِرْض ، والجزاء بالفرض ، والأخذ بالفضل ، والوفاء بالعهد ، والإنجاز للوعد . ومَنْ حاول أمراً بالمعصية كان أقربَ إلى مايخاف ، وأبعد مما يرجو .

١٠٠ — إذا جرت المقاديرُ بالمكارِه سبقت الآفة إلى العَقْل فحيَّرته ، وأطلقت الألسن بما فيه تلف الأنفس .

١٠١ — لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمنّون عليكم بالسلامة منهم .

١٠٢ — لا تقسِروا أولادكم على آدابكم ، فإنهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم .

١٠٣ — لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويدَه ؛ فإنّ الناس لا يسألون فى كم فَرَغ من العمل ، إنما يسألون عن جودةِ صنعته .

١٠٤ — ليس كلُّ ذى عينٍ يُبْصِر ، ولا كلُّ ذى أُذنٍ يَسْمَع ، فتصدّقُوا على أولى العقول الزَّمِنة[1] ، والألباب الحائرة بالعلوم التى هى أفضل صدقاتكم ، ثم تلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

(١) الزمانة : العاهة .

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ ﴾ (١) .

١٠٥ — مَنْ أَتَتْ عليه الأربعون من السنين قيل له : خذ حذرك من حلول المقدور فإنك غير معذور ؛ وليس أبناء الأربعين بأحق بالحذر من أبناء العشرين ؛ فإن طالبهما واحد ، وليس عن الطلب براقد ؛ وهو الموت ؛ فاعمل لما أمامك من الهول ، ودع عنك زخرف القول .

١٠٦ — سُئل عن القدر فقال : أقصر أم أطيل ؟ قيل : بل تقصر ، فقال : جل الله أن يريد الفحشاء ، وعز عن أن يكون له في ملكه إلا ما يشاء .

١٠٧ — مَنْ علم أنه يفارق الأحباب ، ويسكن التراب ، ويواجه الحساب ، ويستغني عما ترك ، ويفتقر إلى ما قدم ، كان حريًّا بقصر الأمل ، وطول العمل .

١٠٨ — المؤمن لا تحيله كثرة المصائب ، وتواتر النوائب عن التسليم لربه والرضا بقضائه ، كالحمامة التي تؤخذ فراخها من وكرها ثم تعود إليه .

١٠٩ — ما مات مَنْ أحيا علمًا ، ولا افتقر مَنْ ملك فهمًا .

١١٠ — العلم صبغ النفس ، وليس يفوق صبغ الشيء حتى ينظف من كل دنس .

١١١ — اعلم أن الذي مدحك بما ليس فيك ، إنما هو مخاطب غيرك ، وثوابه وجزاؤه قد سقطا عنك .

١١٢ — إحسانك إلى الحر يحركه على المكافأة ، وإحسانك إلى النذل يبعثه على معاودة المسألة .

---

(١) سورة البقرة ١٥٩

١١٣ — الأشرار يتتبّعون مساوئ الناس ، ويتركون محاسنهم ؛ كما يتتبّع الذّبابُ المواضعَ الفاسدة .

١١٤ — موت الرؤساء أسهل من رياسة السِّفلة .

١١٥ — ينبغي لمن وَلِيَ أمرَ قومٍ أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيّته ؛ وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظِلِّ العود قبل أن يستقيم ذَلِكَ العُود .

١١٦ — إذا قوى الوالى فى عمله حرّكتْهُ ولايته على حسب ما هو مركوز فى طبعه من الخير والشرّ .

١١٧ — ينبغى للوالى أن يعمل خصالٍ ثلاث : تأخيرِ العقوبة منه فى سلطان الغضب ، والأناةِ فيما يرتئيه[1] من رأى ، وتعجيلِ مكافأة المحسن بالإحسانِ ؛ فإنّ فى تأخير العقوبة إمكان العفوِ ، وفى تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعيّة ، وفى الأناة انفساحَ الرأى وحَمْدَ العاقبة وَوضُوحَ الصواب .

١١٨ — من حقّ العالم على المتعلّم ألاّ يُكثِرَ عليه السؤالَ ، ولا يُعَنِّتَهُ فى الجواب ، ولا يُلِحَّ عليه إذا كسل ، ولا يُفشِيَ له سرّاً ، ولا يغتاب عنده أحداً ، ولا يطلبَ عَثْرَتَهُ ، فإذا زلّ تأنّيتَ أوبَتَهُ ، وقبلتَ معذرته ، وأنْ تُعظِّمَهُ وتُوقِّرَهُ ما حَفِظَ أمرَ اللهِ وعظّمه ، وألاّ تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقتَ غيرَكَ إلى خدمته فيها ، ولا تضجرنّ من صحبته ؛ فإنما هو بمنزلةِ النخلة يُنتظر متى يسقط عليك منها منفعةٌ ، وخصّه بالتحية ، واحفظ شاهده وغائبه ؛ وليكن ذلك كله لله عزّ وجلّ ، فإنّ العالِمَ أفضلُ من الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله . وإذا مات العالم ثُلِمَ فى الإسلام ثُلمة لا يسدّها إلّا خَلَفٌ منه . وطالبُ العلمِ تُشيِّعهُ الملائكة حتى يرجع .

---

(١) يرتئيه : افتعال من الرأى ، أى فيما يفكر فيه ، وفى د . ط : « يسنه » .

١١٩ — وَصُولٌ مُعْدِمٌ خيرٌ من جافٍ[1] مُكْثِرٍ ، ومن أرادَ أنْ ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عنده.

١٢٠ — لقد سبق إلى جنّات عدنٍ أقوامٌ ما كانوا أكثرَ الناسِ صلاةً ولا صياما ولا حجًّا ولا اعتماراً ؛ ولـكن عقَلُوا عن الله أمرَه فحسنت طاعتهم ، وصحّ ورعهم وكَمُلَ يقينهم ؛ ففاقوا غيرهم بالحظوةِ ورَفيعِ المنزلة .

١٢١ — ما من عَبْـدٍ إلا ومعـه ملَكٌ يقيه ما لم يُقَدَّرْ له ، فإذا جاء القدرَ خَلّاهُ وإياهُ .

١٢٢ — إنّ الله سبحانه أدّبَ نبيَّهُ صلّى الله عليه وآله بقوله : ﴿ خُذِ العَفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الجاهلينَ ﴾[2] ، فلما علم أنه قد تأدّبَ ، قال له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[3]، فلما استحكم له من رسوله ما أحبّ قال : ﴿ وما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا ﴾[4]

١٢٣ — كنت أنا والعباس وعمر نتذاكر المعروفَ ، فقلت أنا : خير المعروفِ سَتْرُهُ ، وقال العباسُ : خيرُهُ تصغيرُهُ ، وقال عمر : خيرُهُ تعجيلُهُ ، فخرج علينا رسول الله ، فقال : فيمَ أنتم ؟ فذكرنا له ، فقال : خيرُهُ أن يكونَ هذا كلُّه فيه .

١٢٤ — العفوُ يفسد من اللئيم بقدْرِ ما يصلح من الكريم .

١٢٥ — إذا خَبُثَ الزمانُ كسَدَتِ الفضائلُ وضَرّتْ ، ونَفَقَتِ الرذائلُ ونفعتْ ، وكانَ خوفُ الموسرِ أشدَّ من خوف المعسرِ .

١٣٦ — انظرْ إلى المُتَمَصِّحِ[5] إليك ، فإن دخل من حَيْثُ يَضارُّ الناسَ فلا تقبل

---

(١) الوصول : فعول ؛ من الصلة ، وهي العطية ، والجافي ضد الوصول .

(٢) سورة البقرة ٦٧   (٣) سورة القلم ٤

(٤) سورة الأعراف ١٩٩   (٥) التمصح : التشبه بالنصحاء .

نصيحته وتحرَّز منه ، وَإن دَخل من حيث العَدْلُ والصلاح فاقبلها منه .

١٢٧ — أعداء الرَّجل قد يكونُون أنفعَ منْ إخوَانه ، لأنهمْ يهدونَ إليه عيوبه فيتجنّبها ويخاف شماتتهمْ به فيضبط نعمته ويتحرَّزُ من زوالها بغاية طوقه .

١٢٨ — المِرآةُ التى ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هى النّاس ، لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ، ومساويه من أعدائه فيهم .

١٢٩ — انظرْ وجهكَ كلَّ وقت فى المِرآةِ ؛ فإن كان حسناً فاستقبح أن تضيف إليه عملا قبيحاً وتشينه به ، وإن كان قبيحاً فاستقبح أن تَجمع بين قُبحيْن .

١٣٠ — موقع الصواب من الجهّال مثل موقع الخطأ من العقلاء .

١٣١ — ذكِّ قلبك بالأدَب كما تذكَّى النار بالحطب .

١٣٢ — كفر النعمة لؤمٌ ، وصحبة الجاهل شؤمٌ .

١٣٣ — عاديت من ماريت .

١٣٤ — لا تصرمْ [١] أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب .

١٣٥ — خير المقال ما صدّقه الفعال .

١٣٦ — إذا لم تُرزقْ غِنًى فلا تُحرَمَنَّ تقوى .

١٣٧ — مَنْ عرَفَ الدنيا لم يحزن للبلوى

١٣٨ — دَعِ الكذبَ تَكَرُّماً إن لمْ تَدَعْهُ تأثُّماً .

١٣٩ — الدُّنيا طوّاحة طرّاحة فضّاحةٌ ، آسيَةٌ جَرّاحةٌ .

١٤٠ — الدنيا جَمّةُ المصائب ، مُرَّةُ المشرب ، لا تُمتّع صاحباً بصاحب .

١٤١ — المعتذر من غير ذنب يوجب على نفسه الذنب .

---

(١) لا تصرم : لا تقطع ، أى لا تهجره لمجرد التهمة ، غير متيقن تقصيره .

١٤٢ — من كسل لم يؤدِّ حقًا .

١٤٣ — كثرة الجدال تورثُ الشكَّ .

١٤٤ — خير القلوب أوعاها .

١٤٥ — الحياء لباس سابغٌ ، وحجابٌ مانعٌ ، وسترٌ من المساوى واقٍ ، وحليفٌ للدِّين ، وموجبٌ للمحبة ، وعينٌ كالئة تذودُ عن الفساد ، وتنهى عن الفحشاء . والعجلة فى الأمور مَكْسَبَةٌ للمذمة ، ومجلبةٌ للندامة ، وسَلْبٌ للمُروءة ، وشَيْنٌ للحِجَى ؛ ودليلٌ على ضَعف العقيدة .

١٤٦ — إذا سعى المرء من الدُّنيا فوق قدره ، تنكَّرت للناس أخلاقُه .

١٤٧ — لا تصحب الشرِّيرَ فإن طبعك يسرق من طبعه شرًّا وأنت لا تعلم .

١٤٨ — موتُ الصالح راحة لنفسه ، وموت الطالح راحة للناس .

١٤٩ — ينبغى للعاقل أن يتذكَّر عند حلاوة الغذاء مرارة الدواء .

١٥٠ — إن حَسَدَكَ أخٌ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى فى مكروهك فلا تقابله بمثل ما كان منه فتعذر نفسه فى الإساءة إليك ، وتشرع له طريقا إلى ما يُحبُّهُ فيك ؛ لكن اجتهدْ فى التزيُّد من تلك الفضيلة التى حَسَدَكَ عليها ؛ فإنك تسوءُهُ من غير أن تُوجِدَهُ حجةً عليك .

١٥١ — إذا أردت أن تعرف طبع الرَّجل فاستشِرْهُ ، فإنك تقف من مشورته على عدله وجَوْرِه ، وخَيْرِه وشَرِّه .

١٥٢ — يجبُ عليكَ أن تُشفِقَ على وَلَدِكَ أكثر من إشفاقه عليك .

١٥٣ — زمان الجائر من السلاطين والولاة أقصرُ من زمان العادلِ ، لأنّ الجائر مفسد ، والعادلَ مصلح ، وإفساد الشىء أسرع من إصلاحه .

١٥٤ — إذا خدمتَ دنيّاً فلا تلبَسْ مثلَ ثوبه، ولا تركب مثل مَرْكوبه، ولا تستخدم كخدمه، فحسبُك تسلَمْ منه.

١٥٥ — لا تُحدِّثْ بالعلم السفهاء فيُكذِّبوك، ولا الجهال فيَستثقلوكَ، ولكن حَدِّثْ بهِ مَنْ يتلقّاهُ من أهله بقبولٍ وفهمٍ يفهم عنكَ ما تقول، ويكتم عليك ما سمع؛ فإنَّ لعلمِك عليك حقّاً؛ كما أنّ عليك في مالك حقّاً: بَذْلُهُ لمستحقه، ومنْعُهُ عَنْ غيرِ مستحقِّه.

١٥٦ — اليقين فوق الإيمان، والصبر فوق اليقين؛ ومن أفرط رَجاؤه عاثت الأماني على قلبه واستعبدَتْهُ.

١٥٧ — إياكَ وصاحبَ السوء؛ فإنهُ كالسيف المسلول يروق منظرُهُ، ويقبح أثرُهُ.

١٥٨ — يابن آدم، احذرِ الموْتَ في هذه الدَّارِ قبل أنْ تصيرَ إلى دارٍ تتمنَّى الموتَ فيها فلا تجدُهُ.

١٥٩ — مَنْ أخطأه سهم المنيَّة قيَّدهُ الهَرَمُ.

١٦٠ — مَنْ سمعَ بفاحشةٍ فأفشاها كان كمَنْ أتاها.

١٦١ — العاقل من اتَّهَمَ رأيَهُ ولمْ يثقْ بما سوَّلَتْهُ له نفسُهُ.

١٦٢ — مَنْ سامح نفسه فيما يحبّ أتعبها فيما لا يحبّ.

١٦٣ — كن ماضياً مُعْتبِراً بمَنْ بَقِي، وكنْ عِبرةً لذوي الألباب ممن جرّبُوا.

١٦٤ — أمرٌ لا تدري متى يغشاكَ، ما يمنعك أنْ تستعدَّ له قبل أن يفجأك!

١٦٥ — ليس في البرق الخاطف مُستَمتَع[1] لمن يخوض في الظلمة .

١٦٦ — إذا أعجَبَكَ ما يتواصَفهُ النَّاسُ مِنْ محاسِنِكَ ، فانظُرْ فيما بطن من مَساويكَ ؛ ولتَكُنْ معرفتُكَ بنفسِكَ أوثقَ عِندَكَ مِنْ مَدحِ المادِحين لك .

١٦٧ — مَنْ مدحك بما ليس فيكَ من الجميل وهُو راضٍ عنك ذمَّك بما ليسَ فيكَ مِنَ القَبيح وهو ساخِطٌ عليكَ .

١٦٨ — إذا أشبَهَ صاحِبُ رأيٍ بالمُخصبين في الهيئة كان مثلَ الوارِمِ الذي يوهمُ النَّاسَ أنهُ سمينٌ ؛ فيظُنُّ النَّاسُ ذلكَ فيه وهُو يستر ما يلقى مِنَ الألمِ التَّابع للوَرَم .

١٦٩ — إذا قويتْ نفسُ الإنسانِ انقطَعَ إلى الرأى ، وإذا ضعفتْ انقطعَ إلى البَخت .

١٧٠ — الرفعة إلى الكريم تحرِّكهُ على البذلِ ، وإلى الخسيسِ[2] تغريه بالمَنع .

١٧١ — خيارُ النَّاسِ يترفَّعُون عن ذِكْرِ معايبِ النَّاسِ ، ويتهمُونَ المُخبِرَ بها ، ويأثُرُونَ[3] الفضائل ، ويتعصَّبُونَ لأهلِها ، ويتعرضُونَ مآثِرَ الرُّؤساء وإفضالهمْ عليهم ، ويطالبُون أنفسهمْ بمكافأتِهم عليها وحُسْنِ الرِّعايةِ لَها .

١٧٢ — لِكلِّ شيءٍ قُوتٌ ، وللتُّرابِ قوتُ الحوامِّ ؛ ومَنْ مشى على ظهر الأرض فإنَّ مصيرَهُ إلى بطنها .

١٧٣ — مِنْ كرم المرء بكاؤُهُ على ما مضى مِنْ زَمانِهِ ، وحنينُهُ إلى أوطانه ، وحفظُهُ قديمَ إخوانِهِ .

---

(١) مستمتع : موضع متعة (٢) الخسيس : اللئيم البعيد عن مكارم الأخلاق
(٣) يأثرون الفضائل : يتناقلونها

١٧٤ — وَمِنْ دُعائِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا قد قَصَّرْنا عن بُلوغِ طاعتِكَ فقد تَمسَّكْنا مِنَ طاعتكَ بأَحبِّها إليكَ، لا إلهَ إلّا أنتَ جاءتْ بالحقِّ مِنْ عِنْدِكَ.

١٧٥ — أصابَتِ الدُّنيا مَنْ أَمِنَها وأصابَ الدُّنيا مَنْ حَذِرَها.

١٧٦ — ووَقَفَ على قومٍ أُصيبُوا بمصيبةٍ ، فقال : إنْ تجزَعُوا فحقُّ الرَّحِمِ بلغتُمْ ، وإنْ تصبِرُوا فحقُّ اللهِ أدَّيتُمْ .

١٧٧ — مَكارِمُ الأَخلاقِ عَشْرُ خِصالٍ : السَّخاء، والحياء ، والصِّدْقُ ، وأداءُ الأمانةِ ، والتَّواضعُ ، والغَيْرةُ ، والشجاعةُ ، والحِلْمُ ، والصبْرُ ، والشكرُ .

١٧٨ — مِنْ أداءِ الأمانةِ المكافأةُ على الصَّنيعةِ لأنَّها كالوَديعةِ عِنْدَكَ .

١٧٩ — الخيِّرُ النَّفْسِ تكونُ لحركتُهُ في الخيرِ عليهِ سَهلةً مُتيسرةً ، والحركةُ في الإضرارِ عَسِرةً بَطيئةً ، والشرِّيرُ بالضدِّ مِنْ ذلكَ .

١٨٠ — البُخلاءُ مِنَ النَّاسِ يكونُ تغافلهم عن عظيمِ الجُرْمِ أسهلَ عليهِمْ مِنَ المكافأةِ على يَسيرِ الإحسانِ .

١٨١ — مثلُ الإنسانِ الحصيفِ[1] مثلُ جسمِ الصلبِ الكثيفِ ، يَسْخُنُ بطيئاً ، ويَبرُدُ تلكَ السخونةَ بأطولَ مِنْ ذلكَ زمانٍ .

١٨٢ — ثلاثةٌ يُرحَمونَ : عاقلٌ يجري عليهِ حُكمُ جاهلٍ ، وضعيفٌ في يدِ ظالمٍ قويٍّ ، وكريمُ قومٍ احتاجَ إلى لئيمٍ .

١٨٣ — مَنْ صحبَ السلطانَ وجبَ أنْ يكونَ معهُ كراكبِ البحرِ ، إنْ سَلِمَ بجسمه مِنَ الغَرَقِ لمْ يسلمْ بقلبه مِنَ الفَرَقِ[2] .

---

(١) الحصيف : المحكم من عمله ، المستحكم عقله .

(٢) الفرق : الخوف .

١٨٤ — لا تقلّدنّ في استعمالِ عمّالك وأمرائك شفاعةً إلّا شفاعةَ الكفايةِ والأمانةِ .

١٨٥ — إذا استشارك عدوُّك فجرّدْ له النصيحةَ ؛ لأنه باستشارتك قد خرجَ من عداوتك ودخلَ في مودّتك .

١٨٦ — العدلُ صورةٌ واحدة ، والجورُ صورٌ كثيرة ؛ ولهذا سهلَ ارتكابُ الجورِ وصعبَ تحرّي العدلِ ؛ وهما يشبهانِ الإصابةَ في الرِّمايةِ والخطأَ فيها ؛ وإنّ الإصابةَ تحتاجُ إلى ارتياضٍ[1] وتعهّدٍ ، والخطأُ لا يحتاجُ إلى شيءٍ من ذلك .

١٨٧ — لا يخطئُ العصفورُ في الدعاء إحدى ثلاث : دعوة بمعروف ، أو خيرٍ بمحتلٍ ، أو شرٍّ يؤجّلُ .

١٨٨ — لا ينتصفُ ثلاثةٌ من ثلاثةٍ : برٌّ من فاجرٍ ، وعاقلٌ من جاهلٍ ، وكريمٌ من لئيمٍ .

١٨٩ — أشرفُ الملوكِ من لم يخالطْهُ البطرُ ، ولم يحلْ عن الحقّ ، وأغنى الأغنياء من لم يكنْ للحرصِ أسيراً ؛ وخيرُ الأصدقاء من لم يكنْ على إخوانِه مستصعباً ، وخيرُ الأخلاقِ أعونُها على الدّقِ والورَعِ .

١٩٠ — أربعٌ القليلُ منهنّ كثيرٌ : النارُ ، والعداوةُ ، والمرضُ ، والفقرُ .

١٩١ — أربعةٌ من الشقاء : جارُ السوءِ ، وولدُ السوءِ ، وامرأةُ السوءِ ، والمنزلُ الضيّقُ .

١٩٢ — أربعة تدعو إلى الجنةِ : كتمانُ المصيبةِ ، وكتمانُ الصدقةِ ، وبرُّ الوالدينِ والإكثار من قول لا إله إلا الله .

---

(١) ارتياض : مران .

١٩٣ — لا تصحب الجاهل؛ فإن فيه خصالاً، فاعرفوه بها: يغضب من غير غضب، ويتكلم في غير نفع، ويعطي في غير موضع الإعطاء، ولا يعرف صديقه من عدوه، ويفشي سره إلى كل أحد.

١٩٤ — إياك ومواقف الاعتذار؛ فرب عذر أثبت الحجة على صاحبه وإن كان بريئاً.

١٩٥ — الصراط ميدان يكثر فيه العثار، فالسالم ناجٍ، والعاثر هالك.

١٩٦ — لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل.

١٩٧ — إن لله عباداً في الأرض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم، اليقين وأنواره لامعة على وجوههم، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأنفسهم عفيفة، وحوائجهم خفيفة؛ صبروا أياماً قليلة لراحة طويلة، أما الليل فصافون أقدامهم[1]، تجري دموعهم على خدودهم، يجأرون[2] إلى الله سبحانه في رقابهم؛ قد حلا في أفواههم وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيذ الخلوة به؛ قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثنهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده؛ وأما نهارهم فحلماء علماء، بررة أتقياء، كالقداح ينظر إليهم الناظر فيقول: مرضى! وما بالقوم من مرض، أو يقول: قد خولطوا؛ ولعمري لقد خالطهم أمر عظيم جليل.

١٩٨ — عاتبه عثمان وأكثر وهو ساكت، فقال: ما لك لا تقول! قال: إن قلت لم أقل إلا ما تكرهه، وليس لك عندي إلا ما تحب.

١٩٩ — مُنيتُ في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة، وأكثر الخلق ثروة وبذلاً، وأعظم الخلائق في الخلق طاعة، وأوفى الخلق كيداً ومكراً[3]، مُنيتُ بالزبير، لم يرد وجهه قط،

(١) صافون أقدامهم: كناية عن كونهم مصلين. (٢) جأر الرجل إلى الله: تضرع.
(٣) أ — «ومكراً».

ويعلى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطى كلّ رجل ثلاثين دينارا وفرساً على أنْ يقاتلني ، وبعائشة ماقالت قطّ بيدها هكذا إلا واتّبعها الناس ، وبطلحة لا يُدرَكُ غوره [1] ، ولا يُطال مكره .

٢٠٠ — بعث عثمان بن حُنيف إلى طلحة والزبير ، فعاد فقال : يا أميرَ المؤمنين ، جئتك بالخيبةِ ، فقال : كلاّ ! أصبت خيراً وأُجرت ، ثم قال : إن من العجب انقيادهما لأبي بكر وعمر وخلافهما عليّ ! أما والله إنهما ليعلمان أني لستُ بدون واحدٍ منهما ، اللهم عليك بهما .

٢٠١ — الرزق مقسومٌ ، والأيامُ دوَلٌ ، والناسُ شَرَعٌ [2] سواء : آدم أبوهم ، وحوّاء أمهم .

٢٠٢ — قوتُ الأجسام الغذاء ، وقوت العقول الحكمة ، فمتى فقدَ واحد منهما قوته بار واضمحلّ .

٢٠٣ — الصبر على مشقة العبادة [3] يرقى بك إلى شرف الفوز الأكبر .

٢٠٤ — الروحُ حياة البدن والعقل حياة الروح .

٢٠٥ — حقيق بالإنسان [4] أن يخشى الله بالغيب ، ويحرس نفسه من العيب ، ويزداد خيراً مع الشيب .

٢٠٦ — أفضلُ الوُلاة من بقى بالعدل ذكرُه ، واستمدّه من يأتي بعده .

٢٠٧ — قدّم العدل على البطش تظفر بالمحبّة ، ولا تستعمل الفعال حيث ينجعُ [5] القول .

---

(١) يقال : فلان لا يدرك غوره ، إذا كان عميقه بعيداً ، والمراد هنا أنه لا يعرف ما في أعماق نفسه .

(٢) شرع ، أي متساوون .

(٣) د : « العبادة »

(٤) ب : « بالإنسان » : تحريف

(٥) ينجع : ينفع .

٢٠٨ — البخيلُ يسخو من عِرضه بمقدار ما يبخل به من ماله ، والسخيُّ يبخل من عِرضه بمقدار ما يسخو به من ماله .

٢٠٩ — فُضِّلَ العقلُ على الهوى ، لأنّ العقل يُمَلِّكُكَ الزمان ، والهوى يستعبدك للزمان .

٢١٠ — كل حادث عليه الحرّ احتمله ورآه زيادة في شرفه ، إلا ما حطه جزءا[1] من حريته ، فإنه يأباه ولا يجيب إليه .

٢١١ — إذا سمحَ اللئيمُ البِرّ مع إعظامه حقك، كان أحسن من بذل السخيِّ لك إياه مع الاستخفاف بك .

٢١٢ — الملكُ كالنهر العظيم، تستمدُّ منه الجداول . فإنْ كان عذباً عذبتْ ، وإنْ كان ملحاً ملحتْ .

٢١٣ — الفرق بين السخاء والتبذير ، أنّ السخيّ يسمح بما يعرف مقداره ومقدار الرغبة فيه إليه ، ويضعه بحيث يحسن وضعه ، ويزكو عارفه ، والمبذِّر يسمح بما لا يوازنُ به رغبة الراغب ، ولا حقّ القاصد ؛ ولا مقدار ما أولى ، ويستفزُّه[2] لذلك حمارةٌ من خطراته ، والتصدّي لإطراء مُطْرٍ له بينهما بونٌ بعيد .

٢١٤ — لا تُلاجَّ الغضبان ؛ فإنكَ تقلقه[3] باللجاج ، ولا تردّه إلى الصواب .

٢١٥ — لا تفرح بسقطة غيرك ، فإنك لا تدرى ما تتصرّف الأيام بك .

٢١٦ — قليل العلم إذا وقر في القلب كالطَّلّ يصيب الأرض المطمئنة فتعشب .

٢١٧ — مثلُ المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترُجّة ريحُها طيّب ، وطعمُها

---

(١) ما : « جزاء » ؟
(٢) استفزه : أخرجه .
(٣) تقلقه : تحركه .

طيّب ؛ ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيّب وطعمها مُرٌّ ، ومثل الفاجرِ الذى لا يقرأ القرآن مثلُ الحنظلة طعمه مُرٌّ ولا ريح لها .

٢١٨ — المؤمن إذا نظر عتبر ، وإذا سكتَ تفكّرَ ، وإذا تكلم ذكّرَ ، وإذا استغنى شكر ، وإذ أصابته شدة صبر ، فهو قريب الرضا ، بعيد السخط ؛ يرضيه عن الله اليسير ، ولا يسخطه البلاء الكثير ؛ قوّته لا تبلغ به ، ونيّته تبلغ ، مغموسة فى الخير يدهُ ، ينوى كثيرٌ منَ الخيرِ ، ويعملُ بطائفةٍ منهُ ، ويتلهفُ على ما فاته منَ الخيرِ كيف لم يعمل بهِ !

والمنافقُ إذا نظرَ لها ، وإذ سكتَ سها ، وإذ تكلّمَ لغا ، وإذا أصابهُ شدّةٌ شكا ؛ فهوَ قريبُ السخطِ بعيدُ الرضا ؛ يُسخطه على الله اليسيرُ ، ولا يُرضيهِ الكثيرُ ، قوّتهُ تبلغُ ، ونيّتهُ لا تبلغُ ، مغموسةٌ فى الشرِّ يدهُ ، ينوى كثيراً منَ الشرِّ ، ويعملُ بطائفةٍ منه ويتلهفُ على ما فاتَهُ منَ الشرِّ كيفَ لم يقدرْ بهِ ، وكيفَ لم يعملْ به !

على لسانِ المؤمنِ نورٌ يسطعُ ، وعلى لسانِ المنافقِ شيطانٌ ينطقُ

٢١٩ — سوء الظنِّ يُدوى [1] القلوبَ ، ويتّهمُ المأمونَ ، ويوحشُ المستأنسَ ، ويُغيّرُ مودّةَ الإخوانِ .

٢٢٠ — إذا لم يكن فى الدُّنيا إلا محتاجٌ فعلى الناسِ أنفسُهم بما رُزِق .

٢٢١ — قيل لهُ : إنْ درعَكَ صدرٌ لا ظهرَ له ، إنّى أخاف أنْ تؤتَى منْ قِبلِ ظهرِكَ ، فقال : إذا ولّيتُ فلا وألتُ [2] .

٢٢٢ — أشدُّ الأشياءِ الإنسانُ ، لأنَّ أشدَّها — فيما يُرى — الجبلُ ، والحديد

---

(١) يدوى : يصيبه بالداء . والدوى : المرض ، وأدوية : أمرضه .

(٢) وألَ : خلص ونجا

يَنحتُ الجبلَ، والذَّرُّ تأكلُ الحديدَ، والماءُ يُطفئ النارَ، والسحابُ يَحمِلُ الماءَ، والرِّيحُ يُفرِّقُ السحابَ، والإنسانُ يتّقي من الرِّيحِ.

٢٢٣ — إنَّما الناسُ في نَفَسٍ معدودٍ، وأمَلٍ ممدودٍ، وأجَلٍ محدودٍ، فلابدَّ للأجلِ أنْ يتناهى، وللنَّفَسِ أنْ يُحصَى، وللأمَلِ أنْ ينقضيَ، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [1].

٢٢٤ — اللهمَّ لا تجعل الدُّنيا لي سِجناً، ولا فراقَها عليَّ حزناً؛ أعوذُ بكَ من دُنيا تحرِمُني الآخرةَ، ومِنْ أملٍ يحرِمُني العملَ، ومِنْ حياةٍ تحرِمُني خيرَ المماتِ.

٢٢٥ — تعطَّروا بالاستغفارِ لا تفضحكُمْ روائحُ الذنوبِ.

٢٢٦ — للمُشكلاتِ غاياتٌ تنتهي إليها، ودواؤها الصبرُ عليها وتركُ الحيلةِ في زوالها؛ فإنَّ الحيلةَ في إزالتها قبلَ انقضاءِ مدّتها سببٌ لزيادتها.

٢٢٧ — لا يرضى عنكَ الحاسدُ حتى يموتَ أحدُكما.

٢٢٨ — لا يكونُ الرَّجلُ سيِّدَ قومِهِ حتى لا يُبالي أيَّ ثوبَيْهِ لَبِسَ.

٢٢٩ — كتبَ إلى عاملٍ له: اعملْ بالحقِّ ليومٍ لا يُقضى فيه إلا بالحقِّ.

٢٣٠ — نظرَ إلى رجلٍ يغتابُ آخرَ عندَ ابنه الحسن، فقال: يا بنيَّ نزِّهْ سمعكَ عنه؛ فإنه نظرَ إلى أخبثِ ما في وعائه فأفرغَهُ في وعائكَ.

٢٣١ — احذروا الكلامَ في مجالسِ الخوفِ، فإنَّ الخوفَ يُذهِلُ العقلَ الذي منه تستمدُّ وتشغلُه حراسةُ النفسِ عن حراسةِ المذهبِ الذي ترومُ نصرتَهُ. واحذرِ الغضبَ ممّن يحملُكَ عليه، فإنّه مميتٌ للخواطرِ [2]، ومُغيِّبٌ للنسبِ. واحذرْ مَنْ تبغضُهُ فإنَّ بغضكَ له يدعوكَ إلى الضجرِ به؛ وقليلُ الغضبِ كثيرٌ في ذي النفسِ والعقلِ، والضجرُ مضيِّقٌ

---

(١) سورة الانفطار ١٠، ١١ (٢) الخواطر جمع خاطر؛ وهو ما يخطر ببالك

للصَّدر ، مُضعفٌ لِقُوَى العقل ؛ واحذرِ المحافل التي لا إنصاف لأهلها في التسوية بينك وبين خصمك في الإقبال والاستماع ، ولا أدب لهمْ يمنعهم من جَوْرِ الحُكم لك وعليك واحذر حين تظهرُ العصبية لخصمك بالاعتراض عليك وتشييد قَوْله[1] وحجته ، فإنّ ذلك يهيجُ العصبيّة والاعتراض على هذا الوجه يخلق الكلام ، ويُذْهِبُ بهجة المعاني . واحذر كلام من لا يفهمُ عنك فإنه يُضْجِرك ؛ واحذر استصغار الخصم فإنه يمنع من التحفُّظ ؛ ورُبَّ صغير غلب كبيراً !

٢٣٢ — لا تقبل الرياسةَ على أهلِ مدينتكَ ؛ فإنهم لا يستقيمونَ لكَ إلا بما تخرج به من شرطِ الرئيس الفاضل .

٢٣٣ — لا تهزأ بخطأ غيرك ؛ فإن النطقَ لا يملككَ ، وأقبِلْ من الخطأ الذي أنت فيه بقدرِ الصبرِ واحمِل العقل والحقّ إمامَيك تنَل النية بهما .

٢٣٤ — الرأي يُريكَ غاية الأمر مبدأهُ .

٢٣٥ — الخيّرُ من الناس مَن قدر على أن يَصْرف نفسه كما يشاء ويدفعها عن الشرُورِ والشرّير من لم يكن كذلك .

٢٣٦ — السُّلطان الفاضل هو الذي يَحرِس الفضائل ويجود بها لمن دونه ويرعاها من خاصّته وعامته ؛ حتى تكثر في أيامه ، ويتحصن بها من لم تكن فيه .

٢٣٧ — لِلكَريم رِبطان أحدُهما الرعاية لصديقه وذوى الحرمة به ، والآخر الوفاء لمن ألزمه الفضل ما يجب له عليه .

٢٣٨ — إذا تحرّكتْ صورة الشرّ ؛ ولم تظهر ولّدت الفزَع ؛ فإذا ظهرت وَلّدت الألم ؛ وإذا تحركت صورة الخير ولم تظهر وَلدت الفرح ، فإذا ظهرت وَلّدَت اللذّة .

---

(١) قوله : « وتشييد قوله » أى تحصينها وصونها عن تطرق الخلل إليها ، وأصل التشييد طلاء الحائط بالجص والطين لئلا يبق به ثقب .

٢٣٩ — الفرقُ بين الاقتصادِ والبُخْل أن الاقتصادَ تمسُّكُ الإنسان بما في يدِه خوفًا على حريَّتِه وجاهه من المسألة ؛ فهو يضع الشيء موضعه ، ويصبر عمّا لا تدعو ضرورةٌ إليه ، ويصل صغير برِّه بعظيم بِشْره ؛ ولا يستكثر من المودات خوفًا من فرط الإجحاف به ، والبخيل لا يكافئ على ما يسدى إليه ، ويمنع أيضًا اليسير من استحقّ الكثير ، ويصبر لصغير ما يجرى عليه على كثيرٍ من الذِّلَّة .

٢٤٠ — لا تحتقرنَّ صغيراً يمكن أن يكبر ، ولا قليلا يمكن أنْ يكثر .

٢٤١ — ما زلتُ مظلوماً مُذ قبض الله نبيَّهُ حتى يوم الناس هـــذا ؛ ولقد كنت أظلم قبل ظهور الإســـلام ؛ ولقد كان أخي عقيلٌ ، يذنبُ أخي جعفرَ فيضربُنِي .

٢٤٢ — لو كسرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراةِ بتوراتهم ، وبينَ أهلِ الإنجيل بإنجيلهم ؛ وبين أهلِ الفرقان بفرقانهم ؛ حتى تزْهر[1] تلك القضايا إلى الله عزَّ وَجلَّ وتقول: يارب؛ إن عليًا قضى بين خلقك بقضائك .

٢٤٣ — مرَّ بدارٍ بالكوفة في مُرادٍ تبنى فوقعت منها شَظِيَّةٌ[2] على صَلْعَتِه فادمتها ، فقال : مابوى من مُرادٍ بواحدٍ ! اللهمَّ لا ترفعها ، قالوا : فو اللهِ لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجمَّاء[3] بين الغنم ذوات القرُون .

٢٤٤ — أقتلُ الأشياء لعدوك ألاَّ تُعرِّفَهُ أنك اتخذته عدوًّا .

٢٤٥ — الخِيَرَةُ في تَرْكِ الطِّيَرَة .

٢٤٦ — قيل له في بعض الحروب : إن جالت الخيلُ أين نطلبُك ؟ قال : حيثُ تركتموني .

٢٤٧ — شفيعُ المذنب إقراره ، وتوبتهُ اعتذاره .

---

(١) تزهر : تضيء وتتلألأ .

(٢) الشظية : الفلقة من العصا .

(٣) شاة جماء : لا قرون لها .

٢٤٨ — قصمَ ظهري رجلان : جاهلٌ متنسّكٌ[1] وعالمٌ متهتّكٌ .

٢٤٩ — ألا أخبركم عنّا وعنكم ! أما الحسن ففتًى من الفتيان ، وصاحبُ جفنةٍ وخوان ؛ ولو التقت حلقتا البِطان[2] لم يغنِ عنكم في الحرب عناء عصفورٍ ، وأمّا عبدُ الله بن جعفر فصاحبُ لهوٍ وظلٍّ باطل ، وأمّا أنا والحُسينُ فنحن منكم وأنتم منّا .

٢٥٠ — قال في المنبريّة : صار ثُمُنها تُسعاً على البديهة[3] وهذا من العجائب .

٢٥١ — جاء الأشعثُ إليه وهو على المنبر ، فجعل يتخطّى رقاب النّاس حتى قرُب منه ثمّ قال : يا أميرَ المؤمنين ، غلبتنا هذه الحمراء على قُربك — يعني العجم — فركض المنبر برجله ، حتى قال صعصعةُ بن صُوحان : ما لنا وللأشعث ! ليقولنّ أمير المؤمنين عليه السلام اليوم في العرب قولاً لا يزال يُذكر ، فقال عليه السلام : مَنْ يعذرني من هؤلاء الضياطرة ! يتمرّغ أحدهم على فراشه تمرُّغ الحمار ،[4] ويَهجُر قوماً للذكر ! أفتأمرونني أن أطردهم ! ما كنت لأطردهم فأكون من الجاهلين ! أما والذي فلق الحبّة ، وبرأ النَّسَمة ، ليضربُنّكم على الدين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بدءاً .

٢٥٢ — كان إذا رأى ابنَ مُلجَم ، يقول : أُريدُ حياتَه[5] ... البيت ؛ فيقالُ له : فاقتُله ، فيقولُ : كيف أقتلُ قاتلي !

٢٥٣ — إلهي ما قدرُ ذُنوبٍ أُقابلُ بها كرمَك ، وما قدْرُ عبادةٍ أُقابل بها نِعمك ! وإني لأرجو أن تَستغرق ذُنوبي في كرمك ، كما استغرقتْ أعمالي في نِعمك .

---

(١) المتنسك : متكلف النسك والتقوى .

(٢) التقت حلقتا البطان : مثل ؛ والبطان : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير ، فإذا التقت حلقتاه دل على اضطراب الأمر واختلاله .

(٣) المنبرية : إشارة إلى مسألة من مسائل الميراث .

(٤) الضيطر : الرجل الضخم الذي لا غناء عنده ، وجمعه ضياطرة .

(٥) يشير إلى قول عمرو بن معديكرب :

أُريدُ حياتَهُ ويُريدُ قتْلي عَذيرَكَ من خليلِكَ من مُرادِ

٢٥٤ — إذا غضب الكريمُ فألِنْ له الكلام ، وإذا غضب اللئيمُ فخذ له العصا .

٢٥٥ — غضب العاقل في فعلِه ، وغضب الجاهل في قولِه .

٢٥٦ — رأى رَجلاً يُحدّث مُنكر الحديث ، فقال : يا هذا ، أنصف أُذنيك من فيك ؛ فإنما جعل الأذنان اثنتين ، والفم واحداً ، لتسمع أكثر مما تقول .

٢٥٧ — إيَّاك وكثرة الاعتذار ؛ فإن الكذب كثيراً ما يُخالِطُ المعاذير .

٢٥٨ — اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على مَنْ شكرك

٢٥٩ — سلْ مسألةَ الحمقى (١) واحفظ حفظ الأكياس .

٢٦٠ — مرُوا الأحداثَ بالمراء والجدال ، والكهُولَ بالفكر ، والشيوخَ بالصمْتِ .

٢٦١ — عوِّدْ نفسكَ الصبرَ على جليس السوء ؛ فإنه لا يكادُ يخطئكَ

٢٦٢ — يا بنيّ إنّ الشرَّ تاركُكَ إنْ تركتَهُ .

٢٦٣ — لا تطلبوا الحاجةَ إلى ثلاثة : إلى الكذوب ، فإنه يقرِّبُها وإن كانت بعيدةً ، ولا إلى أحمقَ ؛ فإنه يريدُ أن ينفعك فيضرَّك ، ولا إلى رجل له إلى صاحب الحاجة حاجةٌ ؛ فإنهُ يجعلُ حاجتكَ وقايةً لحاجته .

٢٦٤ — إياكَ وصدرَ المجلس فإنهُ مجلسُ قلعة (٢)

٢٦٥ — احذرُوا صولةَ الكريم إذا جاع وصولة اللئيم إذا شبعَ .

٢٦٦ — سِرُّكَ دمكَ فلا تُجرِيَنَّه إلا في أوداجك

٢٦٧ — وسُئل عن الفرق بين الغمّ والخوف ، فقال : الخوفُ مجاهدةُ الأمرِ المخوفِ قبل وقُوعِهِ ، والغمُّ ما يلحقُ الإنسانُ من وقوعه .

---

(١) الحمق : ضعف العقل .

(٢) مجلس قلعة : إذا كان صاحبه يحتاج إلى القيام

٢٦٨ — المعروفُ كنزٌ فانظرْ عند من تودعهُ .

٢٦٩ — إذا أرسلت لعرْفٍ فلا تأْتِ شيئاً فيهِ كلُّ تحرُّك وتعنف على خلافك(١) .

٢٧٠ — إذا وقع في يدِك يومُ السُّرُورِ فلا تخلِّه فإنّك إذا وقعت في يدِ يومِ الغمِّ لم يُخلِّك .

٢٧١ — إذا أردتَ أن تصادقَ رجلا فانظرْ من عدوُّه ؟

٢٧٢ — الانقباضُ من النَّاس مَكْسبةٌ للعداوةِ ، والانبساطُ مجلبةٌ لقرين السوء ؛ فكن بين المنقبض والمسترسل ، فإن خيرَ الأمورِ أوساطها

٢٧٣ — أنا عبد اللهِ ، وأخو رسولِ الله ؛ لا يقولها بعدِي إلاّ كذّابٌ .

٢٧٤ — أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بيدِي فهزّها ، وقالَ : ماأوّلُ نعمةٍ أنعمَ اللهُ بها عليك ؟ قلتُ : أنْ خلقني حيًّا ، وأقدرني ، وأكمل حواسّي ومشاعري وقواي ، قال : ثم ماذا ؟ قلتُ : أن جعلني ذكراً ، ولم يجعلني أنثى ، قالَ والثّالثةُ : قلت : أن هداني للإسلام ، قال : والرابعة ؟ قلت : ﴿وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصُوها﴾(٢) .

٢٧٥ — اللهم إني أسألكَ إخباتَ المخبتين ، وإخلاص الموقنين ، ومرافقةَ الأبرار ، والعزيمةَ في كلِّ برٍّ والسلامة منْ كلِّ إثم ، والفوزَ بالجنّةِ ، والنجاةَ من النارِ .

٢٧٦ — لما ضربه ابن ملجم وأوصى ابنيه بما أوصاهما قالَ لابن الحنفيّة : هل فهمت ما أوصيتُ به أخويك ؟ قال : نعمْ ، قال : فإني أوصيكَ بمثله وبتوقيرِ أخويك ، واتباع أمرهما ، وألاّ تبرم أمراً دونهما . ثم قال لهما : أوصيكما به فإنهُ شقيقكما ، وابن أبيكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبّهُ فأحبَّاهُ .

٢٧٧ — أمّا هذا الأعور — يعني الأشعث — فإنّ اللهَ لم يرفعْ شرفاً إلّا حسده ، ولا أظهر فضلاً إلّا عابهُ ، وهوَ يُمنّي نفسهُ ويخدعها ، يخافُ ويرجو ، فهوَ بينهما لا يثقُ

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب ، وأثبتها من ا ، د (٢) سورة النحل ١٨

بواحدٍ منهما ، وقدْ منَّ اللهُ عليــه بأن جعلهُ جباناً ، ولو كانَ شجاعاً لقتلهُ الحقُّ ، وأمّا هذا الأكشفُ عندَ الجاهليّةِ - يعني جريرَ بن عبد الله البجليَّ - فهو يرى كلَّ أحدٍ دونهُ ، ويستصغرُ كلَّ أحدٍ ويحتقرُهُ ، قد مُلِئَ ناراً ، وهُوَ مع ذلك يطلبُ رئاسةً ، ويرُومُ إمارةً ، وهـذا الأعورُ يغويه ويُطغيه ، إن حدَّثهُ كذبهُ ، وإن قامَ دُونهُ نكَصَ عنهُ ، فهما كالشيطانِ إذ قالَ للإنسانِ : اكفرْ فلمّا كفرَ قالَ إنّي بريءٌ منكَ إنّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمينَ .

٢٧٨ — بُلوغُ أعلَى المنازلِ بغيرِ استحقاقٍ من أكبرِ أسبابِ الهَلَكةِ .

٢٧٩ — الكلمةُ إذا خرجتْ منَ القلبِ وقعتْ في القلبِ ، وإذا خرجتْ منَ اللسانِ لم تجاوزِ الآذانَ .

٢٨٠ — الكرمُ حسنُ الفطنةِ ، واللؤمُ سوءُ التغافُلِ .

٢٨١ — أسوأُ النّاسِ حالاً من اتّسعتْ معرفتــه ، وبَعُدَتْ همّتُــهُ ، وضاقتْ قُدرتُهُ[1] .

٢٨٢ — أمرانِ لا ينفكّانِ مِن الكَذِبِ : كثرةُ المواعيدِ ، وشدّةُ الاعتذارِ .

٢٨٣ — عادةُ النّوكى[2] الجلوسُ فوقَ القدرِ ، والمجيءُ في غيرِ الوقتِ .

٢٨٤ — العافيةُ المُلكُ الخفيُّ .

٢٨٥ — سوءُ حملِ الغِنَى يورثُ مقتاً ، وسوءُ حملِ الفاقةِ يضعُ شرفاً .

٢٨٦ — لا ينبغي لأحدٍ أن يدعَ الحزمَ لظفرٍ نالهُ عاجزٌ ، ولا يسامحَ نفسهُ في التفريطِ لنكبةٍ دخلتْ على حازمٍ .

٢٨٧ — ليس مِن حسنِ التوكلِ أنْ يقالَ عثرةً ، ثم يركبها ثانيةً .

---

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب ، وأثبتها من ٤ ، د . (٢) النوك : الحمق .

٢٨٨ — سوءُ القالةِ في الإنسانِ إذا كان كذباً نظيرُ الموتِ لفسادِ دنياه ؛ فإن كان صدقاً فأشدُّ من الموتِ لفسادِ آخرتِه .

٢٨٩ — تُرضى الكرامُ بالكلامِ ، وتُصادُ اللئامُ بالمالِ ، وتُستصلحُ السِّفلةُ بالهوانِ .

٢٩٠ — لا يزالُ المرءُ مستورًا حالَ عزِّه ، فإذا عثرَ مرّةً لجَّ بهِ العِثارُ ولو كان في جَدَدٍ .

٢٩١ — المتواضعُ كالوَهْدَةِ يجتمعُ فيها قَطْرُها وقَطْرُ غيرِها ، والمتكبِّرُ كالرَّبْوَةِ لا يقرُّ عليها قطرُها ، ولا قطرُ غيرِها .

٢٩٢ — لا يصبرُ على الحربِ ويَصْدُقُ في اللقاءِ إلا ثلاثةٌ : مستبصرٌ في دينٍ ، أو غيرانٌ على حُرْمةٍ ، أو ممتعضٌ من ذُلٍّ .

٢٩٣ — مجاورتك ما يكفيك فقرٌ لا منتهى له

٢٩٤ — قيل له : أيُّ الأمورِ أعجلُ عقوبةً ، وأسرعُ لصاحبِها صرعةً ؟ فقال : ظلمُ مَنْ لا ناصرَ له إلَّا اللهُ ، ومجازاةُ النِّعَمِ بالتقصيرِ ، واستطالةُ الغنيِّ على الفقيرِ .

٢٩٥ — الجماعُ لبعضهنَّ خَدْعٌ ، وللخيراتِ مَنْعٌ ؛ حياةٌ ترتعُ ، وعوراتٌ تجتمعُ ؛ أشبهُ شيءٍ بالجنونِ ، ولذلك حُجِبَ عن العيونِ ، نتيجتُه ولدٌ مفتونٌ ، إن عاشَ كَدَّ ، وإن ماتَ هَدَّ .

٢٩٦ — ما شيءٌ أهونَ من ورعٍ ؛ إذا رابكَ أمرٌ فدَعْهُ .

٢٩٧ — إذا أتى عليَّ يومٌ لا أزدادُ فيه عملاً يقرِّبني إلى اللهِ ، فلا بُورِكَ لي في طلوعِ شمسِ ذلك اليومِ .

٢٩٨ — أشرفُ الأشياءِ العلمُ ؛ واللهُ تعالى عالمٌ يحبُّ كلَّ عالمٍ .

٢٩٩ — ليتَ شعرى أىَّ شىء أدركَ منْ فاتهُ العلمُ ! بل أىَّ شىء فات من أدركَ العلمْ !

٣٠٠ — لا يسودُ الرجل حتّى لا يُبالى فى أىّ ثوبيه ظهرَ .

٣٠١ — سمع رجلاً يدعُو لصاحبه ، فقال : لا أراكَ اللهُ مكرُوهاً ، فقال : إنما دعوْتَ لهُ بالموت ، لأنّ منْ عاشَ فى الدُّنْيا لا بُدَّ أن يرَى المكْروهَ .

٣٠٢ — من صفةِ العاقل ألاَّ يتحدَّثَ بما يُستطاعُ تكذيبهُ فيه .

٣٠٣ — السعيدُ منْ وعظَ بغيرِهِ ، والشقىّ من اتّعظ به غيرُهُ .

٣٠٤ — ذو الهمّة وإنْ حطّ نفسَه يأبى إلاّ علوّاً ، كالشعلة من النّار يخفيها صاحبُها ، وتأبى إلاّ ارتفاعاً .

٣٠٥ — الدَّيْنُ غلّ الله فى أرضه ، إذا أرادَ أنْ يُذلّ عبداً جعلهُ فى عنقِهِ .

٣٠٦ — العاقل إذا تكلّم بكلمة أتبعها حكْمةً ومثلا ، والأحمقُ إذا تكلّم بكلمةٍ أتبعها حلفاً .

٣٠٧ — الحركةُ لقاح الجدِّ العظيمِ[1] .

٣٠٨ — ثلاثةٌ لا يُستحى من الحتْم عليْها : المالُ لنفى التهْمةِ ، والجوهرُ لنفاسته ، والدواء للاحتياطِ من العدوّ .

٣٠٩ — إذا أيسرت فكلُّ الرجال رجالك ، وإذا أعسرتَ أنكرك أهلك .

٣١٠ — من الحكمة جعل المال فى أيدى الجهال قوتهُ لو خُصَّ به العقلاء لمات

(١) هذه الحكمة ساقطة من ا

الجهالَ جُوعاً ، ولكنهُ جُعلَ في أيدي الجهالِ ، ثم استرطمْ عنه العقلاء بالطمهم وفطنتهم .

٣١١ — ماردّ أحدٌ أحداً عن حاجة الأوتيِّنَ العزُّ في قفاه ، والذلُّ في وجهِهِ .

٣١٢ — الشديدة الصنيعة ماحقةٌ ، وربّها [1] فريضةٌ .

٣١٣ — الحاسدُ المظهرُ للحسدِ كالأجلِ يمحُ الدَّواء ، ويبطنُ الداء .

٣١٤ — الحاسدُ يرى زوالَ نعمتِكَ نعمةً عليهِ .

٣١٥ — التّواضع إحدى مصائد الشرف .

٣١٦ — تواضعُ الرَّجُلِ في مرتبته ذبٌّ لشماتةِ عنهُ عِندَ سقطتهِ .

٣١٧ — رُبَّ صلفٍ أدّى إلى تيهٍ .

٣١٨ — سوء الخلقِ يُعدِي ؛ وذلكَ أنهُ يدعو صاحبكَ إلى أن يقابلكَ بمثلِهِ .

٣١٩ — المروءة التّامة مُباينةُ العامةِ .

٣٢٠ — أسوأ ما في الكريمِ أن يمنعكَ نداهُ ، وأحسنُ ما في اللئيمِ أن يكفَّ عنكَ أذاهُ .

٣٢١ — السفلةُ إذا تعلّموا تكبّروا ، وإذا تموّلوا استطالوا ، والعِليةُ إذا تعلّموا تواضعوا ، وإذا افتقروا صالوا .

٣٢٢ — ثلاثٌ لا يُستصلحُ فسادُهنَّ بحيلةٍ أصلاً : العداوةُ بينَ الأقاربِ ، وتحاسدُ الأكفاء ، وركاكةُ الملوكِ .

٣٢٣ — السخيُّ شجاعُ القلبِ ، والبخيلُ شجاعُ الوجهِ .

---

(١) ربها ، أي تمها .

٣٢٤ — العزلة توفّر العرضَ وتستر الفاقةَ ، وترفع ثقل المكافأة .

٣٢٥ — ما احتنكَ أحدٌ قطُّ إلا أحبَّ الخلوةَ والعزلة .

٣٢٦ — خيرُ الناس من لم تجرِّبْه .

٣٢٧ — الكريم لا يلينُ على قسرٍ ، ولا يقسو على يسر .

٣٢٨ — المرأةُ إذا أحبتك آذتك وإذا أبغضتك خانتك وربما قتلتك ؛ فحبُّها أذى ، وبغضها داء بلا دواء .

٣٢٩ — المرأةُ تكتمُ الحبَّ أربعين سنةً ، ولا تكتمُ البغض ساعةً واحدة .

٣٣٠ — المتحرصُ كالمختنق ؛ كلما ازداد اضطرابا ازداد اختناقا .

٣٣١ — كلُّ مالٍ لا ينقلُ ما نقلك من ملك فهو كمثل لك .

٣٣٢ — أجلُّ ما ينزلُ من السماء التوفيقُ ، وأجلُّ ما يصعدُ من الأرض الإخلاصُ .

٣٣٣ — اثنان يهونُ عليهما كلُّ شيء : عالمٌ عرف العواقب ، وجاهل يجهلُ ما هو فيه .

٣٣٤ — شرٌّ من الموتِ ما إذا نزل تمنيتَ بنزولهِ الموتَ ، وخيرٌ من الحياةِ ما إذا فقدته أبغضتَ لفقدِه الحياةَ .

٣٣٥ — ما وضعَ أحدٌ يدَهُ في طعامِ أحدٍ إلاّ ذلّ له .

٣٣٦ — المرأةُ كالنعل يلبسها الرجلُ إذا شاء ، لا إذا شاءت .

٣٣٧ — أبصرُ الناس لعوّار النّاس المعورُ .

٣٣٨ — العجبُ ممّن يخافُ عقوبة السلطان وهي منقطعةٌ ، ولا يخافُ عقوبة الدّيان وهي دائمة .

٣٣٩ — من عرف نفسَهُ فقد عرف ربّه .

٣٤٠ — من عجز عن معرفةِ نفسهِ فهو عن معرفة خالقهِ أعجزُ .

٣٤١ — لو تكاشفتم ما تدافنتم .

٣٤٢ — شيطان كلّ إنسانٍ نفسه .

٣٤٣ — إنْ لمْ تعلمْ من أينَ جئت ، لمْ تَعْلَمْ إلى أيْنَ تذهبُ !

٣٤٤ — غاية كلّ متعمّقٍ في معرفةِ الخالقِ سبحانهُ الاعترافُ بالقصورِ عن إدراكها .

٣٤٥ — الكمالُ في خمسٍ : ألاّ يعيبَ رجلٌ أحداً بعيبٍ فيهِ مثلُهُ حتّى يصلحَ ذلكَ العيبَ مِنْ نفسهِ ؛ فإنهُ لا يفرغُ منْ إصلاحِ عيبٍ من عيوبهِ حتّى يهجم على آخرَ فتشغله عيوبهُ عن عيوبِ الناس ، وألاّ يطلقَ لسانه ويدهُ حتّى يعلمَ أفي طاعةٍ ذلك أمْ في معصيةٍ ، وألاّ يلتمسَ مِن النّاسِ إلا ما يعطيهمْ منْ نفسهِ مثلَهُ ، وأنْ يسلمَ من النّاسِ باستشعارِ مُداراتهمْ وتوفيتهم حُقوقهمْ ، وأنْ ينفقَ الفضلَ منْ ماله ، ويمسكَ الفضلَ منْ قولهِ .

٣٤٦ — صَديق البخيل مَن لم يجرّبهُ .

٣٤٧ — من الخيط الضعيف يفتَل الحبل الحصيف ، ومن مقدحةٍ[1] صغيرةٍ تحترق مدينةٌ كبيرةٌ ، ومن لَبنةٍ لَبنةٍ[2] تُبنى قريةٌ حصينةٌ .

٣٤٨ — حُبُّ الدراهمِ مَعذورٌ وإنْ أذلّتْهُ من الدّنيا ؛ لأنها صانتهُ عن أبناء الدّنيا .

---

(١) المقدحة : ما يقدح بها النار

(٢) اللبنة : التي يبنى بها

٣٤٩ — عجباً لمن قيل فيه الخيرُ وليس فيه كيف يفرح ! وعجباً لمن قيل فيه الشرُّ وليسَ فيه كيف يغضبُ !

٣٥٠ — ثلاث مُوبقاتٌ : الكِبْرُ فإنه حطَّ إبليس عن مرتبتِه ، والحِرْصُ فإنه أخرج آدم من الجنّةِ ، والحسَدُ فإنهُ دعا ابن آدم إلى قتلِ أخيه .

٣٥١ — الفِطامُ عن الحُطامِ شديدٌ[1] .

٣٥٢ — إذا أقبلَتِ الدُّنيا أقبلت على حِمارٍ قطوفٍ ، وإذا أدبرَتْ أدبرَتْ على البُراقِ .

٣٥٣ — أصاب مُتأمِّلٌ أو كاد ، وأخطأ مستعجلٌ أو كاد .

٣٥٤ — ستّةٌ لا تُخطِئهُمُ الكآبةُ : فقيرٌ حديثُ عهدٍ بغِنًى ، ومُكثِرٌ يخاف على ماله ، وطالبُ مرتبةٍ فوقَ قدرِه ، والحسودُ ، والحقودُ ، ومخالِطُ أهلِ الأدبِ وليس بأديبٍ .

٣٥٥ — طلبْتُ الراحة لنفسى فلم أجد شيئاً أروحَ من ترك مالا يعنيني ، وتوحَّشْتُ في البَرِّ القَفْرِ فلم أرَ وَحشةً أشدَّ من قرين السوءِ ، وشهدتُ الزُّحوفَ[2] ولقيتُ الأقرانَ فلم أرَ قِرناً أغلب من المرأةِ ، ونظرتُ إلى كلِّ ما يُذِلُّ العزيزَ ويكسِرُهُ ، فلم أرَ شيئاً أذَلَّ لهُ ولا أكسر من الفاقة .

٣٥٦ — أوّلُ رأى العاقل آخرُ رأى الجاهل .

٣٥٧ — المُسترشِدُ مُوَقَّى ، والمُحترِسُ مُلَقًّى .

٣٥٨ — الحُرُّ عبدٌ ما طمِعَ ، والعبدُ حرٌّ ما قنِعَ

---

(١) ب ، هـ شديد .

(٢) زحف إليه : مشى ومضى ، والزحف : الجيش يمشى إلى العدو

٣٥٩ — ما أحْسَنَ حُسْنَ الظَّنِّ إلا أنّ فيه العَجْزَ ، وما أقبحَ سوءَ الظنِّ إلاّ أنّ فيه الحزمَ !

٣٦٠ — ما الحيلةُ فيما أعْيَى[1] إلا الكفُّ عنه ، ولا الرأيُ فيما يُنال إلا اليأسُ منه .

٣٦١ — الأحمقُ إذا حدَّث ذَهِل ، وإذا حُدِّث عَجِل ، وإذا حُمِل على القبيح فعل .

٣٦٢ — إثبات الحجّةِ على الجاهل سهلٌ ؛ ولكن إقرارُه بها صعبٌ .

٣٦٣ — كما تُعرفُ أواني الفخّار بامتحانها بأصواتها فيُعلَمُ الصّحيح منها من المكسورِ ، كذلك يُمتحنُ الإنسانُ بمنطقِه فيُعرفُ ما عندَه .

٣٦٤ — احتمال الفقرِ أحسنُ من احتمال الذُّلّ ، لأنّ الصبر على الفقر قناعةٌ ؛ والصبر على الذل ضراعةٌ[2] .

٣٦٥ — الدنيا حمقاء لا تميلُ إلا إلى أشباهها .

٣٦٦ — السفرُ ميزانُ الأخلاق .

٣٦٧ — العقل مَلِكٌ والخصالُ رعيّتُه ، فإذا ضعف عن القيام عليها وَصل الخللُ إليها .

٣٦٨ — الكذّابُ يخيف نفسه وهو آمنٌ .

٣٦٩ — لولا ثلاث لم يَسُلّ سيفٌ : سِلكٌ أدقُّ من سلك ، ووجهٌ أصبحُ من وجهٍ ، ولُقمةٌ أسْوَغُ من لُقمةٍ .

٣٧٠ — قد يحسُن الامتنانُ بالنعمةِ وذلك عند كُفرانها ، ولولا أن بني إسرائيل

---

(١) ا : « أعيا » .

(٢) ضرع إليه ضراعة : ذل وخضع .

كفروا النعمة لما قال الله لهم : ﴿ اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾[1] .

٣٧١ — إذا تناهى الهمّ انقطع الدمع .

٣٧٢ — إذا ولّى صديقك ولاية فأصبته على العُشر من صداقته فليس بصاحب سوء .

٣٧٣ — أعجب الأشياء بديهة أمن وردت في مقام خوف .

٣٧٤ — الحرص محرمة[2] والجبن مقتلة ، وإلا فانظر فيمن رأيت وسمعت : أمن قُتل في الحرب مقبلاً أكثر ، أم من قُتل مدبراً ؟ وانظر : من يطلب بالإجمال والتكرّم أحق أن تسخو نفسك له أم من يطلب بالشره والحرص ؟

٣٧٥ — إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزء من جهل ليُقدم به صاحبه على الأمور ، فإن العاقل أبداً متوانٍ مترقّب متخوف .

٣٧٦ — عمل الرجل بما يعلم أنه خطأ هوى ، والهوى آفة العفاف ، وترك العمل بما يعلم أنه صواب تهاون ، والتهاون آفة الدين ، وإقدامه على ما لا يدري أصواب هو أم خطأ لجاج ، واللجاج آفة العقل .

٣٧٧ — ضعف العقل أمان من الغم .

٣٧٨ — لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت ، ولا طعاماً حتى يستمرئه ، ولا صديقاً حتى يستقرضه ، وليس من حسن الجوار ترك الأذى ، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى .

٣٧٩ — لا يتأدب العبد بالكلام إذا وثق بأنه لا يُضرب .

٣٨٠ — الفرق بين المؤمن والكافر الصلاة ، فمن تركها وادّعى الإيمان كذّبه فعله ، وكان عليه شاهد من نفسه .

---

(١) سورة البقرة ١٢٢   (٢) أي سبب حرمان

٣٨١ — مَنْ خافَ اللهَ خافه كل شيء .

٣٨٢ — مِنَ النقصِ أن يكونَ شغلُكَ شيئاً خارجاً عن ذاتِكَ وصفاتِكَ .

٣٨٣ — ويلٌ على العبدِ اللئيم ، عبد بني ربيعة ، نزع به[1] عِرْقُ الشِّرْكِ العبشميّ إلى مساءتي ، وتذكَّرَ دمَ الوليدِ وعتبةَ وشيبةَ أَوْلَى له ؛ واللهِ ليَرينّي في موقفٍ يسوءُه ثم لا يجدُ هناكَ فلاناً وفلاناً — يعني سالماً مولَى حذيفةَ .

٣٨٤ — أنا قاتِلُ الأقرانِ ، ومُجَدِّلُ الشجعانِ ، أنا الذي فقأتُ عينَ الشِّرْكِ ، وثَلَلْتُ عرشَهُ ؛ غيرَ مُمْتَنٍّ على اللهِ بجهادي ، ولا مُدِلٍّ إليه بطاعتي ؛ ولكن أُحدِّثُ بنعمةِ ربّي .

٣٨٥ — الصَّوْمُ عبادةٌ بين العبدِ وخالقِهِ ، لا يطَّلِعُ عليها غيرُه ، وكذلك لا يجازي عنها غيرُه .

٣٨٦ — طوبى لمن شغله عَيْبُهُ عن عيوبِ الناسِ ! طوبى لِمَنْ لا يعرفُ الناسَ ولا يعرفُهُ الناسُ ! طوبى لمن كان حيٌّ كميِّتٍ ، وموجوداً كمعدومٍ ؛ قد كفى جارَه خيرَهُ وشرَّهُ ، لا يسألُ عن الناسِ ، ولا يسألُ الناسُ عنه .

٣٨٧ — ما السيفُ الصارمُ في كفِّ الشجاعِ بأعزَّ له من الصِّدْقِ .

٣٨٨ — لا يكن فقرُكَ كُفراً ، وغناكَ طغياناً .

٣٨٩ — ثمرةُ القناعةِ الراحةُ ، وثمرةُ التواضعِ المحبّةُ .

٣٩٠ — الكريمُ يلينُ إذا استُعطِفَ ، واللئيمُ يقسو إذا لُوطِفَ .

٣٩١ — أَنْكَى لعدوِّكَ ألّا تُرِيَهُ أنك اتخذته عدوًّا .

٣٩٢ — عذابانِ لا يأبَهُ الناسُ لهما : السفرُ البعيدُ ، والبناء الكثير .

---

(١) نزع به عرق الشر : جذبه إليه .   (٢) عبشمي ، نسبة إلى عبد شمس

٣٩٣ — ثلاثة يُؤثِرون المالَ على أنفسهم : تاجر البحر ، وصاحب السلطان ، والمُرْتَشِى فى الحكم .

٣٩٤ — أعْجَزُ النـاسِ مَنْ قَصَّرَ فى طلب الصـديق ، وأعْجَزُ منـه مَنْ وَجَدَهُ فضيَّعَه[1] .

٣٩٥ — أشدُّ المشاق وعدُ كذَّابٍ لِحَرِيصٍ .

٣٩٦ — العـادات قاهِراتٌ ، فمن اعتـد شيئاً فى سِرِّه وخلوته فضحهُ فى جَهْرِه وعلانيته .

٣٩٧ — الأخ البارُّ مُغِيضُ الأسرار .

٣٩٨ — عدمُ المعرفة بالكتابة زمانةٌ خفيَّةٌ .

٣٩٩ — قديمُ الحُرْمَةِ وحديثُ التَّوْبَةِ يمحقانِ ما بينهما من الإساءة .

٤٠٠ — ركوبُ الخيلِ عِزٌّ ، ورُكوبُ البراذينِ لَذَّةٌ ، ورُكوبُ البغالِ مَهْزَمَةٌ ، ورُكوبُ الحميرِ مَذَلَّةٌ .

٤٠١ — العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشِيَمُ الرِّجالِ تُعْرَفُ بالولايةِ .

٤٠٢ — قال له قائلٌ : علِّمْنِى الخير ، فقـال : هوَ الذُّلُّ ، فاصطبرْ عليـه إنِ استطعتَ .

٤٠٣ — قالتْ : إنَّ فلاناً أفادَ مالاً عظيماً ؛ فهلْ أفادَ أيَّاماً ينفقهُ فيها !

٤٠٤ — عيادةُ النَّوْكَى أشدُّ على المريضِ منْ وَجَعِهِ .

٤٠٥ — المريضُ يعادُ ، والصحيحُ يزَارُ .

٤٠٦ — الشىء الذى لا يحسُنُ أنْ يُقالَ وإنْ كانَ حقًّا ، مدحُ الإنسانِ نفسَهُ .

---

(١) هذه الحكمة ساقطة من ا

٤٠٧ — الشيء الذي لا يُسْتغنى عنه بحالٍ من الأحوالِ التوفيقُ .

٤٠٨ — أوسعُ مايكونُ الكريمُ مغفرةً ، إذا ضاقتْ بالمذنبِ المعذرةُ .

٤٠٩ — سترُ ماعاينتَ أحسنُ منْ إشاعةِ ماظننتَ .

٤١٠ — التكبُّرُ على المتكبّرينَ هوَ التواضعُ بعينه .

٤١١ — إذا رفعتَ أحداً فوق قدرِهِ فتوقَّعْ منهُ أنْ يحطَّ منكَ بقدرِ مارفعتَ منه .

٤١٢ — إساءةُ المحسنِ أنْ يمنعكَ جدواهُ ، وإحسانُ المسيء أنْ يكفَّ عنكَ أذاهُ .

٤١٣ — اللهمَّ إني أستعديكَ على قريشٍ ، فإنهمْ أضمَرُوا لِرَسُولِكَ صلى الله عليه وآله ضروباً منَ الشرِّ والغدرِ ، فعجزوا عنها ؛ وحُلْتَ بينهمْ وبينها ؛ فكانَتِ الوجْبةُ بي ، والدائرةُ عليَّ . اللهمَّ احفَظْ حسناً وحسيناً ، ولا تمكّن فجرةَ قريشٍ منهما مادمتُ حيًّا ، فإذا توفَّيتَني فأنتَ الرقيبُ عليهمْ ، وأنتَ على كلِّ شيء شهيدٌ .

٤١٤ — قال له قائلٌ : ياأميرَ المؤمنينَ ، أرأيتَ لو كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله تركَ ولداً ذكراً قد بلغَ الحلمَ ، وآنسَ منه الرشدَ ، أكانَتِ العربُ تسلِّمُ إليه أمرها ؟ قال : لا ، بل كانتْ تقتلُه إن لم يفعلْ مافعلتُ ، إنّ العربَ كرِهَتْ أمرَ محمّدٍ صلى الله عليه وآله وحسدتهُ على ما آتاهُ اللهُ منْ فضلِهِ ، واستطالتْ أيّامَهُ حتى قذفتْ زوجتَهُ ، ونفَّرتْ به ناقتَهُ ، مع عظيمِ إحسانِه إليها ، وجسيمِ مِنَنِهِ عندها ، وأجمعتْ مُذْ كان حيًّا على صرفِ الأمرِ عن أهلِ بيتِهِ بعدَ موتِهِ ؛ ولولا أنّ قريشاً جعلتِ اسمه ذريعةً إلى الرِّياسةِ ، وسُلَّماً إلى العزِّ والإمرةِ ، لما عبدتِ اللهَ بعدَ موتِهِ يوماً واحداً ،

ولارتدت في حافرتها، وعاد قارحُها جذعًا، وبازلها [1] بكرًا، ثم فتح الله عليها الفتوحَ، فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة [3]؛ فحسُن في عيونها منَ الإسلام ما كان سمجًا، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربًا، وقالت: لولا أنه حقٌّ لما كان كذا؛ ثم نسبت تلك الفتوحَ إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين؛ فكنا نحن ممن خمل ذكرُه، وخبت نارُه، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهرُ علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف؛ وما عسى أن يكون الولد لو كان! إن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقربني ما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة؛ بل للجهاد والنصيحة؛ أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت! وكذاك لم يكن يقرب ما قربت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سببًا للحظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة. اللهم إنك تعلم أني لم أرد الإمرة، ولا علو الملك والرياسة؛ وإنما أردت القيام بحدودك، والأداء لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها، وتوفير الحقوق على أهلها؛ والمضي على منهاج نبيك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك.

٤١٥ — البر ما سكنت إليه نفسك، واطمأن إليه قلبك؛ والإثم ما جال في نفسك وتردد في صدرك.

٤١٦ — الزكاة نقص في الصورة، وزيادة في المعنى.

٤١٧ — ليس الصوم الإمساك عن المأكل والمشرب؛ الصوم الإمساك عن كل ما يكرهه الله سبحانه.

---

(٢) البازل: الذي فطر نابه.　(٣) المخمصة: الجوع.

٤١٨ — إذا كان الراعي ذئباً ، فالشاة من يحفظها !

٤١٩ — كل شيء يعصيك إذ أعصته ، إلا الدنيا ، فإنها تطيعك إذا أغضبتها .

٤٢٠ — رب مغبوط بنعمة هي داؤه ، ومرحوم من سقم هو شفاؤه .

٤٢١ — إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدواً لا يرحمه سلط عليه حاسداً .

٤٢٢ — شر الدواء للحسد كالصابون للثوب : ينقيه ولكن يخلقه .

٤٢٣ — الحسد خلق دنيء ؛ ومن دناءته أنه موكل بالأقرب فالأقرب .

٤٢٤ — لو كان أحد مكتفياً من العلم لاكتفى نبي الله موسى ؛ وقد سمعتم قوله: ﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً ﴾ (١)

٤٢٥ — أستغفر الله مما أملك ، وأستعطفه فيما لا أملك .

٤٢٦ — إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب ، قعدت وأنت كبير حيث تكره .

٤٢٧ — الولد العاق كالإصبع الزائدة ، إن تركت شانت ، وإن قطعت آلمت .

٤٢٨ — خرج العز والغنى يجولان ، فلقيا القناعة فاستقرا .

٤٢٩ — الصديق نسيب الروح ؛ والأخ نسيب الجسم

٤٣٠ — عزة المؤمن كرامة صبره ، وعداءه سوء خلق زوجته .

٤٣١ — الوعد وجه والإنجاز محاسنه .

٤٣٢ — أنعم الناس عيشاً من عاش في عيشه غيره .

٤٣٣ — لا تشاتمن أحداً ، ولا تردن سائلاً ؛ إنما هو كريم تسد خلته ، أو لئيم تشتري عرضك منه .

---

(١) سورة الكهف ٦٦

٤٣٤ — النّمّام سهم قاتل.

٤٣٥ — ثلاثةُ أشياء لا دوام لها : المال في يَدِ المُبذِّر ، وسحابة الصيف ، وغضب العاشق .

٤٣٦ — الزّاهد في الدّينار والدّرهم أعزّ من مدبّر الدينار والدرهم .

٤٣٧ — ربّ حرب أُحيِيَت بلفظة ، وربّ وُدٍّ غُرِسَ بلحظة .

٤٣٨ — إذا تزوّج الرّجل فقد ركب البحر ، فإن وُلِدَ له فقد كُسِرَ به .

٤٣٩ — صلاحُ كلّ ذي نعمةٍ في خلاف ما فسد عليه .

٤٤٠ — أنعم الناس عيشة مَن تحلّى بالعفاف ، ورضيَ بالكفافِ[١] ، وتجاوزَ ما يُخاف إلى ما لا يخافُ .

٤٤١ — التّواضع نعمةٌ لا يفطنُ لها الحاسد .

٤٤٢ — ينبغي للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل واللئيم والسفيه ؛ أما الجاهلُ فلا يعرف المعروف ولا يشكر عليه ، وأما اللئيم فأرضٌ سبخة لا تنبتُ ، وأما السفيهُ فيقولُ : إنما أعطاني فَرَقاً من لساني .

٤٤٣ — خير العيش ما لا يُطغيك ، ولا يلهيك .

٤٤٤ — ما ضرب اللهُ العباد بسوط أوجعَ من الفقر .

٤٤٥ — إذا أراد الله أن يزيل عَنْ عبدٍ نعمة كان أول ما يغيّرُ منه عقلُهُ .

٤٤٦ — خيرُ الدّنيا والآخرةِ في خصلتين : الغِنى والتُّقى ، وشرُّ الدّنيا والآخرة في خصلتين : الفقرِ والفُجورِ .

٤٤٧ — ثمانية إذا أُهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الآتي طعاماً لم يُدْعَ إليه ،

---

(١) الكفاف : القليل

والآمِرُ على ربِّ البيتِ في بيتِهِ ، وطالبُ المعروفِ من غيرِ أهلِه ، والداخلُ بين اثنين لم يدخلاه ، والمستخِفُّ بالسلطان ، والجالسُ مجلساً ليس له بأهلٍ ، والمقبلُ بحديثه على مَن لا يسمعُه ، ومن جرَّبَ المجرَّبَ .

٤٤٨ — أنفسُ الأعلاق[1] عقلٌ قُرِنَ إليه حظٌّ .

٤٤٩ — اللطافةُ في الحاجة أجدى من الوسيلة .

٤٥٠ — احتمالُ نَخْوَةِ الشرف أشدُّ من احتمال بطرِ الغنى ، وذلّةُ الفقرِ مانعةٌ من الصبرِ ، كما أن عزَّ الغنى مانعٌ من كرمِ الإنصاف ، إلا لمن كانَ في غريزته فضلُ قوّةٍ ، وأعراقٌ تنازعه إلى بُعد الهمة .

٤٥١ — أسعد الناس سعوداً مَن كان له صديق يرضاه .

٤٥٢ — استشارةُ الأعداء من باب الخذلان .

٤٥٣ — الجاهلُ يُعرَفُ بستِّ خِصال : الغضب من غير شيء ، والكلامِ في غير نفعٍ ، والعطيّةِ في غير موضعها ، وألاّ يعرف صديقَه من عدوّه ، وإفشاء السرِّ ، والثقةِ بكلِّ أحدٍ .

٤٥٤ — سوء العادة كمينٌ لا يؤْمَنُ

٤٥٥ — العادةُ طبيعةٌ ثانيةٌ غالبةٌ

٤٥٦ — التحنّي والقدُّ القطيعةِ

٤٥٧ — صديقُكَ مَن نهاك ، وعدوّك من أغراك

٤٥٨ — يا عجبا من علّةِ الحسادِ من سلامةِ الأجساد .

٤٥٩ — من سعادةِ المرء أن يطولَ عمرُه ويرى في أعدائه ما يسرُّه .

٤٦٠ — الضغائن تورَثُ كما تورث الأموالُ

---

(١) الأعلاق : الأشياء النفيسة القيمة

٤٦١ — رُبَّ عزيزٍ أذلّهُ خُرقُهُ، وذليلٍ أعزّهُ خُلُقُهُ.

٤٦٢ — لا يصلحُ اللئيمُ لأحدٍ، ولا يستقيمُ إلا من فرَقٍ أو حاجةٍ ؛ فإذا استغنى أو ذهب خوفُهُ عاد إليه جوهرُهُ.

٤٦٣ — ثلاثةٌ في المجلس وليسوا فيه : الحاقنُ، والضّيقُ الخفِّ، والسيّءُ الظنِّ بأهلهِ.

٤٦٤ — وسُئِلَ : ما أنقى الأشياء في نفوس الناس ؟ فقال : أما في أنفس العُلماء فالنَّدامةُ على الذنوب، وأما في نفوس السفهاء فالحقدُ.

٤٦٥ — إذا انقضى مُلكُ قوم جُبِّنُوا في آرائهم.

٤٦٦ — الضعيفُ المحترس من العدوِّ القوى أقربُ إلى السلامةِ من القوى المغترّ بالعدوِّ الضعيفِ.

٤٦٧ — الحزنُ سوء استكانةٍ، والغضبُ لؤمُ قدرةٍ.

٤٦٨ — كلُّ ما يؤكلُ ينتِنُ، وكلُّ ما يوهَبُ يأرَجُ.

٤٦٩ — الطَّرَشُ في الكرامِ، والهوَجُ في الطوالِ، والكيْسُ في القصارِ، والفتْلُ في الربْعةِ، وحسن الخلُق في الحولِ، والكِبْرُ في العورِ، والبَهتُ في العميانِ، والذكاء في الخُرسِ.

٤٧٠ — ألأمُ الناسِ مَن سعى بإنسانٍ ضعيفٍ إلى سلطانٍ جائرٍ.

٤٧١ — أعسر الحِيَل تصويرُ الباطلِ في صورةِ الحقِّ عند العاقلِ المُميِّزِ.

٤٧٢ — العذْرُ دلٌّ حاضرٌ، والغيبةُ لؤمٌ باطنٌ.

٤٧٣ — القلب الفارغ يبحث عن السوء واليد الفارغة تنازع إلى الإثم.

٤٧٤ — لا كثير مع إسرافٍ، ولا قليل مع احترافٍ، ولا ذنب مع اعترافٍ.

٤٧٥ — المتعبِّدُ على غير فقهٍ كحمارِ الرحا يدور ولا يبرح .

٤٧٦ — المحرومُ من طالَ نصبهُ ، وكان لغيرهِ مكسبهُ .

٤٧٧ — في الاعتبار غنًى عن الاختبار .

٤٧٨ — غيظ البخيلِ على الجوادِ أعجبُ من بخلهِ .

٤٧٩ — أذلُّ الناس مُعتذرٌ إلى اللئيم .

٤٨٠ — أشجعُ الناس أثبتهمْ عقلاً في بداهةِ الخوف .

٤٨١ — المعتذرُ منتصرٌ ، والمعاتِبُ مُغاضِبٌ .

٤٨٢ — المرُوءةُ بلا مالٍ كالأسدِ الذي يُهابُ ولم يفترسْ ، وكالسيفِ الذي يخافُ وهوَ مغمدٌ ؛ والمالُ بلا مُرُوءةٍ كالكلبِ الذي يجتنبُ عقراً ولم يعقرْ ، .

٤٨٣ — عليكم بالأدب ، فإن كنتمْ مُلوكاً جدتمْ ، وإن كنتم وَسطاً فقتمْ ، وإن أعوزتكم المعيشةُ عشتم بأدبكم .

٤٨٤ — الملوكُ حُكَّامٌ على الناس ، والعلماء حُكَّامٌ على الملوكِ .

٤٨٥ — لا ينبغي للعاقل أن يكون إلاَّ في إحدى منزلتين : إمَّا في الغاية القصوى مِنْ مطالبِ الدُّنيا ، وإمَّا في الغايةِ القصوى من التركِ لها .

٤٨٦ — من أفضل أعمال البرِّ الجودُ في العسْرِ ، والصدقُ في الغضبِ ، والعفوُ عند القدْرةِ .

٤٨٧ — إنَّ الله أنعم على العبادِ بقدْرِ قدْرتهِ ، وكلفهمْ من الشكْرِ بقدْرِ قدْرتهمْ .

٤٨٨ — العيشُ في ثلاث : صديقٌ لا يعدُّ عليكَ في أيام صداقتكَ ما يرمى به أيامَ عَداوتكَ ، وزَوْجةٌ تسرُّكَ إذا دخلتَ عليها وتحفظ غيبكَ إذا غبتَ عنها ، وغلامٌ يأتي على ما في نفسك كأنهُ قد علمَ ما تريد.

٤٨٩ — تحتاجُ القرابةُ إلى مودّةٍ ولا تحتاج المودة إلى قرابة .

٤٩٠ — الصابرُ على مخالطةِ الأشرارِ وصحبتهم ، كراكبِ البحرِ إن سلمَ ببدنِه من التلفِ ، لم يسلم قلبه من الحذرِ .

٤٩١ — لأخيك عليكَ إذا حزبه أمرٌ أن تشير عليهِ بالرأي ما أطاعك ، وتبذلَ له النصرَ إذا عصاكَ .

٤٩٢ — الغيبةُ ربيعُ اللئام .

٤٩٣ — أطولُ الناس نصبًا الحريصُ إذا طمع ، والحقودُ إذا منع .

٤٩٤ — الشريف دُونَ حقِّهِ يُعتل ويعطي نافلةً فوق الحقِّ عليه .

٤٩٥ — احمل عمرَكَ كنفقةٍ دُفعتْ إليك ؛ فكما لا تحبُّ أن يذهبَ ما ندفعُ ضياعاً فلا تذهب عمرَكَ ضياعاً .

٤٩٦ — منْ أظهر شكرَكَ فيما لم تأتِ إليه ، فاحذرْ أنْ يكفرَكَ فيما أسديتَ إليه .

٤٩٧ — لا تستعنْ في حاجتكَ بمن هوَ للمطلوبِ إليه أنصحُ منهُ لك .

٤٩٨ — لا يؤمننك من شرِّ جاهلٍ قرابةٌ ولا جوارٌ ، فإنَّ أخوفَ ما تكونُ لحريقِ النارِ أقربُ ما تكونُ إليها .

٤٩٩ — كنْ في الحرصِ على تفقّدِ عيوبك كعدوِّكَ .

٥٠٠ — عليك بسوءِ الظنِّ ، فإن أصاب فالحزم وإلا فالسلامةُ .

٥٠١ — رضا الناسِ غايةٌ لا تدركُ ، فتحرَّ الخير بجهدِكَ ، ولا تبالِ بسخط من يرضيه الباطلُ .

٥٠٢ — لا تماكِسْ فى البيع والشراء : فما يضيعُ من عرضِك أكثرُ مما تنالُ من عَرَضِك .

٥٠٣ — الدَّيْنُ رِقٌّ فلا تبذلْ رِقَّكَ لِمَنْ لا يعرفُ حقَّك .

٥٠٤ — احذرْ كلَّ الحذرِ أن يخدعَك الشيطانُ فيمثِّل لكَ التوانى فى صُورَةِ التَّوَكُّل ، ويورثك الهوينى بالإحالة على القَدَرِ ؛ فإن الله أمر بالتوكلِ عند انقطاعِ الحِيَل ، وبالتسليم للقضاء بعد الإعذار ، فقال : ﴿ خُذُوا حِذْرَكُم[1] ﴾ ، ﴿ ولا تُلقُوا بأيديكم إلى التَّهْلُكَةِ[2] ﴾ ، وقال النبىُّ صلى الله عليه وآله : « اعقِلْها وتوكل » .

٥٠٥ — لا تصحب فى السفر غنيًّا : فإنك إنْ ساوَيتَه فى الإنفاق أضرَّ بك ، وإنْ تفضَّلَ عليك استذلَّك .

٥٠٦ — إذا سألتَ كريمًا حاجةً فدَعْه يفكرْ ، فإنه لا يفكر إلا فى خيرٍ ؛ وإذا سألتَ لئيمًا حاجةً فعاجِلْه[3] فإنه إذا[4] فكَّر عادَ إلى طبعِه .

٥٠٧ — ما أقبح بالصَّبيحِ الوجهِ أنْ يكون جاهلاً ! كدارٍ حسنةِ البناء وساكنها شرٌّ ، وكجنة يعمرها بُومٌ ، أو صيرفيَّةٍ يحرسها ذئبٌ .

٥٠٨ — قبيح بذى العقل أنْ يكون بهيمةً وقد أمكنه أن يكون إنسانًا ، وأن يكون إنسانًا وقد أمكنه أن يكون ملَكًا ، وأن يرضى لنفسه قُنْيَةً مُعارةً وحياةً مُسْتَرَدَّةً ؛ وله أن يتعمد قُنْيَةً مُخَلَّدَةً وحياةً مُؤَبَّدَةً .

٥٠٩ — الذى يستحقُّ اسمَ السعادة على الحقيقة سعادةُ الآخرة ، وهى أربعة أنواع : بقاء بلا فناء ؛ وعلم بلا جهل ، وقُدْرة بلا عجزٍ ، وغِنًى بلا فقر .

---

(١) سورة النساء ٧١
(٢) سورة البقرة ١٩٥
(٣) عاجله ، أى أخذه على غرة
(٤) ب : « إن أفكر »

٥١٠ — ما خاب مَن استخارَ

٥١١ — الدَّيِّنُ قد كُشف عن غِطاء قلبه ، يرى مطويه قد طبق الخافقين فلا يقعُ بَصَرُهُ على شيء إلاَّ رَآهُ فيه .

٥١٢ — من غَرَس النخل أكلَ الرُّطب ، ومَن غرس الصفصاف والعُلّيق عدِم ثمرته ، وذَهَبَتْ ضياعاً خدمته .

٥١٣ — إذا أردْت العلم والخير فانفض عن يدك أداة الجهل والشرّ ، فإنّ الصائغ لا يتهيّأُ له الصِّياغةُ إلاَّ إذا ألقى أداةَ الفلاحَة عن يده .

٥١٤ — الصبر مِفتاحُ الفَرَج .

٥١٥ — غاية كلِّ مُتعمِّقٍ في علمٍ أن يجهل

٥١٦ — ستعرف الحال على حقيقتها ؛ ولكن حيثُ لا تستطيع أن تذاكر أحداً بها .

٥١٧ — السعادة التامّة بالعلم ، والسعادة الناقصة بالزهد ، والعبادةُ من غير علمٍ ولا زهادة تعب الجسد .

٥١٨ — الآمال مطايا ؛ وربما حَسِرتْ ، وتَفَتّت أخفافُها .

٥١٩ — حبُّ الرياسةِ شاغلٌ عن حبِّ الله سبحانه

٥٢٠ — يا أبا عبيدة ، طال عليك العهدُ فنسيت أم تناسَيْت فأُنسيت ! لقد سمعتَها ووعيتَها فهلاّ رعيتَها !

٥٢١ — قال لمّا سمعتُ خطبة عمرَ بالمدينة التي شرح فيها قصة السقيفة : معذرةٌ وربِّ الكعبة ؛ ولكن بعد ماذا ! هيهات علقت مَعاليقها ، وضرّ الجندُب .

٥٢٢ — أوّلُ مَن جرّأ الناسَ علينا سعدُ بنُ عبادة ؛ فتح باباً ولجَه

غيرُهُ ، وأضرمَ ناراً كان لهبُها عليه ، وضوؤها لأعدائه .

٥٢٣ — مالنا ولقريش ! يخضمون الدنيا باسمنا ويطئون على رقابنا ؛ فيا لله وللعجب ! من اسمٍ جليلٍ لمسمّى ذليلٍ .

٥٢٤ — الخيرُ كلُّهُ في السيفِ ، وما قام هذا الدّينُ إلاّ بالسيف ؛ أتعلمون ما معنى قولِهِ تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديدٌ ﴾ ؟ هذا هو السيفُ .

٥٢٥ — لم يمتْ من لم يمتْ .

٥٢٦ — مَن فسدت بطانتُهُ كان كمن غَصَّ بالماء ، فإنه لو غَصَّ بغيرِهِ لأساغ الماءُ غُصّتَهُ .

٥٢٧ — من ضنَّ بعرضِهِ فليدعِ المِراء .

٥٢٨ — مَن أيقظ فتنةً فهو آكلُها .

٥٢٩ — مَن أثرى كَرُم على أهلِه ، ومَن أملق هان على وَلَدِهِ .

٥٣٠ — مَن أمِلَ أحداً هابَهُ ، ومَن جهل شيئاً عابَهُ .

٥٣١ — أسوأُ الناس حالا مَن لا يثقُ بأحد لِسُوء ظنه ، ولا يثقُ بهِ أحدٌ لِسُوءِ أثرِهِ .

٥٣٢ — أحَبُّ النّاس إليك مَن كثُرَتْ أياديه عندك ، فإن لم تكن فمن كثرت أياديك عندهُ .

٥٣٣ — من طال صمتُهُ اجتلب من الهيبةِ ما ينفعهُ ، ومن الوَحشةِ ما لا يَضُرُّهُ .

٥٣٤ — مَن زاد عقلُهُ نقص حظُّهُ ، وما جعل اللهُ لأحدٍ عقلا وافراً إلاّ احتسَبَ بهِ عليه من رزقِهِ .

٥٣٥ — مَن عمل بالعدلِ فيمَنْ دُونه ؛ رُزِقَ العدلَ ممَّنْ فوقه .

٥٣٦ — مَن طَلَبَ عِزاً بظُلمٍ وباطلٍ أورثَهُ اللهُ ذلاً بإنصافٍ وحقٍّ .

٥٣٧ — من وَطِئَتهُ الأعينُ ، وطِئَتهُ الأرجُل .

٥٣٨ — ينادي منادٍ يومَ القيامةِ : مَن كانَ له أجرٌ على اللهِ فليقُم ، فيقومُ العافون عن الناس ، ثم تلا : ﴿ فمَنْ عفا وأصلَحَ فأجرُهُ على اللهِ ﴾ .

٥٣٩ — اصحَبِ الناسَ بأيِّ خُلُقٍ شِئتَ يَصحَبوكَ بمثلِهِ .

٥٤٠ — كأنك بالدُّنيا لم تكُن ، وكأنك بالآخرةِ لم تزَل .

٥٤١ — قال لمريضٍ أبَلَّ من مرَضِهِ : إن اللهَ ذكرَكَ فاذكُرْهُ ، وأقالَكَ فاشكُرْهُ .

٥٤٢ — الدُّنيا دارُ مَن لا دارَ له ، ولها يجمعُ مَن لا عقلَ له ، فأنزِلوها منزلَها .

٥٤٣ — لا تستصغِرَنَّ أمرَ عدوِّكَ إذا حاربتَهُ ؛ فإنك إن ظفرتَ به لم تُحمَد ، وإن ظفرَ بكَ لم تُعذَر ؛ والضعيفُ المحترِسُ من العدوِّ القويِّ أقربُ إلى السلامةِ من القويِّ المُغترِّ بالضعيف .

٥٤٤ — لا تَصحَبْ مَن تحتاجُ إلى أن تكتُمَهُ ما يعرفُ اللهُ منك .

٥٤٥ — لا تسألْ غيرَ الله ؛ فإنه إن أعطاكَ أغناك .

٥٤٦ — الصاحبُ كالرُّقعةِ في الثوبِ ، فاتخِذْهُ مُشاكِلاً .

٥٤٧ — إياكَ وكثرةَ الإخوانِ ؛ فإنه لا يؤذيكَ إلا مَن يعرفُك .

٥٤٨ — دَعِ اليمينَ للهِ إجلالاً ، وللناسِ جمالاً .

٥٤٩ — العاداتُ قاهراتٌ ، فمَن اعتادَ شيئاً في سِرِّهِ فضحَهُ في علانيتِهِ .

٥٥٠ — إذا كان لك صديقٌ ولم تحمد إخاءَهُ ومودتَهُ فلا تُظهِرْ ذلكَ للناس ؛ فإنما هو بمنزلةِ السيفِ الكليلِ في منزلِ الرجلِ ، يُرهِبُ به عدوَّهُ ، ولا يعلمُ العدوُّ أصارِمٌ هو أم كليلٌ !

٥٥١ — دَعِ الذنوب قبل أن تَدَعَكَ

٥٥٢ — إذا نزل بك مَكروهٌ فانظر ؛ فإن كان لك حيلةٌ فلا تَعجز ، وإن لم يكن فيه حيلة فلا تجزع .

٥٥٣ — تعلَّموا العلمَ ، فإنه زَيْنٌ للغنيّ وعونٌ للفقير ، ولستُ أقول إنه يَطلبُ به ، ولكن يدعوهُ إلى القناعةِ .

٥٥٤ — لا ترضَيَنَّ قولَ أحدٍ حتى ترضى فعلَهُ ، ولا ترضَ فعلَه حتى ترضى عقلَه ، ولا ترضَ عقله حتى ترضى حياءَهُ ؛ فإن الإنسان مَطبوعٌ على كرمٍ ولُؤمٍ ؛ فإن قَوِيَ الحياء عنده قَوِيَ الكرمُ ، وإن ضعُفَ الحياء قَوِيَ اللُّؤْمُ .

٥٥٥ — تعلَّمُوا العلم وإن لم تنالوا به حظّاً ؛ فَلَأَنْ يَذُمَّ الزمان لكم أحسن من أن يَذُمَّ بكم .

٥٥٦ — اجعل سِرّكَ إلى واحد ، ومشورتَكَ إلى ألف .

٥٥٧ — إن الله خلق النساء من عِيٍّ وعَورَةٍ ، فداوُوا عِيَّهُنَّ بالسكوت ، واستُرُوا العَوْرَةَ بالبيوتِ .

٥٥٨ — لا تَعِدَنَّ عِدَةً لا تثق من نفسك بإنجازها ، ولا يَغُرَّنَّكَ المُرتَقَى السهلُ إذا كان المُنحَدَرُ وَعْراً . واعلم أن للأعمال جزاء فاتّقِ العواقب ، وأن للأمور بَغَتات فكُنْ على حَذَرٍ .

٥٥٩ — لا تجاهِدِ الطلبَ جهادَ مُغالِب ، ولا تتكِلْ على القدر اتّكال المُستَسلِم ؛ فإنّ ابتغاء الفضل من السُّنَّةِ ، والإجمال في الطلب من العِفَّةِ ؛ وليست العِفّةُ بدافعةٍ رِزْقاً ، ولا الحرص بجالبٍ فضلاً .

٥٦٠ — مَن لم تستقم له نفسُهُ ، فلا يَلُومَنَّ من لم يستقِمْ له .

٥٦١ — من رَجِي الرِّزْقَ لديه صُرِفت أعناقُ الرِّجال إليه

٥٦٢ — من استحمَكَ مؤمِّلاً فقد أسلفتَ حُسْنَ الظن.

٥٦٣ — إذا شئت أن تُطاعَ فاسأل ما يُستطاعُ.

٥٦٤ — من أعذر كمن أنجح.

٥٦٥ — مَنْ كانت الدنيا همَّهُ كثُرَ في الدنيا غمُّهُ

٥٦٦ — من أجمل في الطَّلب أتاهُ رزقُهُ من حيثُ لا يحتسبُ

٥٦٧ — مَن ركِب المَحَجَّة لم يأمن الكبوة.

٥٦٨ — مَن لم يثق لم يُوثَقْ به.

٥٦٩ — مَن أعانه الدهرُ أفادَ منه[1].

٥٧٠ — من أكثر ذِكْرَ الضغائن اكتسب العداوة.

٥٧١ — من لم يحمدْ صاحبَهُ على حسن نيتِهِ لم يحمدْهُ على حسن الصنيعِ

٥٧٢ — تأمَّلْ ما تتحدَّثُ به، فإنما تُملي على كاتبيك صحيفةً يوصلانها إلى ربك، فانظرْ على من تُملي، وإلى من تكتبُ

٥٧٣ — أقم الرغبة إليك مقام الحرمة بك، وعظِّمْ نفسك عن التعظم، وتطوَّلْ ولا تتطاوَلْ.

٥٧٤ — عاملوا الأحرارَ بالكرامةِ المحضَة، والأوساط بالرغبة والرهبة، والسفلة بالهوان.

٥٧٥ — كنْ للعدُوِّ المكاتمِ أشدَّ حذراً منك للعدُوِّ المبارز.

٥٧٦ — احفظ شيئَك ممن تستحي أن تسألهُ عن مثلِ ذلك الشيء إذا ضاعَ لك.

---

(١) أفاد، أي استفاد

٥٧٧ — إذا كنتَ في مجلسٍ ولم تكن المحدِّثَ ولا المحدَّثَ فقمْ .

٥٧٨ — لا تستصغرنّ حدثاً(1) من قريش ، ولا صغيراً من الكُتّاب ؛ ولا صعلوكاً من الفرسان ؛ ولا تصدقنّ ذمّيّاً ولا خصيّاً ولا مؤنثاً ، فلا ثبات لمودّاتهم .

٥٧٩ — لا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً فيقصّرَ بفعلك ، ولا جباناً فيخوّفك ما لا تخافُ ، ولا حريصاً فيعدك ما لا يُرجى ؛ فإنّ الجبنَ والبخلَ والحرصَ طبيعة واحدة ؛ يجمعها سوء الظنّ بالله تعالى .

٥٨٠ — لا تكن يمنّ نفسهُ على مبطلٍ ، ولا يعلنها على ما يستيقنُ .

٥٨١ — اعصِ هواكَ والنساء وافعلْ ما بدا لكَ .

٥٨٢ — ما كنتَ كاتمهُ من عدوّكَ فلا تظهرْ عليه صديقكَ .

٥٨٣ — كلْ من الطعام ما تشتهي ، والبسْ من الثياب ما يشتهي الناسُ .

٥٨٤ — ولتكن داركَ أوّلَ ما تبتاعُ وآخرَ ما تبيعُ .

٥٨٥ — من كانَ في يده شيء من رزق الله سبحانه فليصلحهُ ؛ فإنكم في زمان إذا احتاجَ المرءُ فيه إلى الناسِ كانَ أوّلَ ما يبذلهُ لهم دينهُ .

٥٨٦ — ابذلْ لصديقكَ مالكَ ، ولمعرفتكَ رفدكَ ومحضرَكَ ؛ وللعامةِ بشرَكَ وتحننكَ ، ولعدوّكَ عدلَكَ وإنصافكَ ، واضننْ بدينكَ وعرضكَ عن كلّ أحد .

٥٨٧ — جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء ؛ فإن العقل يقع على العقل .

٥٨٨ — كنْ في الحرب بحيلتكَ أوثقَ منكَ بشدّتكَ ، وبحذرِكَ أفرحَ منكَ بنجدتكَ ؛ فإن الحربَ حربُ المتهوّرِ وغنيمةُ المتحذّرِ .

٥٨٩ — النعمُ وحشيّةٌ فقيدوها بالمعروف .

---

(1) حدثاً : أي صغير السن .

٥٩٠ — إن أخطأتك الصنيعة إلى من يتقي الله فاصنعها إلى من يتقي النار.

٥٩١ — لا تشتغل بالرزق المضمون عن العمل المفروض.

٥٩٢ — إن أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبنك ذلك، فإن زوال الكرامة بزوالهما، ولكن ليعجبك إن أكرمك الناس لدين أو أدب.

٥٩٣ — يسعى لمن لم يكرم وجهه عن مسألتك أن تكرم وجهك عن رده.

٥٩٤ — إياك ومشاورة النساء؛ فإن رأيهن إلى أفن، وعزمهن إلى وهن، واكفف من أبصارهن بحجابك إياهن، فإن شدة الحجاب خير لك من الارتياب، وليس خروجهن بأشد عليك من دخول من لا يوثق به عليهن؛ وإن استطعت ألا يعرفن غيرك فافعل؛ ولا تملك امرأة من الأمر ما جاوز نفسها؛ فإن ذلك أنعم لبالها، وأرخى لحالها؛ وإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة؛ فلا تعد بكرامتها نفسها، ولا تطمعها أن تشفع لغيرها؛ ولا تطل الخلوة معهن فيمللنك، وتملهن، واستبق من نفسك بقية؛ فإن إمساكك عنهن وهن يرينك ذا اقتدار خير من أن يهجمن منك على انكسار. وإياك والتغاير في غير موضع الغيرة، فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم.

٥٩٥ — إذا أردت أن تختم على كتاب، فأعد النظر فيه؛ فإنما تختم على عقلك.

٥٩٦ — إن يومًا أسكر الكبار وشيب الصغار لشديد.

٥٩٧ — كم من مبترد له الماء والحميم يغلي له.

٥٩٨ — الصلاة صابون الخطايا.

٥٩٩ — إن امرأً عرف حقيقة الأمر، وزهد فيه لأحمق، وإن امرأً جهل حقيقة الأمر مع وضوحه لجهول.

٦٠٠ — إذا قالَ أحدكم: واللهِ، فلينظرْ ما يضيفُ إليها.

٦٠١ — رأيُكَ لا يتّسعُ لِكلِّ شيءٍ؛ ففرِّغْهُ للمهمِّ من أمورِكَ، ومالُكَ لا يُغني النّاسَ كلَّهم فاخصُصْ به أهلَ الحقِّ، وكرامتُكَ لا تطيقُ بذلَها في العامّةِ، فتوخَّ بها أهلَ الفضلِ؛ وليلُكَ ونهارُكَ لا يستوعبانِ حوائجَكَ فأحسنِ القسمةَ بين عملِكَ ودعتِكَ.

٦٠٢ — أحيِ المعروفَ بإماتتِهِ.

٦٠٣ — استحيوا من بذكرِ إحسانِكم إليهِ، وينسى أياديَهُ عندكم.

٦٠٤ — جاهِدُوا أهواءَكم كما تجاهِدُونَ أعداءَكم.

٦٠٥ — إذا رغبتَ في المكارمِ فاجتنبِ المحارمَ.

٦٠٦ — لا تثقْ كلَّ الثقةِ بأخيكَ، فإنّ صرعةَ الاسترسالِ لا تقالُ.

٦٠٧ — انتقمْ من الحرصِ بالقناعةِ، كما تنتقمُ من العدوِّ بالقصاصِ.

٦٠٨ — إذا قصُرتْ يدُكَ عن المكافأةِ، فليطلْ لسانُكَ بالشكرِ.

٦٠٩ — منْ لمْ ينشطْ لحديثِكَ فارفعْ عنهُ مؤونةَ الاستماعِ منكَ.

٦١٠ — الزمانُ ذو ألوانٍ، ومنْ يصحبِ الزمانَ يرَ الهوانَ.

٦١١ — لا تزهدنَّ في معروفٍ، فإنّ الدهرَ ذو صروفٍ؛ كم من راغبٍ أصبحَ مرغوباً إليهِ، ومتبوعٍ أمسى تابعاً.

٦١٢ — إن عاشتَ يوماً على الناسِ فلا تعش على الحياةِ على كلِّ حالٍ.

٦١٣ — كُنْ أحسنَ ما تكونُ في الظاهرِ حالاً أقلَّ ما تكونُ في الباطنِ مالاً.

٦١٤ — لا تكونَنَّ المحدِّثَ من لا يسمعُ منهُ، والداخلَ في سرِّ اثنينِ لم يُدخِلاهُ

فيه ، ولا الآتى وليمةً لم يُدْعَ إليها ، ولا الجالسَ فى مجلسٍ لا يستحقُّهُ ، ولا طالبَ الفضلِ من أيدى اللئامِ ، ولا المتحمّقَ فى مداناةٍ ، ولا المتعرّضَ للخيرِ من عندِ العدوِّ .

٦١٥ — اطبعِ الطّينَ مادامَ رطْباً ، واغرسِ العودَ مادامَ لدْناً .

٦١٦ — خَفِ اللهَ حتى كأنّكَ لم تُطِعْهُ ، وارجُ اللهَ حتى كأنّكَ لم تعصِهِ .

٦١٧ — لا تمنعْ فى سلامِكَ على إخوانِكَ حدَّ النفاقِ ، ولا تقصّرْهُمْ عن درجةِ الاستحقاقِ .

٦١٨ — انصحْ لكلِّ مستشيرٍ ، ولا تستشِرْ إلا الناصحَ اللبيبَ .

٦١٩ — ما أقبحَ بكَ أن ينادَى غداً يا أهلَ خطيئةِ كذا ؛ فتقومَ معهم ، ثم ينادى ثانياً : يا أهلَ خطيئةِ كذا ، فتقومَ معهم ، ما أراكَ يا مسكينُ إلا تقومُ مع أهلِ كلِّ خطيئةٍ !

٦٢٠ — ما أصابَ أحدٌ دماً ليلاً إلا أصبحَ وعليهِ مذلّتُهُ .

٦٢١ — الاستغفارُ يحتُّ الذنوبَ حتَّ الورقِ ، ثمَّ تلا قولَهُ : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [1] .

٦٢٢ — أيُّها المستكثرُ من الذنوبِ ، إنَّ أباكَ أُخرِجَ من الجنّةِ بذنبٍ واحدٍ .

٦٢٣ — إذا عصى الرّبَّ من يعرفهُ سلّطَ عليه من لا يعرفهُ .

٦٢٤ — لقاءُ أهلِ الخيرِ عمارةُ القلوبِ .

٦٢٥ — أنا من رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم كالعضدِ من المنكبِ ، وكالذّراعِ

---

(١) سورة النساء : ١١٠ .

منَ العَضُدِ ، وكالكَفِّ منَ الذراعِ ؛ رَبّاني صغيراً ، وآخاني كبيراً ؛ ولقدْ علمتُم أنّي كانَ لي منهُ مجلسُ سرٍّ لا يَطّلِعُ عليه غيري ، وأنّهُ أوصَى إليّ دونَ أصحابِهِ وأهلِ بيتِهِ ؛ ولأقولَنّ مالم أقُلْهُ لأحدٍ قبلَ هذا اليوم ، سألتُهُ مرّةً أن يدعوَ لي بالمغفرةِ فقال : أفعلُ ، ثمّ قامَ فصلّى ؛ فلمّا رفعَ يدهُ للدُّعاء استمعتُ عليه ، فإذا هوَ قائلٌ : اللّهمّ بحقّ عليٍّ عندكَ اغفرْ لعليٍّ ؛ فقلتُ : يارسولَ اللهِ ، ماهذا ؟ فقال : أوَاحدٌ أكرمُ منكَ عليهِ فأستشفعَ بهِ إليه !

٦٢٦ — واللهِ ماقلعتُ بابَ خيبرَ ، ودكدكتُ[1] حِصنَ يهودٍ بقوّةٍ جسمانيّةٍ بل بقوّةٍ إلهيّةٍ .

٦٢٧ — يابنَ عوفٍ ، كيفَ رأيتَ صنيعتكَ مع عثمانَ ؟ رُبَّ واثقٍ خجِلَ ، ومَنْ لمْ يتوخَّ بعملِهِ وجهَ اللهِ عادَ مادحُهُ منَ الناسِ له ذامًّا .

٦٢٨ — لو رأيتَ مافي ميزانِكَ لختمتَ على لسانِكَ .

٦٢٩ — ليس الحلمُ ما كانَ حالَ الرضا ، بل الحلمُ ما كانَ حالَ الغضبِ .

٦٣٠ — ليس شيءٌ أقطعَ لظهرِ إبليس منْ قولِ : لا إلهَ إلاّ اللهُ ، كلمةَ التقوى .

٦٣١ — لا تحملوا ذنوبَكمْ وخطاياكمْ على اللهِ ، وتدرّؤوا أنفسَكمْ والشيطانَ .

٦٣٢ — إنّ أخوفَ على هذهِ الأمّةِ منَ الدّجّالِ ، أئمّةٌ مُضِلُّونَ وهُمْ رؤساءُ أهلِ البِدَعِ .

٦٣٣ — إذا زَلَلْتَ فارجعْ ، وإذا ندمتَ فأقلعْ ، وإذا أسأتَ فاندمْ ؛ وإذا منَنْتَ فاكتُمْ ، وإذا منعتَ فأجمِلْ ، ومنْ يشتَرِ المعروفَ يكنْ ربحُهُ الحمدَ .

---

(١) دككته الحصن : هدمه .

٦٣٤ — استشرْ عدوَّكَ تجربةً لتعلمَ مقدارَ عداوتِهِ .

٦٣٥ لا تطلُبَنَّ من عبدكَ العامَ ماوعدتَكَ عاماً أوّلَ .

٦٣٦ أطولُ الناس عُمراً من كثُرَ عددُهُ ، فتأدّبَ به مَنْ بعدَهُ ، أو كثُرَ معروفُهُ فشرُفَ به عقبُهُ .

٦٣٧ — استهينوا بالموت فإنّ مرارتَهُ في خوفِهِ .

٦٣٨ لادينَ لمنْ لا نيّةَ لهُ ، ولا مالَ لمنْ لا تدبيرَ لهُ ، ولا عيشَ لِمَنْ لا رِفْقَ لهُ .

٦٣٩ مَنِ اشتغلَ بتعقُّدِ اللفظِ ، وطلبِ السَّجْعَةِ (١)، نسيَ الحجّةَ .

٦٤٠ — الدُّنيا مطيّةُ المؤمنِ ، عليها يرتحلُ إلى ربّهِ ، فأصلحوا مطاياكُمْ تُبلّغكمْ إلى ربّكمْ .

٦٤١ من رأى أنّهُ مسيءٌ فهو محسنٌ ، ومن رأى أنّهُ محسنٌ فهو مسيءٌ .

٦٤٢ — سيّئةٌ تسوءكَ خيرٌ منْ حسنةٍ تعجبُكَ

٦٤٣ — اطلبوا الحاجاتِ بعزّةِ الأنفُسِ ؛ فإنّ بيدِ الله قضاءها .

٦٤٤ — عَذِّبْ حُسّادَكَ بالإحسانِ إليهمْ .

٦٤٥ — إظهارُ الفاقةِ من خمولِ الهمّةِ .

٦٤٦ — ياعارمُ ، قد قامَ عليكَ حُجّةُ العِلْمِ ، فاستيقظْ من رقدتِكَ .

٦٤٧ — الرِّفقُ يفلُّ حدَّ المخالفةِ .

٦٤٨ — أرْجحُ الناسِ عقلاً ، وأكملُهمْ فضلاً من صحبَ أيّامَهُ بالموادعةِ ، وإخوانَهُ بالمسالمةِ ، وقَبِلَ من الزمانِ عفوَهُ .

---

(١) أي من طلب ترديد الكلام

٦٤٩ — الوُجُوهُ إذا كثُرَ تقابُلُها ، اعتصرَ بعضُها ماءَ بعضٍ .

٦٥٠ — أداءُ الأمانةِ مِفتاحُ الرِّزقِ .

٦٥١ — حَصِّنْ عِلمَكَ منَ العُجْبِ ، ووقارَكَ من الكِبْرِ ، وعطاءَكَ منَ السَّرَفِ ، وصرامتَكَ منَ الخُرقِ ، وعقوبتَكَ منَ الإفراطِ ، وعَفْوَكَ منْ تعطيلِ الحدودِ ، وصَمْتَكَ من العِيِّ ، واستماعَكَ مِنْ سُوءِ الفَهمِ ، واستئناسَكَ من البَذاءِ ، وخَلَواتِكَ مِنَ الإضاعةِ ، وعَزَماتِكَ منَ اللَّجاجةِ ، وَوَرَعَكَ منَ الاستسلامِ ، وحَذَراتِكَ منَ الجُبْنِ .

٦٥٢ — لا تجِدُ لسرورٍ محسودٍ أماناً مِنْ أذاهُ أوثقَ منَ البُعدِ عنه ، والاحتراسِ .

٦٥٣ — احذرْ من أصحابِكَ وعاطفيكَ الكثيرَ لمسألةٍ ، الخشنَ البحثِ ، اللطيفَ الاستدراجِ ، الذي يحفظُ أوّلَ كلامِكَ على آخرِهِ ، ويعتبرُ ما أخّرتَ بما قدّمتَ ، ولا تُظهِرَنَّ له الحاجةَ فيرى أنكَ قد تحرَّزْتَ وتحفَّظْتَ واعلم أنّ منْ يقظةِ الفِطنةِ إظهارَ الغفلةِ مع شدّةِ الحذرِ ، فخالِطْ هذا مخالطةَ الآمنِ ، وتحفَّظْ منهُ تحفُّظَ الخائفِ ؛ فإنَّ البَحْثَ يُظهِرُ الخفيَّ ، ويُبْدي المستورَ الكامنَ

٦٥٤ — من سَرَّهُ الغِنى بلا سعيٍ ، والكثرةُ بلا عشيرةٍ ، فليخرجْ منْ ذُلِّ معصيةِ اللهِ إلى عزِّ طاعتهِ ؛ فإنّهُ واجدٌ ذلكَ كلّه .

٦٥٥ — الشَّيبُ إنذارُ الموتِ .

٦٥٦ — منْ ساسَ نفسَهُ بالصبرِ على جهلِ الناسِ صلَحَ أنْ يكونَ سائساً .

٦٥٧ — للهِ تعالى كلَّ لحظةٍ ثلاثةُ عساكرَ . عسكرٌ ينزِلُ منَ الأصلابِ إلى الأرحامِ ، وعسكرٌ يبرزُ منَ الأرحامِ إلى الأرضِ ، وعسكرٌ يرتحِلُ من الدُّنيا إلى الآخرةِ .

٦٥٨ — اللهمَّ ارحمني رحمةَ الغفرانِ ، إن لم ترحمني رحمةَ الرضا .

٦٥٩ — إلهي كيفَ لا يحسنُ منّي الظنُّ ؛ وقد حسُنَ منكَ المنُّ ! إلهي إنْ عاملتنا بعدْلِكَ لمْ يبقَ لنا حسنةٌ ، وإنْ أنلتنا فضلكَ لمْ يبقَ لنا سيِّئةٌ .

٦٦٠ — العلمُ سُلطانٌ ، منْ وجدهُ صالَ به ، ومنْ لم يجدْهُ صِيلَ عليه .

٦٦١ — يابنَ آدمَ إنما أنتَ أيامٌ مجموعةٌ ؛ فإذا مضى يومٌ مضى بعضُكَ .

٦٦٢ — حيثُ تكونُ الحكمةُ تكونُ خشيةُ اللهِ ، وحيثُ تكونُ خشيتهُ تكونُ رحمته

٦٦٣ — اللهمَّ إني أرى لَدَيَّ منْ فضلكَ مالمْ أسألْكَ ، فعلمت أنَّ لديكَ من الرحمة مالا أعلم ، فصغرتْ قيمةُ مطلبي فيما عاينت ، وقصرتْ غايةُ أملي عندما رجوتُ ، فإنْ ألحفت في سُؤالي فسياقي إلى ما عندك ، وإن قصَّرتُ في دعائي فيما عوَّدْتَ من ابتدائكَ .

٦٦٤ — منْ كانَ همَّتهُ ما يدخُلُ جوفَهُ كانت قيمتهُ مايخرج منهُ .

٦٦٥ — يقولُ اللهُ تعالى : يابنَ آدمَ ، لمْ أخلقكَ لأربحَ عليكَ ، إنما خلقْتُكَ لتربَحَ عليَّ ، فاتَّخذْني بدلاً منْ كلِّ شيءٍ فإني ناصرُكَ من كلِّ شيء .

٦٦٦ — الرَّجاء لخالقِ سُبحانهُ أقوى من خوفهِ ، لأنك تخافهُ لعدلك ، وترجوه لجودِهِ ، فالخوف لك والرَّجاء له .

٦٦٧ — أسألكَ بعزَّةِ الوحدانيةِ ، وكرمِ الإلهيةِ ، ألا تقطعَ عنِّي بِرَّكَ بعدَ مماتي ، كما لمْ تزلْ تبرُّني أيَّامَ حياتي ، أنتَ الذي تجيبُ منْ دعاكَ ، ولا تخيبُ منْ رجاكَ ، صلْ من يدعوكَ إلا إيَّاكَ ، فإنكَ لا تخيِّبُ من أتاكَ ، وتفضَّلْ على منْ

عصاك ، وَلا يفوتُك من ناوَاك ، ولا يُعجِزُك من عادَاك ؛ كلٌّ في قدرتك ، وكلٌّ يأكلُ رِزقك .

٦٦٨ — لا تطلبنّ إلى أحدٍ حاجة ليلاً ؛ فإنّ الحياء في العينين .

٦٦٩ — من ازْدَاد علماً فليحذرْ من توكيدِ الحجّةِ عليهِ .

٦٧٠ — العاقلُ يأسَى الصالحينَ ليلحقَ بهمْ ، ويحبُّهمْ ليشاركَهُمْ بمحبّتهِ ؛ وإن قصّر عن مِثلِ عملِهمْ ، والجاهلُ يذمّ الدُّنيا ولا يتنحو بإحراج أقلّها ، يمدحُ الجُودَ ، ويبخلُ بالبَذل ، يتمنّى التوبةَ بطولِ الأملِ ، ولا يعجّلُها بخوفِ حُلولِ الأجلِ ، يرجُو ثوابَ عملٍ لم يعملْ بهِ ، ويفرّ من الناسِ ليطلبَ ، ويخفي شخصهُ ليشتهرِ ، ويذمّ نفسهُ ليمدحَ ، وينهى عن مدحهِ وهو يحبُّ ألاّ ينتهى من الثناء عليه .

٦٧١ — الأنسُ بالعلم من نُبل الهمّةِ .

٦٧٢ — اللهمّ كما صُنت وجهى عن السُّجودِ لغيرك ، فصُنْ وجهى عن مسألة غيرك .

٦٧٣ — من الناسِ منْ ينقصكَ إذا زِدتهُ ، ويهونُ عليكَ إذا خاصصتهُ ، ليس لرضاهُ موضعٌ تعرفهُ ، ولا لسخطهِ مكانٌ تحذرُهُ ، فإذا لقيت أولئكَ فابذلْ لهم موضعَ المودّةِ العامّةِ ، واحرِمهمْ موضعَ الخاصّةِ ؛ ليكُونَ ما بذلْتَ لهمْ منْ ذلك حائلاً دونَ شرّهمْ ، وما حرمْتهمْ منْ هذا قاطعاً لحرمتهم .

٦٧٤ — مَن شَبِعَ عُوقِبَ في الحالِ ثلاث عقُوباتٍ : يُلقَى الغطاء على قلبِهِ ، والنّعاس على عينِهِ ، والكسلُ على بدَنِهِ .

٦٧٥ — ذمّ العقلاء أشدّ من عُقوبة السلطانِ .

٦٧٦ — يقطعُ البليغَ عن المسألة أمرانِ : ذلّ الطلب ، وخوفُ الرّدّ .

٦٧٧ — للمؤمنِ محدَّثٌ .

٦٧٨ — قلّ أن يطلق لِسانُ الدَّعْوى إلا وبُخَوِّسه تمامُ الامتحان .

٦٧٩ — انظر ما عندك فلا تَضَعْهُ إلا فى حقِّه ؛ وما عند غيرك فلا تأخُـــذْهُ إلاّ بحقِّــهِ .

٦٨٠ — إذا صافاك عدوُّك رياءً منه فتلقَّ ذلك بأوكد مودَّةٍ ؛ فإنه إن ألِف ذلك واعتادَهُ خَلُصَت لك مودَّتُهُ .

٦٨١ — لا تألَفْ للمسألة فيألفك المَنْعُ .

٦٨٢ — لا تسألِ الحوائجَ غيرَ أهلها ، ولا تسألْها فى غيرِ حينها ، ولا تسألْ ما لستَ له مُستحقًّا فتكونَ للحرمانِ مُستوجبًا .

٦٨٣ — إذا غشَّكَ صديقُكَ فاجعَلْهُ مع عدوِّكَ .

٦٨٤ — لا تعدَّنَّ من إخوانك مَنْ آخاك فى أيامِ مقدرتك لمقدرته ، واعلم أنه ينتقلُ عنكَ فى أحوالٍ ثلاثٍ : يكونُ صديقًا يومَ حاجته إليك ، ومُعرِضًا يومَ غناهُ عنكَ ، وعدوًّا يومَ حاجتكَ إليهِ .

٦٨٥ — لا تُسَرَّنَّ بكثرةِ الإخوانِ ما لمْ يكونُوا أخيارًا ؛ فإنَّ الإخوانَ بمنزلةِ النَّارِ التى قليلها متاعٌ وكثيرُها بوارٌ .

٦٨٦ — كفاكَ خيانةً أنْ تكونَ أمينًا للخَونةِ .

٦٨٧ — لا تحقرن شيئًا من الخير وإن صغر ؛ فإنك إذا رأيته سرَّك مكانه ؛ ولا تحقرنَّ شيئًا من الشرِّ وإن صغرُ فإنك إذا رأيته ساءكَ مكانه .

٦٨٨ — يابن آدم ؛ ليسَ بك غَناء عن نصيبكَ من الدُّنيا ، وأنتَ إلى نصيبك منَ الآخرةِ أفقرُ .

٦٨٩ — معصيةُ العالمِ إذا خفيتْ لم تضرَّ إلا صاحبَها، وإذا ظهرتْ ضرّتْ صاحبَها والعامّةَ.

٦٩٠ — يجبُ على العاقلِ أن يكونَ بما أحيا عقلَهُ من الحكمةِ أكلفَ منهُ بما أحيا جسمَهُ من الغذاءِ.

٦٩١ — أعسرُ العيوبِ صلاحاً العُجْبُ واللجاجة

٦٩٢ — لكلِّ نعمةٍ مفتاحٌ ومغلاقٌ، فمفتاحُها الصبرُ، ومغلاقُها الكسلُ.

٦٩٣ — الحزنُ والغضبُ أميرانِ تابعانِ لوقوعِ الأمرِ بخلافِ ما تحبُّ، إلا أنَّ المكروهَ إذا أتاكَ ممّن فوقكَ نتجَ عليكَ حزناً، وإن أتاكَ ممّن دونكَ نتجَ عليكَ غضباً.

٦٩٤ — أولُ المعروفِ مستخفٌّ، وآخرُهُ مستثقلٌ؛ تكادُ أوائلُهُ تكونُ للهوى دونَ الرأي، وأواخرُهُ للرأي دونَ الهوى؛ ولذلكَ قيلَ: ربُّ الصنيعةِ أشدُّ من الابتداءِ بها.

٦٩٥ — لا تدعُ اللهَ أن يغنيكَ عن الناسِ فإنّ حاجاتِ الناسِ بعضِهم إلى بعضٍ متصلةٌ كاتصالِ الأعضاءِ، فمتى يستغني المرءُ عن يدِهِ أو رجلِهِ! ولكن ادعُ اللهَ أن يغنيكَ عن شرارِهم.

٦٩٦ — احترسْ من ذكرِ العلمِ عندَ من لا يرغبُ فيهِ؛ ومن ذكرِ قديمِ الشرفِ عندَ من لا قديمَ لهُ، فإنّ ذلكَ مما يحقدُهُ عليكَ.

٦٩٧ — ينبغي لذوي القراباتِ أن يتزاوروا، ولا يتجاوروا.

٦٩٨ — لا تؤاخِ شاعراً فإنّهُ يمدحُكَ بثمنٍ، ويهجوكَ مجاناً.

٦٩٩ — لا تنزلْ حوائجَكَ بعيدِ النفسِ، ولا بمتسرّعٍ إلى الصغارِ.

٧٠٠ — كلُّ شيء طلبتَهُ في وقتِهِ فقدْ فاتَ وقتُهُ .

٧٠١ — إذا شككتَ في مودة إنسانٍ فسَلْ قلبكَ عنه .

٧٠٢ — العقلُ لم يجنِ على صاحبِهِ قطُّ ؛ والعلمُ مِنْ غيرِ عقلٍ يجني على صاحبِهِ .

٧٠٣ — يابن آدمَ : هل تنتظرُ إلاّ هرمًا حائلاً(١) ، أوْ مرضًا شاغلاً ، أوْ موتًا نازلاً !

٧٠٤ — ابنك يأكلكَ صغيرًا ويرثك كبيرًا ، وامرأتك تأكلُ مِنْ وطائكَ ، وترثُ مِنْ أعدائكَ ، وابن عمك عدوُّكَ وعدوُّ عدوِّكَ ، وروحتك إذا قلتَ لها قومي قامتْ .

٧٠٥ — إذا ظفرتُمْ فأكرِمُوا النعمة ، وعليكُمْ بالتفضّلِ فإنهُ فعلُ الكرامِ ، وإيّاكُم والمنّ فإنهُ متهدمةٌ للصنيعةِ ، منهبةٌ للصنيعة .

٧٠٦ — منْ لمْ يرجُ إلاّ ما استوجبهُ أدركَ حاجتَهُ .

٧٠٧ — بلغَ منْ خدعِ الناسِ أنْ جعلُوا شكرَ المولى تجارةً عندَ الأحياءِ ، والثناءَ على الغائبِ استمالةً للشاهدِ .

٧٠٨ — من احتاج إليك ثقلَ عليكَ ، ومنْ لمْ يصلحهُ الخيرُ أصلحهُ الشرُّ ، ومنْ لمْ يصلحهُ الطلى أصلحهُ الكاوى .

٧٠٩ — منْ أكثرَ منْ شيءٍ عرفَ بهِ ، ومَنْ رَمَى رُمِيَ بهِ ، ومنْ طلبَ عظيمًا خاطرَ بعظيمتهِ ، ومنْ أحبَّ أنْ يصرمَ أخاهُ فليقرضْهُ ثم ليتقاضهُ ؛ ومنْ أحبكَ لشيءٍ ملكَ عندَ انقضائهِ ، ومن عُرفَ بحكمةٍ لاحظتهُ العيونُ بالوقارِ .

---

(١) حائلاً : أي مانعاً يمنعه من أداء أعماله

٧١٠ – مَنْ بلغَ السَّبعِينَ اشتكى مِنْ غيرِ علةٍ .

٧١١ – فى المالِ ثلاثُ خِصالٍ مَذْمُومةٌ : إمَّا أنْ يُكْتَسبَ مِنْ غيرِ حِلِّهِ ، أوْ يمنعَ إنفاقهُ فى حقِّهِ ، أوْ يُشتغلَ بإصلاحِهِ عنْ عِبادةِ اللهِ تعالى .

٧١٢ – يُبعدكَ مِنْ غضبِ اللهِ ألاَّ تغضبَ .

٧١٣ – لا تستبدلنَّ بأخٍ لكَ قديمٍ أخاً مُستفاداً ما استقامَ لكَ ؛ فإنكَ إنْ فعلتَ فقدْ غيَّرتَ ، وإن غيَّرتَ تغيَّرتْ نعمُ اللهِ عليكَ .

٧١٤ – أشدُّ مِنَ البلاءِ شماتةُ الأعداءِ .

٧١٥ – يَبِينُ بِرُّكَ فى فرحكَ إنْ غَضَضْتَ طرفكَ .

٧١٦ – كما تركَ لكُمُ الملوكُ الحِكْمَةَ والعِلْمَ فاتركُوا لهمُ الدُّنيا .

٧١٧ – الهديةُ تعمى عينَ الحكيمِ .

٧١٨ – ليكنْ أصدقاؤكَ كثيراً ، واجعلْ سرَّكَ منهمْ إلى واحدٍ .

٧١٩ – ياعَبيدَ الدُّنيا ! كيفَ تخالفُ فروعُكُمْ أصولَكم ، وعقولُكُمْ أهواءَكُمْ ، قولُكُمْ شفاءٌ يُبرِئُ الدَّاءَ ، وعملُكمْ داءٌ لا يقبلُ الدَّواءَ ؛ ولَسْتُمْ كالـكَرْمةِ التى حسنُ ورقُها ، وطابَ ثمرُها ، وسهُلَ مُرتقاها ؛ ولـكنَّكُمْ كالشجرةِ التى قلَّ ورقُها ، وكثُرَ شوكُها ، وخبُثَ ثمرُها ، وصعُبَ مرتقاها . جعلتُمُ العلمَ تحتَ أقدامِكُمْ ، والدُّنيا فوقَ رءوسِكُمْ ؛ فالعلمُ عندكُمْ مُذَلٌ ممتهنٌ ، والدُّنيا لا يُستطاعُ تناولها ؛ فقدْ منعتُمْ كلَّ أحدٍ مِنَ الوُصولِ إليها ؛ فلا أحرارٌ كرامٌ أنتمْ ، ولا عبيدٌ أتقياءُ . ويحكُمْ يا أجراءَ السُّوءِ ! أمَّا الأجرَ فتأخذُونَ ، وأمَّا العملَ فلا تعملُونَ ؛ إن علمتمْ فالعملَ تفسدُونَ ، وسوفَ تلقَوْنَ ما تعملُونَ ، يُوشكُ ربُّ العملِ أنْ ينظرَ فى عملهِ الذى أفسدتُمْ ، وفى أجرهِ الذى أخذتُمْ . ياغرماءَ السُّوءِ ، تبدءونَ بالهديةِ قبلَ قضاءِ

الدَّين ، تتطوَّعُون بالنوافلِ ولا تؤدُّون الفرائضَ ، إن رَبَّ الدَّينِ لا يرضى بالهديةِ حتى يُقْضى دَيْنُه .

٧٢٠ — الدُّنيا مزرَعةُ إبليس ، وأهلُها أَكَرَةٌ حَرّاثون لَهُ فيها .

٧٢١ — واعجبَ مِمَّن يَعملُ للدُّنيا وهوَ يرزَقُ فيها بغيرِ عمل ، ولا يعملُ للآخرة وهوَ لا يرزَقُ فيها إلّا بالعملِ !

٧٢٢ — لا تُجالسُوا إلّا من يذكّرُكُم اللهَ رؤيتُه ، ويزيدُ في علمِكُم منطقُه ، ويرغّبُكُم في الآخرةِ عملُه .

٧٢٣ — كثرةُ الطعامِ تميتُ القلبَ كما تميتُ كثرةُ الماء الزَّرْعَ .

٧٢٤ — ضربُ الوالِدِ الولدَ كالسَّمادِ للزرعِ .

٧٢٥ — إذا أردتَ أن تصادِقَ رجلًا فاغضبه ، فإن أنصفكَ في غضبِه وإلّا فدعهُ .

٧٢٦ — إذا أتيتَ مجلسَ قومٍ فارمهِمْ بِسَهْمِ الإسلامِ ، ثمَّ اجلِسْ — يعني السَّلامَ — فإنْ أفاضوا في ذكرِ اللهِ فأجِلْ سهمَكَ معَ سِهامِهم ، وإنْ أفاضوا في غيرِه فخلِّهِمْ وانهضْ .

٧٢٧ — الأوطارُ تكسِبُ الأوزارَ ، فارفُضْ وطرَكَ ، واغضُضْ بصرَكَ .

٧٢٨ — إذا قعدْتَ عندَ سُلطانٍ فليكنْ بينَكَ وبينَهُ مقعدُ رجلٍ ؛ فلعلّهُ أنْ يأتيَهُ منْ هو آثرُ عنده منك ؛ فيريدُ أنْ تتنحّى عن مجلسِكَ ، فيكونُ ذلكَ نقصًا عليك وشَيْنًا .

٧٢٩ — ارحمِ الفقراءَ لقلّةِ صبرِهم ، والأغنياءَ لقلّةِ شُكْرِهم ؛ وارحمِ الجميعَ لِطُولِ غفلتِهِمْ .

٧٣٠ — العالِمُ مصباحُ اللهِ في الأرضِ ، فمَنْ أرادَ اللهُ به خيراً اقتبسَ منه .

٧٣١ — لا يهونَنَّ عليك مَنْ قبُحَ منظرُهُ ورَثَّ لباسُهُ ؛ فإنَّ اللهَ تعالى ينظرُ إلى القلوبِ ويُجازي بالأعمالِ

٧٣٢ — مَنْ كذبَ ذهَبَ بِماءِ وجهِهِ ، ومَنْ ساءَ خُلُقُهُ كثُرَ غَمُّهُ ، ونقلُ الصخورِ مِنْ مواضعِها أهونُ مِنْ تفهيمِ مَنْ لا يفهمُ .

٧٣٣ — كنتُ في أيامِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله كجزءٍ مِنْ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله ، ينظرُ إليَّ الناسُ كما يُنظرُ إلى الكواكبِ في أُفقِ السماءِ ، ثم غضَّ الدهرُ مني ، فقُرِنَ بي فلانٌ وفلانٌ ، ثم قُرِنْتُ بخمسةٍ أمثلُهُمْ عثمانُ ، فقلتُ : واذَفَراهُ[1] ! ثم لم يرْضَ الدهرُ لي بذلكَ ؛ حتى أرذلني ، فجعلني نظيراً لابنِ هندٍ وابنِ النابغةِ ! لقد استنَّتِ الفصالُ حتى القرْعى

٧٣٤ — أما والذي فلقَ الحبَّةَ ، وبرأَ النسَمَةَ ، إنه لعَهِدَ النبيُّ الأميُّ إليَّ أنَّ الأمّةَ ستغدرُ بكَ مِنْ بعدي .

٧٣٥ — لامَتْهُ فاطمةُ على قعودِهِ وأطالَتْ تعنيفَهُ ؛ وهو ساكتٌ حتى أذَّنَ المؤذِّنُ ، فلما بلغَ إلى قوله : « أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله » ، قالَ لها : أتحبِّينَ أنْ تزولَ هذه الدعوةُ مِنَ الدنيا ؟ قالت : لا ، قالَ فهوَ ما أقولُ لكِ .

٧٣٦ — قالَ لي رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله : إنِ اجتمعوا عليكَ فاصنعْ ما أمرتُكَ ؛ وإلّا فألصِقْ كَلْكَلَكَ بالأرضِ ؛ فلما تفرّقوا عنّي جررْتُ على المكروهِ ذيلي ، وأغضيتُ على القذى جفني ، وألصقتُ بالأرضِ كلكلي .

٧٣٧ — الدنيا حُلُمٌ والآخرةُ يقظةٌ ؛ ونحنُ بينهما أضغاثُ أحلامٍ .

---

(١) الذفر : الرائحة الخبيثة

٧٣٨ — لمّا عرفَ أهلُ النقصِ حالَهم عندَ أهلِ الكمالِ ، استعانوا بالكِبْرِ ليُعَظِّمَ صغيراً ، ويرفعَ حقيراً ، وليسَ بفاعلٍ .

٧٣٩ — لو تميّزتِ الأشياءُ كانَ الكذبُ مع الجُبنِ ، والصِّدقُ مع الشجاعةِ ، والرّاحةُ مع اليأسِ ، والتَّعبُ مع الطمعِ ، والحرمانُ مع الحرصِ ، والذُّلُّ مع الدَّيْنِ .

٧٤٠ — المعروفُ غُلٌّ لا يَفُكُّه إلا شكرٌ أو مكافأةٌ .

٧٤١ — كثرةُ مالِ الميّتِ تسلّي ورثتَهُ عنه .

٧٤٢ — مَنْ كرُمتْ عليهِ نفسُهُ هانَ عليهِ مالُهُ .

٧٤٣ — من كثُرَ مِزاحُهُ لم يسلَمْ مِنَ استخفافٍ به ، أو حقدٍ عليه .

٧٤٤ — كثرةُ الدَّيْنِ تضطرُّ الصادقَ إلى الكذبِ والواعدَ إلى الإخلافِ .

٧٤٥ — عارُ الفضيحةِ يكدِّرُ لذّتَها .

٧٤٦ — أوّلُ الغضبِ جنونٌ ، وآخرُهُ ندمٌ .

٧٤٧ — لا تودعْ سرَّكَ ولا تودعهُ حازماً فيزِلَّ ، ولا جاهلاً فيخونَ .

٧٤٨ — لا تقطعْ أخاكَ إلّا بعدَ عجزِ الحيلةِ عن استصلاحِهِ ، ولا تتبعه بعدَ القطيعةِ وقيعةً فيه ؛ فتَسُدَّ طريقَهُ عن الرُّجوعِ إليك ، ولعلَّ التجاربَ أنْ تردَّهُ عليكَ وتُصلحَهُ لكَ .

٧٤٩ — مَنْ أحسَّ بضعفِ حيلتِهِ عن الاكتسابِ بخلَ .

٧٥٠ — الجاهلُ صغيرٌ وإنْ كانَ شيخاً ، والعالِمُ كبيرٌ وإنْ كانَ حدَثاً .

٧٥١ — الميّتُ يقِلُّ الحسدُ له ، ويكثُرُ الكذبُ عليهِ .

٧٥٢ — إذا نزلَتْ بكَ النعمةُ فاجعلْ قِراها الشكرَ .

٧٥٣ — الحِرْصُ ينقُصُ من قدرِ الإنسانِ ولا يزيدُ في حظِّهِ .

٧٥٤ — الفرصةُ سريعةُ الفوتِ بطيئةُ العَوْدِ .

٧٥٥ — أبخلُ الناسِ بمالِهِ أجودهم بعرضه .

٧٥٦ — لا تتبعِ الذنبَ العقوبةَ واجعلْ بينهما وقتاً للاعتذارِ .

٧٥٧ — اذكرْ عندَ الظلمِ عدلَ اللهِ فيكَ ، وعندَ القدرةِ قدرةَ اللهِ عليك

٧٥٨ — لا يحملنَّكَ الحنَقُ على اقترافِ الإثمِ فتَشفيَ غيظك وتسقم دينك .

٧٥٩ — المُلكُ بالدِّينِ يبقى والدِّينُ بالملكِ يقوى .

٧٦٠ — كأنَّ الحاسدَ إنَّما خلقَ ليغتاظ .

٧٦١ — عقلُ الكاتبِ في قلمه .

٧٦٢ — اقمعْ منْ شهوةٍ خالفت عقلكَ بالخلافِ عليها .

٧٦٣ — اللهمَّ صُنْ وجهي باليسارِ ، ولا تبذلْ جاهي بالإقتارِ ؛ فأسترزقَ طالبي رزقكَ ، وأستعطفَ شرارَ خلقك ، وأُبتلَى بحمد منْ أعطاني ، وأُفتتَنَ بذمِّ من منعني ؛ وأنتَ منْ وراء ذلكَ وليُّ الإعطاءِ والمنعِ ، إنَّكَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ .

٧٦٤ — كلُّ حقدٍ حقدتهُ قريشٌ على رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآلهِ أظهرتهُ فيَّ وستُظهرهُ في ولدي من بعدي ، مالي ولقريشٍ ! إنما وترتُهُم[1] بأمرِ اللهِ وأمرِ رسولِهِ ؛ أفهذا جزاءُ منْ أطاعَ اللهَ ورسولَهُ إنْ كانوا مسلمينَ !

٧٦٥ — عجباً لسعدٍ وابنِ عمر ! يزعمانِ أني أحاربُ على الدُّنيا ، أفكانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يحاربُ على الدنيا ! فإنْ زعما أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله حاربَ لتكسيرِ الأصنامِ ، وعبادةِ الرحمنِ ؛ فإنما حاربتُ لدفعِ الضلالِ والنهيِ عنِ

---

(١) وترتهم : أحدثت عندهم وتراً .

العشاء والفساد : أفشلي بُرْنُسُ مخصُ الذئب ! والله لو تمثّلتْ لي بشراً سويّاً لضربتُها بالسيف .

٧٦٦ — اللهمَّ أنتَ خلقتني كما شئتَ ، فارحمني كيف شئتَ ، ووفّقني لطاعتك ، حتى تكونَ ثقتي كلّها بكَ ، وخوفي كله منكَ .

٧٦٧ — لا تُصَيِّرْ إبليسَ في العلانيةِ وأنت صديقهُ في السرِّ .

٧٦٨ — منْ لم يأخذْ أهبّةَ الصلاةِ قبلَ وقتِها فما وقّرها .

٧٦٩ — لا تطمعْ في كلِّ ما تسمعُ .

٧٧٠ — منْ عاتبَ ووبّخَ فقد استوفى حقَّهُ

٧٧١ — الجودُ الذي يستطاعُ أن يتناولَهُ كلُّ أحدٍ ، هو أن ينوي الخيرَ لكلِّ أحدٍ .

٧٧٢ — منْ صحبَ السلطانَ بالصحّةِ والنصيحةِ كان أكثرَ عدوّاً ممّنْ صحبهُ بالغشِّ والخيانةِ

٧٧٣ — منْ عابَ سَفِلةً فقد رفعهُ ، ومن عابَ كريماً فقد وضعَ نفسهُ .

٧٧٤ — الموالي ينتصرونَ ؛ وبنو العمِّ يحسدونَ .

٧٧٥ — الصدقُ عزٌّ ، والكذبُ مذلّةٌ ، ومنْ عرفَ بالصدقِ جازَ كذبُهُ ، ومَنْ عرفَ بالكذبِ لم يجزْ صدقُهُ .

٧٧٦ — إذا سمعتَ الكلمةَ تؤذيكَ فطأطئْ لها حتى تتخطّاكَ .

٧٧٧ — نحنُ نريدُ ألّا نموتَ حتى نتوبَ ، ونحنُ لا نتوبُ حتى نموتَ .

٧٧٨ — أنزلِ الصديقَ منزلةَ العدوِّ في رفعِ المؤنةِ عنهُ ، وأنزلِ العدوَّ منزلةَ الصديقِ في تحمُّلِ المؤنةِ لهُ .

٧٧٩ – أوّلُ عقوبةِ الكاذبِ أنْ صدقَهُ يُرَدُّ عليه .

٧٨٠ – الأدبُ عندَ الأحمقِ كالماء العذبِ فى أصولِ الحنظلِ ، كلما ازداد رِيًّا ازداد مرارةً .

٧٨١ – إيّاكم وحميّةَ الأوغادِ ! فإنّهم يرونَ العفو ضيماً .

٧٨٢ – الكريمُ لا يستقصى فى مُحاقّةِ المقتدرِ ، خوفاً أن يجرىَ من لا يجدُ مخرجاً من ذنبِه .

٧٨٣ – العفوُ عن المقرِّ لا عن المُصِرِّ .

٧٨٤ – ما استغنى أحدٌ باللهِ إلا افتقرَ الناسُ إليه .

٧٨٥ – منْ جادَ بمالِه فقد جادَ بنفسِه ، فإن لم يكنْ جادَ بها بعينها فقد جادَ بقوامِها .

٧٨٦ – الدَّينُ همُّ الكريمِ ، وطالما وُقِّرَ الكرامُ بالدَّين !

٧٨٧ – الماضى قبلكَ هوَ الباقى بعدَكَ ، والتّهْنئةُ بآجلِ الثوابِ أوْلَى منَ التعزيةِ بعاجلِ المُصابِ .

٧٨٨ – مِمّا تكتسبُ به المحبّةَ أن تكونَ عالماً كجاهلٍ ، وواعظاً كموعوظٍ .

٧٨٩ – لا تحمدنَّ الصبيَّ إذا كان سخيًّا ، فإنّهُ لا يعرفُ فضيلةَ السخاء ؛ وإنّما يعطى مافى يده ضعفاً .

٧٩٠ – خيرُ الإخوانِ من إذا استغنيتَ عنه لم يزدْكَ فى المودّة ، وإن احتجتَ إليه لم ينقُصْكَ منها .

٨٩١ – عَجَباً للسلطانِ ، كيفَ يُحْسِنُ ، وهو إذا أساء وجدَ من يزكّيهِ ويمدحُهُ !

٧٩٢ — إذا صادقتَ إنساناً وجبَ عليكَ أن تكونَ صديقَ صديقِهِ ، وليسَ يجبُ عليكَ أن تكونَ عدوَّ عدوِّهِ ؛ لأنَّ هذا إنما يجبُ على خادِمِهِ وليسَ يجبُ على مُماثِلٍ له .

٧٩٣ — ليس يكمُلُ فضيلة الرَّجُلِ حتى يكونَ صديقاً لمتعادِيَيْنِ .

٧٩٤ — منْ سَعَادَةِ الحدثِ ألاَّ يتمَّ لهُ فضيلةٌ في رَذِيلةٍ .

٧٩٥ — إذا مُنِعْتَ منْ شيءٍ قدرِ لتمنَّتهُ ، فليَكنْ غيظُك منهُ على نفسِكَ في المسألةِ أكثرَ منْ غيظِكَ على منْ منعكَ .

٧٩٦ — الأسْخياء يشمتونَ بالبُخلاء عند الموْتِ ، والبخلاء يشمتونَ بالأسْخياء عند الفقرِ .

٧٩٧ — ليْسَ يضبطُ العددَ الكثيرَ منْ لا يضبطُ نفسهُ الواحدَةَ .

٧٩٨ — إذا أحسنَ أحدٌ منْ أصْحابِك فلا تخرُجْ إليهِ بغايةِ برِّكَ ؛ ولكن اتْرُكْ منهُ شيئاً تزيدهُ إيَّاهُ عندَ تبيينِكَ منهُ زيادةً في نصيحتِهِ .

٧٩٩ — الوُقوعُ في المكرُوهِ أسهلُ منْ توقُّعِ المكرُوهِ .

٨٠٠ — الحسُودُ ظالِمٌ ، ضعفتْ يدهُ عن انتزاعِ ما حسدكَ عليه ؛ فلمَّا قصُرَ عليك بعثَ إليكَ تأسُّفهُ .

٨٠١ — أعمُّ الأشياءِ نفعاً موتُ الأشرارِ .

٨٠٢ — الشيء المعزّى للناسِ عنْ مصائبهمْ عِلْمُ العقلاء إنَّها شيء اضطراريةٌ وتأسِّي العامَّةِ بعضها ببعضٍ .

٨٠٣ — العقلُ الإصابةُ بالظنِّ ومعرفةُ ما لمْ يكنْ بما كانَ .

٨٠٤ — ياعَجَباً للناسِ قد مكّنهم اللهُ من الاقتداء به ، فيدَعُونَ ذلكَ إلى الاقتداء بالبهائم .

٨٠٥ — سَلُوا القلوبَ عنِ المودّاتِ ؛ فإنها شُهودٌ لا تقبلُ الرُّشا .

٨٠٦ — إنما يحزَنُ الحسدةُ أبداً لأنّهم لا يحزنون لِما ينزلُ بهم من الشرِّ فقط ؛ بل وَلِما ينالُ الناسَ منَ الخيرِ .

٨٠٧ — العشقُ جهدٌ عارضٌ صادفَ قلباً فارغاً .

٨٠٨ — تُعرَفُ حماقةُ المرءِ بكثرةِ كلامِهِ فيما لا يَعنيه ، وإخبارِهِ عمّا لا يُسألُ عنهُ .

٨٠٩ — لا تؤخّرْ إنالةَ المحتاجِ إلى غدٍ ، فإنّكَ لا تعرفُ ما يعرِض في غدٍ .

٨١٠ — إنْ تتعبْ في البرِّ ؛ فإنّ التعبَ يزُولُ والبرُّ يبقى .

٨١١ — أجهلُ الجهالِ من عثرَ بحجرٍ مرتينِ .

٨١٢ — كفاكَ مُوبّخاً على الكذبِ عِلمُكَ بأنّكَ كاذبٌ ، وكفاكَ ناهياً عنهُ خوفُكَ مِنْ تكذيبكَ حالَ إخبارِكَ .

٨١٣ — العالمُ يعرفُ الجاهلَ لأنّهُ كان جاهلاً ، والجاهلُ لا يعرفُ العالمَ لِأنّهُ لم يكن عالِماً .

٨١٤ — لا تتكلوا على البحتِ فربّما لم يكنْ وربما كان وزالَ ، ولا على الحسَبِ فطالما كان بلاءً على أهلِهِ ، يقالُ للمتنقّص : هذا ابن فلانٍ الفاضلِ ؛ فيتضاعفُ غمّهُ وعارُهُ ؛ ولكنْ عليكم بالعلمِ والأدبِ ؛ فإنّ العالمَ يُكرَمُ وإنْ لمْ ينتسبْ ، ويكرم وإن كان فقيراً ، ويكرمُ وإن كان حدثاً .

٨١٥ — خيرُ ما عُوشِرَ به الملكُ قلةُ الخلافِ وتخفيفُ المؤونة ، وأصعبُ الأشياء على الإنسان أنْ يعرفَ نفسه ، وأن يكتم سرَّهُ .

٨١٦ — العدلُ أفضلُ منَ الشجاعةِ ، لأنَّ الناسَ لو استعملوا العدلَ عموماً في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعةِ .

٨١٧ — أولى الأشياء أن يتعلَّمها الأحداثُ الأشياءُ التي إذا صاروا رجالاً احتاجُوا إليها .

٨١٨ — لا ترغبْ في اقتناء الأموالِ ؛ وكيفَ ترغبُ فيما ينالُ بالبخت لا بالاستحقاقِ ، ويُثمر البخلُ والشرَهُ بحفظه والجود والزهدُ بإخراجه !

٨١٩ — إذا عاتبت الحدث فاترك لهُ موضعاً من ذنبه ، لئلاَّ يحملهُ الإخراجُ على المكابرةِ .

٨٢٠ — ما انتقم الإنسانُ منْ عدوِّه بأعظم من أن يزداد من الفضائلِ .

٨٢١ — إنما لم يجتمع الحكمةُ والمالُ ، لعزّةِ وجود الكمالِ .

٨٢٢ — يَغمُّ الجاهلَ أن يجدَ ألمَ الحق المستقرّ في قلبهِ ما يغمّ السكرانَ أنْ يجد مسَّ الشوكة في يدِه .

٨٢٣ — القُنية مخدومةٌ ، ومن خدمَ غير نفسهِ فليس بحرّ .

٨٢٤ — لا تطلبِ الحياةَ لتأكلَ ؛ بل اطلبِ الأكل لتحيا .

٨٢٥ — إذا رأتِ العامةُ منازلَ الخاصّةِ من السلطانِ حسدتْها عليها ، وتمنّتْ أمثالها . فإذا رأتْ مصارعها مدا لها .

٨٢٦ — الشيء الذي لا يستغني عنه أحدٌ هوَ التوفيق .

٨٢٧ — ليسَ ينبغي أن يقعَ التصديقُ إلا بما يصحُّ ، ولا العملُ إلا بما يحلُّ ، ولا الابتداء إلا بما تحسنُ فيهِ العاقبةُ .

٨٢٨ — الوحدةُ خيرٌ مِن رفيقِ السوء .

٨٢٩ — لكل شيء صناعةٌ ، وحسنُ الاختيارِ صناعةُ العقلِ .

٨٣٠ — من حَسدَكَ لم يشكرْكَ على إحسانك إليهِ .

٨٣١ — البغيُ آخرُ مدّةِ الملوكِ .

٨٣٢ — لأنْ يكون الحرُّ عبداً لعبيده خيرٌ من أن يكون عبداً لشهواته .

٨٣٣ — من أمضى يومه في غيرِ حقٍّ قضاهُ ، أو فرضٍ أدّاهُ ، أو مجدٍ بناهُ ، أو حمدٍ حصّلَهُ ، أو خيرٍ أسّسهُ ، أو علمٍ اقتبسهُ ، فقد عقّ يومه .

٨٣٤ — أرسلَ إليهِ عمرو بن العاص يعيبُه بأشياء منها أنّه يسمّي حسناً وحُسيناً ولدَيْ رَسُولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله فقالَ لِرَسُولِهِ : قل للشّانئ ابن الشّانئ : لو لم يكونا ولدَيْه لكانَ أبترَ ! كما زعمه أبوك !

٨٣٥ — قالَ معاوية لما قُتِلَ عمارٌ واضطربَ أهلُ الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم : « تقتلُه الفئةُ الباغيةُ » : إنما قتلهمن أخرجهُ إلى الحرب وعرّضه للقتل ؛ فقال أميرُ المؤمنين عليه السلام : فرسُولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله إذنْ قاتلُ حمزةَ !

٨٣٦ — هذا يدي - يعني محمدَ بن الحنفيّة - وهذان عيناي - يعني حسناً وحُسيناً - وما زالَ الإنسانُ يذُبُّ بيَدِهِ عن عينيهِ ؛ قالها لمنْ قال له : إنَّكَ تُعرِّضُ محمداً للقتل ، وتقذفُ به في نحور الأعداء دونَ أخويه .

٨٣٧ — شكرْتَ الواهبَ ، وبُورِكَ لكَ في الموهوب ، ورُزِقْتَ خيرهُ وبرّهُ ، خذْ إليكَ أبا الأملاك ؛ قالها لعبد الله بن العباس لما وُلِدَ ابنُهُ عليٌّ بن عبد الله

٨٣٨ — مايسرّنى أنى كُفيتُ أمرَ الدُّنيا كلّه ، لأنى أكرهُ عادةَ العجز .

٨٣٩ — اجتماعُ المالِ عندَ الأسخياء أحدُ الخصبَيْنِ ، واجتماعُ المالِ عندَ البخلاءِ أحدُ الجدبَيْنِ .

٨٤٠ — من عَمِلَ عَمَلَ أبيه كُفِيَ نصفَ التعَب .

٨٤١ — المُصطنِعُ إلى اللئيمِ كمَنْ طوّقَ الخنزيرَ تِبراً ، وقرّطَ الكلبَ دُرًّا ، وألبسَ الحمارَ وَشياً ، وألقمَ الأفعى شهداً .

٨٤٢ — الحازمُ إذا أشكلَ عليه[1] الرأىُ بمنزلةِ مَنْ أضلّ لؤلؤةً ، فجمعَ ماحولَ مسقطِها مِنَ الترابِ ثم التمسها حتى وجدها ، وكذلك الحازمُ يجمعُ وجوهَ الرأىِ فى الأمر المشكل ، ثم يضربُ بعضَه ببعضٍ حتى يخلصَ إليه الصّوابُ .

٨٤٣ — الأشرافُ يعاقَبون بالهجرانِ لا بالحرمان .

٨٤٤ — الشحُّ أضرُّ على الإنسانِ مِن الفقرِ ، لأنّ الفقيرَ إذا وجدَ اتّسعَ ، والشحيحُ لا يتّسعُ وإن وَجَد .

٨٤٥ — أحبُّ الناسِ إلى العاقلِ أن يكونَ عاقلاً عدوُّه ، لأنه إذا كان عاقلاً كان منهُ فى عافية .

٨٤٦ — عليك بمُجالسةِ أصحابِ التّجارب ، فإنها تقوّم عليهم بأغلى الغلاء ، وتأخذها منهم بأرخص الرُّخص .

٨٤٧ مَن لم يحمدْكَ على حُسْنِ النيّةِ لم يَشكُرْكَ على جميلِ العطيّةِ .

٨٤٨ — لا تنكحوا النساءَ لحُسنهنّ ، فعسى حُسنُهنّ أن يُرْدِيَهنّ ، ولا لأموالهنّ

---

(١) أشكل عليه الرأى : استبهم .

فعسى أموالهنّ أن تُطغيهنّ ، واستخوهنّ على الدّين ؛ ولأمَة سوداء خرماء ذات دين أفضل .

٨٤٩ — أفضلُ العبادةِ الإمساكُ عن المعصيةِ ، والوقوفُ عند الشُّبهةِ .

٨٥٠ — ذمّ الرّجل نفسه فى العلانية مدحٌ لها فى السّرّ .

٨٥١ — من عدِم فضيلة الصدق فى منطقِه فقد فُجع بأكرم أخلاقِه .

٨٥٢ — ليس يضرُّك أن ترى صديقك عند عدوّك ؛ فإنه إن لم ينفعك لم يضرّك .

٨٥٣ — قلّ أن ترى أحداً تكبّر على من دونه إلا وبذلك المقدار يجودُ بالذّل لمن فوقه .

٨٥٤ — من عظمت عليه مصيبة فليذكر الموت ؛ فإنها تهون عليه ، ومن ضاق به أمرٌ فليذكر القبر فإنه يتّسع .

٨٥٥ — خيرُ الشّعر ما كان مَثلاً ، وخيرُ الأمثالِ ما لم يكن شعراً .

٨٥٦ — الق الناس عند حاجتهم إليك بالبشر والتواضع ، فإن نابتك نائبةٌ ، وحالت بك حالٌ ، لقيتهم وقد أمنت ذلّة التنصّل إليهم والتواضع .

٨٥٧ — إن الله يحبّ أن يُعفى عن زلّة السّرىّ .

٨٥٨ — من طال لسانُه وحسُن بيانُه ، فليترك التّحدث بغرائبِ ما سمع ، فإنّ الحسد لحسن ما يظهر منه يحمل أكثر الناس على تكذيبه ، ومن عرف أسرار الأمور الإلهية فليترك الخوض فيها ، وإلاّ حملهم التنافسُ على تكفيرِه

٨٥٩ — ليس كلُّ مكتومٍ يسوغ إظهارُه لك ، ولا كلُّ معلومٍ يجوز أن تُعلّمه غيرَك .

٨٦٠ — ليس بمهمٍّ كلامَكَ من كان كلامُهُ لك أحبَّ إليه من الاستماع منك ، ولا يهمّ نصيحتَكَ مَنْ غلبَ هواهُ على رأيكَ ، ولا يسمُّ لكَ من اعتقدَ أنّهُ أتمّ معرفةً بما أشرتَ عليه به منكَ .

٨٦١ — خَفْرُ الضعيفِ إذا كان تحتَ رايةِ الإنصافِ أكثرُ من خوفِكَ القويَّ تحت رايةِ الجورِ ، فإنّ الضرّ يأتيه من حيثُ لا يشعر ، وجُرحُهُ لا يندملُ .

٨٦٢ — إخافةُ العبيد والتضييقُ عليهم يزيد في عبوديتهم وصيانتهم ، وإظهارُ الثقةِ بهم يكسبُهُمْ أنفةً وجبريةً .

٨٦٣ — أضرُّ الأشياءِ عليك أن تُعلِمَ رئيسكَ أنّكَ أعرفُ بالرياسة منه .

٨٦٤ — عداوةُ العاقلينَ أشدُّ العداواتِ وأسكاها ، فإنّها لا تقع إلّا بعد الإعذارِ والإنذار ، وبعدَ أن يئس صلاحِ ما بينهما .

٨٦٥ — لا تخدُمَنّ رئيساً كنتَ تعرفهُ بالخمولِ ، وصحبتَهُ به الحالُ ، ويعرفُ منك أنّكَ تعرفُ قديمهُ ، فإنّهُ وإن سُرَّ عكانكَ من خدمتِهِ ، إلّا أنه يمَلُّ العينَ التي تراه بها ، فينقبضُ عنك بحسب ذلكَ .

٨٦٦ — إذا احتجتَ إلى المشورةِ في أمرٍ قد طرأ عليك فاستبدِهِ ببداية الشبّان ، فإنهم أحدّ أذهاناً ، وأسرعُ حدساً ، ثم رُدّهُ بعد ذلكَ إلى رأي الكهولِ والشيوخِ ليستعقبُوهُ ، ويحسنوا الاختيارَ له ؛ فإنّ تجربتهم أكثرُ .

٨٦٧ — الإنسانُ في سعيه وتصرفاته كالعائم في اللجّةِ ، فهو يكافحُ الجريةَ في إدبارِه ، ويجري معها في إقبالِهِ .

٨٦٨ — ينبغي للعاقلِ أن يستعملَ فيما يلتمسهُ الرفقَ ، ومجانسةَ الهدرِ ،

فإن العَلَقةَ (1) تأخذ بهدوئها منَ الدَّم مالا تأخذهُ البعوضةُ باضطرابها وفرطِ صياحِها .

٨٦٩ — أقوى ما يكونُ التصنُّعُ فى أوائلِهِ ، وأقوى ما يكونُ التطبُّعُ فى أواخرِهِ .

٨٧٠ — غايةُ المروءة أنْ يستحيىَ الإنسانُ من نفسِهِ ، وذلكَ أنَّهُ ليسَ العِلّةُ فى الحياء منَ الشيخِ كِبَرَ سِنِّهِ ولا بياضَ لِحْيَتِهِ ، وإنما عِلّةُ الحياء منهُ عقلُه ، فينبغى إن كان هذا الجوهر فينا أنْ نستحيىَ منهُ ولا نحضرَه قبيحاً .

٨٧١ — منْ ساسَ رعيَّةً حَرُمَ عليه السُّكرُ عقلاً ، لأنَّهُ قبيحٌ أنْ يحتاجَ الحارسُ إلى منْ يحرسُهُ .

٨٧٢ — لا تبتاعنَّ مملوكاً قوىَّ الشهوةِ ، فإنَّ له مولىً غيرَكَ ، ولا غضوباً فإنَّهُ يؤذيكَ فى استخدامِكَ له ، ولا قوىَّ الرأى فإنهُ يستعملُ الحيلةَ عليك ، لكن اطلبْ منَ العبيدِ مَنْ كانَ قوىَّ الجسمِ ، حَسَنَ الطاعةِ ، شديدَ الحياء .

٨٧٣ — لا تُعادوا الدُّولَ المُقبلةَ ، وتُشربوا قلوبَكمْ بُغضَها ، فتُدبِروا بإقبالها .

٨٧٤ — الغَريبُ كالغرسِ الذى زايلَ شِربَهُ ، وفارقَ أرضهُ ، فهو ذاوٍ لا يتقدُ وذابلٌ لا يُثمرُ .

٨٧٥ — السفرُ قطعةٌ منَ العذابِ ، والرَّفيقُ السوء قطعةٌ منَ النارِ .

٨٧٦ — كلُّ خُلُقٍ منَ الأخلاقِ فإنهُ يكسُدُ عندَ قومٍ منَ الناسِ إلّا الأمانةَ فإنَّها نافقةٌ عندَ أصنافِ الناسِ ، ينفَقُ بها من كانت فيه ، حتى إنَّ الآبيَةَ إذا لم تنتشفْ

---

(1) العلقة : دويبة فى الماء تمص الدم .

وبَقِيَ ما يودَع فيها على حاله لم ينقصْ ، كانت أكثرَ ثناءً مِنْ غيرها مِمّا يرشَحُ أو يُنشِّفُ .

٨٧٧ — اصبِرْ على سلطانِكَ في حاجاتِكَ ، فلستَ أكبرَ شغلِه ، ولا بكَ قِوامُ أمرِه .

٨٧٨ — قُوّةُ الاستشارِ مِنْ ضعفِ اليقينِ .

٨٧٩ — إذا أحسستَ مِنْ رأيِكَ بِكسادٍ ، ومِنْ تصوّرِكَ بفسادٍ ، فاتّهِمْ نفسكَ بمجالستِكَ لدنيّ الطبعِ ، أو لَيِّنِ الفكرِ ، وتداركْ بإصلاحِ مزاجِ تخيّلِكَ بمكاثرةِ أهلِ الحكمةِ ، ومجالسةِ ذوي السدادِ ، ففي مفاوضتِهِمْ تريحُ الرأيَ المكدودَ ، وتردُّ ضالّةَ الصوابِ المفقودِ .

٨٨٠ — مَنْ جلسَ في طاقِ الملقِ ، لم يستقرَّ به موضعُهُ ، لكثرةِ تنقُّلِهِ وتصرُّفِهِ مع الطِّباعِ ، ومعرفةِ الناسِ بالخديعةِ .

٨٨١ — كثيرٌ مِنَ الحاجاتِ تُقضَى بَرَماً لا كَرَماً .

٨٨٢ — أصحابُ السلطانِ في المَثَلِ كقومٍ رقَوا جبلاً ثم سقطوا منهُ ، فأقربُهُمْ إلى الهَلَكةِ والتَّلَفِ أبعدُهُمْ كان في المرتقَى .

٨٨٣ — لا تضعْ سِرَّكَ عندَ مَنْ لا سِرَّ له عندكَ .

٨٨٤ — سَعَةُ الأخلاقِ كيمياءُ الأرزاقِ .

٨٨٥ — العلمُ أفضلُ الكنوزِ وأحسنُها ، خفيفُ المَحْمَلِ ، عظيمُ الجدوى ، في الملإ جمالٌ ، وفي الوحدةِ أُنسٌ .

٨٨٦ — الشبابُ مِزاحُ النَّوكَى ، ولا بأسَ بالمفاكهةِ يُرَوِّحُ بها الإنسانُ عنْ نفسِهِ ، ويخرُجُ عنْ حدِّ العبوسِ .

٨٨٧ — ثلاثةُ أشياء تدلُّ على عقولِ أربابِها . الهديةُ ، والرسولُ ، والكتابُ .

٨٨٨ — التعزيةُ بعدَ ثلاثٍ تجديدٌ لمصيبةٍ ، والتهنئةُ بعدَ ثلاثٍ استخفافٌ بالمودّةِ .

٨٨٩ — أنتَ مخيّرٌ في الإحسانِ إلى من تحسنُ إليه ، ومرتهنٌ بدوامِ الإحسانِ إلى من أحسنتَ إليه ، لأنكَ إن قطعتَهُ فقد أهدرتَهُ ، وإن أهدرتَه فلِمَ صنعتَهُ .

٨٩٠ — الناسُ من خوفِ الذلِّ في ذلٍّ .

٨٩١ — إذا كانَ الإيجازُ كافياً كانَ الإكثارُ عيّاً ، وإذا كانَ الإيجازُ مقصّراً كانَ الإكثارُ واجباً .

٨٩٢ — بئسَ الزادُ إلى المعادِ ، العدوانُ على العبادِ .

٨٩٣ — الخلقُ عيالُ اللهِ ، وأحبُّ الناسِ إلى اللهِ أشفقهم على عيالِهِ .

٨٩٤ — تحريكُ الساكنِ أسهلُ من تسكينِ المتحرّكِ .

٨٩٥ — العاقلُ بخشونةِ العيشِ مع العقلاءِ آنسُ منه بلينِ العيشِ مع السفهاءِ .

٨٩٦ — الانقباضُ بينَ المنبسطينَ ثقلٌ ، والانبساطُ بينَ المنقبضينَ سخفٌ (١)

٨٩٧ — السخاءُ جودٌ بالعدمِ لا بالمالِ ، ومنْ وهبَ ألفاً وشحَّ بصحفةِ طعامٍ فليسَ بجوادٍ .

٨٩٨ — إنْ بقيتَ لم يبقَ الهمُّ .

٨٩٩ — لا يقومُ عزُّ الغضبِ بذلّةِ الاعتذارِ .

٩٠٠ — الشفيعُ جناحُ الطالبِ .

٩٠١ — الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إنْ لم يبلغْكَ فقد استمتعتَ به .

٩٠٢ — إعادةُ الاعتذارِ تذكيرٌ بالذنبِ .

(١) السخف : ضعف العقل ورقته

٩٠٣ — الصبرُ في العواقبِ شافٍ أو مريحٌ .

٩٠٤ — منْ طالَ عمرُهُ ، رأى في أعدائهِ مايسرُّهُ .

٩٠٥ — لا نعمةَ في الدُّنيا أعظمُ منْ طولِ العمرِ ، وصحةِ الجسدِ .

٩٠٦ — الناسُ رجلانِ : إمَّا مُؤجَّلٌ بفقدِ أحبابهِ ، أو معجَّلٌ بفقدِ نفسهِ .

٩٠٧ — العقلُ غريزةٌ تربّيها التَّجاربُ .

٩٠٨ — النُّصحُ بينَ الملأ تقريعٌ .

٩٠٩ — لا تُسكِنْ حائطَ سِرِّكَ .

٩١٠ — منْ زادَ أدبُهُ على عقلهِ كانَ كالرّاعي الضعيفِ معَ الغنمِ الكثيرِ .

٩١١ — الدَّارُ الضيّقةُ العمى الأصغرُ .

٩١٢ — النّمامُ جسرُ الشرِّ .

٩١٣ — لا تَشِنْ وجهَ العفوِ بالتقريعِ .

٩١٤ — كثرةُ النصحِ تهجمُ بكَ على كثرةِ الظِّنةِ .

٩١٥ — لكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ .

٩١٦ — ستساقُ إلى ما أنتَ لاقٍ .

٩١٧ — عاداكَ منْ لاحاكَ .

٩١٨ — حَدُّكَ لا كَدُّكَ .

٩١٩ — تذكّرْ قبلَ الورْدِ الصدرَ ، والحذرُ لا يغني من القدرِ ، والصبرُ من أسبابِ الظفرِ .

٩٢٠ — عارُ النساءِ باقٍ يلحقُ الأبناءَ بعدَ الآباءِ .

٩٢١ — أجملُ العقوبةِ عقوبةُ الغنيِّ والغدرِ واليمينِ الكاذبةِ ، ومنْ إذا تضرَّعَ إليهِ وسُئِلَ العفوَ لمْ يغفرْ .

٩٢٢ — لا تردّ بأس العدوّ القويّ وغضبه بمثل الخضوع والذلّ ، كسلامة الحشيش من الريح العاصف بانثنائه معها كيفما مالت .

٩٢٣ — قارب عدوك بعض المقاربة تنل حاجتك ، ولا تفرط في مقاربته فتذل نفسك وناصرك ، وتأمّل حال الخشبة المنصوبة في الشمس التي إن أملتها زاد ظلها ، وإن أفرطت في الإمالة نقص الظل .

٩٢٤ — إذا زال المحسود عليه علمت أن الحاسد كان يحسُدُ على غير شيء .

٩٢٥ — العجز نائم ، والحزم يقظان .

٩٢٦ — من تحرّى لك تحرّى عليك .

٩٢٧ — ما عفا عن الذنب من قرّع به .

٩٢٨ — عبد الشهوة أذلّ من عبد الرقّ .

٩٢٩ — ليس ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره ، وطاعةُ نفسه عليه ممتنعة .

٩٣٠ — الناس رجلان : واجدٌ لا يكتفي ، وطالب لا يجد .

٩٣١ — كلّما كثر خُزّان الأسرار ، زادت ضياعاً .

٩٣٢ — كثرة الآراء مفسدة ، كالقِدْرِ لا تطيب إذا كثر طبّاخوها .

٩٣٣ — مَن اشتاق خدَمَ ، ومَن خدم اتّصل ، ومَن اتّصل وصل ، ومَن وصل عرَف .

٩٣٤ — عجباً لِمَن يخرج إلى البساتين للفرجة على القُدْرة ، وهلاّ شغلته رؤيةُ القادرِ عن رؤيةِ القُدْرَة .

٩٣٥ — كلُّ الناس أُمِروا أن يقولوا : لا إله إلا الله ، إلا رسولَ الله ، فإنه رُفِعَ قَدْرُهُ عن ذلك ، وقيل له : فاعلمْ أنّه لا إله إلاّ الله ، فأُمِرَ بالعلمِ لا بالقولِ .

٩٣٦ — كُلُّ مُصطنع عارفةٍ فإنّمـا يصنع إلى نفسه ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما أتيتَه إلى نفسك وتمّمتَ به لذَّتَك ، ووقيتَ به عِرضَك .

٩٣٧ — والدك رَيحانتك سَبْعًا ، وخادِمُك سَبْعًا ، ثم هوَ عدوّك أو صديقك .

٩٣٨ — مَن قَبِـل معروفَكَ فقد باعَكَ مُرُوءَتَهُ .

٩٣٩ — إلى الله أشكو بلادةَ الأمين ويقظة الخائن .

٩٤٠ — مَن أكثر المشورة لم يعدَم عند الصواب مادحًا ، وعند الخطأ عاذرًا .

٩٤١ — من كثُر حقده قلَّ عتابُهُ .

٩٤٢ — الحازمُ مَن لم يَشغَلْهُ البَطَرُ بالنعمةِ عن العمل للعاقبةِ ، والهمُّ بالحادثةِ عن الحيلةِ لدفعها .

٩٤٣ — كلَّما حَسُنَت نِعمةُ الجاهلِ ازدادَ قُبحًا فيها .

٩٤٤ — مَن قَبِلَ عَطاءَكَ فقد أعانك على الكرمِ ، ولولا مَن يقبلُ الجودَ لم يكُنْ مَن يَجُودُ .

٩٤٥ — إخوانُ السوءِ كشجرةِ النارِ ، يُحرِق بعضها بعضًا .

٩٤٦ — زلّة العالِمِ كانكسار السفينةِ تغرق ويَغرَقُ معها خلق .

٩٤٧ — أهوَنُ الأعداءِ كيدًا أظهرهم لعداوتِه .

٩٤٨ — أبقِ لِوِصالك مِن عَصيك ، وإذا طِرْتَ فقَعْ قريبًا .

٩٤٩ — لا تتشبَّثْ بالسُّلطانِ في وقتِ اضطرابِ الأُمورِ عليهِ ، فإنّ البَحرَ لا يكادُ يسلَمُ صاحبُهُ في حالِ سُكونِهِ ، فكيف يسلم مع اختلاف رياحِهِ واضطرابِ أمواجِهِ !

٩٥٠ — إذا خُلِّيَ عِنانُ العقل ، ولم يُحبَس على هوى نفسٍ ، أو عادةِ دينٍ أو عصبيّةٍ لسلفٍ ، ورد بصاحبه على النجاة .

٩٥١ إذا زادك الملك تأنيساً فزده إجلالا

٩٥٢ — مَن تكلّف مالا يعنيه فاته ما يعنيه

٩٥٣ — قليلٌ يُتَرَقّى منه إلى كثيرٍ خيرٌ من كثيرٍ ينحطُّ عنهُ إلى قليل

٩٥٤ حسّنوا موتاكم في مدافنهم جار السوء، فإنّ الجارَ الصالح ينفعُ في الآخرة كما ينفعُ في الدنيا.

٩٥٥ زُرِ القبورَ تذكّر بهن الآخرة، وغسّل الموتى يتحرّك قلبك، فإنّ الجسد الخاوي عظة بليغة وصلّ على الجنائز لعلّه يُحزِنك، فإنّ الحزين قريبٌ من الله.

٩٥٦ — الموتُ خير للمؤمنِ وللكافرِ، أمّا للمؤمنُ فيعجّل له النعيم، وأمّا الكافرُ فيقلّ عذابهُ، وآيةُ ذلك من كتاب الله تعالى ﴿ وما عندَ اللهِ خيرٌ للأبرار[1] ، ولا يحسبَنّ الذين كفروا أنّما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنّما نُملي لهم ليزدادوا إثماً[2] ﴾.

٩٥٧ — جزعُك في مصيبةِ صديقك أحسنُ من صبرِك، وصبرُك في مصيبتك أحسنُ من جزعِك.

٩٥٨ — من خاف إساءتك اعتقد مساءتك، ومن رهب صولتك بغى دولتك.

٩٥٩ — من فعل ما شاء لقيَ ما شاء

٩٦٠ — يُعجِبُني من القرآنِ كلمةٌ أرجوها لمن أسرف على نفسه ﴿ قالَ عذابي أُصيبُ بهِ مَنْ أشاءُ ورحمتي وسِعَتْ كلَّ شيءٍ[3] ﴾ فجعل الرحمة عموماً والعذابَ خصوصاً.

---

(١) سورة آل عمران ١٩٨ (٢) سورة آل عمران ١٧٨

(٣) سورة الأعراف ١٥٦.

٩٦١ — الاستئثارُ يُوجِبُ الحسد ، والحَسَدُ يوجب البغضَةَ ، والبغضة تُوجِب الاختِلافَ ، والاختلافُ يوجب الفرقةَ ، والفرقةُ توجب الضَّعْفَ ، والضَّعفُ يوجب الذُّلَّ ، والذُّلَّ يوجب زَوال الدَّولَةِ ، وذهاب النِّعْمَةِ .

٩٦٢ — لا يكاد يَصِحّ رُؤْيا الكذّابِ ، لأنه يخبرُ في اليقظة بما لم يكن ، فأخْرِ بِهِ أن يرى في المنام ما لا يكون .

٩٦٣ — لا يُفسِدكَ الظَّنُّ على صَدِيقٍ قَدْ أصلحكَ اليقين لهُ .

٩٦٤ — لا تكادُ الظُّنون تزدحم على أمرٍ مستور إلا كشفته .

٩٦٥ — المشورة رَاحةٌ لكَ وتعبٌ على غيْرِك .

٩٦٦ — حقّ كلّ سرٍّ أن يصان ، وأحقُّ الأسرار بالصيانة سرُّكَ مع مولاكَ ، وسِرُّهُ معك ؛ واعلم أنّ من فضح فُضِح ، ومَن نمّ فلِقومِهِ أباح .

٩٦٧ — يا مَنْ ألمَّ بجناب الجلال ، احفظ ما عرفت ، واكتم ما استودعت ؛ واعلم أنك قَدْ رشحتَ لأمرٍ فاطن له ، ولا ترض بِنفسِك أن تكون خائناً ؛ فمن لم يؤدِّ الأمانة فيما استودع ، أحقُّ الناس بسِمةِ الخيانةِ ، وأجدرُ الناسِ بالإبعادِ والإهانة .

٩٦٨ — لا تعامل العامّةَ فيما أنعم به عليك من العلم ، كما تعامل الخاصّةَ ؛ واعلم أن لله سبحانه رجالاً أوْدَعَهُمْ أسراراً جمّةً ، ومنعَهُمْ عن إشاعتها ؛ واذكرْ قولَ العَبْدِ الصالحِ لموسى وقد قال له : هل أتّبعُك على أن تعلمَنِ ممّا عُلِّمْتَ رُشداً . قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تَصْبِرُ على ما لَمْ تُحِطْ به خبراً »

٩٦٩ — لكلِّ دارٍ بابٌ ، وباب دار الآخرة الموت .

٩٧٠ — إن مَنْ فيمن مضى من آبائك وإخوانك لعبرةً ، وإن ملك الموت دخل

على داودَ النبي ، فقال : مَنْ أنت ؟ قال : مَن لا يهابُ الملوك ، ولا تمنعُ منه القصور ، ولا يَقْبَلُ الرِّشا ، قالَ : فإذَنْ أنت ملك الموت جئت ؟ ولم أستعدّ بعد ، فقال : فأين فلانٌ جارُك ؟ أين فلان نسيبك ؟ قال : ماتوا ، قال : ألم يكن لك في هؤلاء عبرة لتستعدَّ !

٩٧١ — ما أخسر صفقة الموت إلاّ من عصم الله ، باعوا الآخرة بيومٍ.

٩٧٢ — إن هــذا الموت قد أفسد على الناس نعيم الدنيا ؛ فما لكم لا تلتمسون نعيماً لا موت بعده !

٩٧٣ — انظر العمل الذى يسرك أن يأتيك الموت وأنت عليه فافعله الآن ، فلست تأمن أن تموت الآن .

٩٧٤ — لا تَستَطِلْ القيامةَ فتَشكو إلى طول المدّة الآتية عليك بعد الموت ، فإنك لا تفرق بعد عودك بين ألفِ سنةٍ وبين ساعةٍ واحدةٍ ، ثمَّ قرأ : « ويوم يحشرُهم كأن لم يلبثوا إلاّ ساعةً من النهار »[1] الآية .

٩٧٥ — لا بدَّ لك من رفيقٍ في قبرك ، فاجعله حسن الوجه طيب الريح . وهو العمل الصالح .

٩٧٦ — رُبَّ مُرتاحٍ إلى بلد وهو لا يدرى أن حمامه فى ذلك البلد .

٩٧٧ — الموت قابض يُقصى ولا يشوى .

٩٧٨ — ما من يوم إلا يتصفح ملك الموت فيه وجوه الخلائق ، فمن رآه على معصية أو لهو ، أو رآه ضاحكاً فرحاً ، قال له يا مسكين : ما أغفلك عمّا يُرادُ بك ! اعمل ما شئت ؛ فإن لى فيك غمزة أقطع بها وتينك[2] .

---

(١) سورة يونس ٤٥

(٢) الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه

٩٧٩ — إذا وُضع الميتُ في قبْرِه اعتورتْه نيرانٌ أربعٌ ، فتجيء الصلاة فتطفئ واحدَةً ، ويجيء الصومُ فيطفئُ واحدةً ، وتجيء الصدقةُ فتطفيء واحدةً ، ويجيء العِلم فيطفِيءُ الرّابعــةَ ، ويقول . لو أدركتهنّ لأطفأتهنّ كلّهنّ ، فقرّ عيناً وأنا معك ، ولن ترى بُؤساً .

٩٨٠ — استخيروا بالله تعالى . واستخيروه في أموركم ، فإنه لا يُسيم مستخيراً ولا يُحرم مُستخيراً .

٩٨١ — ألا أدلُّكم على ثمرة الجنة : لا إله إلا الله بشرط الإخلاص .

٩٨٢ — مِنْ شرف هذه الكلمة وهي الحمدُ لله . أنّ الله تعالى جعلها فاتحةَ كتابه ، وجعلها خاتمةَ دَعْوى أهل جنته ، فقال : وآخرُ دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

٩٨٣ — ذاكِرُ اللهِ في الغافلين كالشجرةِ الخضراء في وَسط الهشيمِ ، وكالدّارِ العامرةِ بين الرّبوع الخربةِ .

٩٨٤ — أفضلُ الأعمال أن تموتَ ولسانُكَ رطبٌ بذكر اللهِ سبحانهُ .

٩٨٥ — الذِّكر ذِكرانِ : أحدهما ذكر اللهِ وتحميدهُ ، فما أحسنَه وأعظم أجرهُ ، والثاني ذكر اللهِ عند ما حرَّم الله وهو أفضلُ من الأوّل !

٩٨٦ — ما أضيقَ الطريق على من لم يكن الحقُّ تعالى دليله ، وما أوحشها على من لم يكن أنيسَهُ ! ومن اعتزّ بغير عزّ اللهِ ذلَّ ، ومن تكثّر بغير الله قلَّ .

٩٨٧ — اللهمّ إن فههتُ عن مسألتي ، أو عمهتُ عن طلبتي ، فدُلّني على مصالحي وخذْ بناصيتي إلى مراشدي . اللهمّ احملني على عفوك ، ولا تحملني على عدلكَ .

٩٨٨ — مُخ الإيمان التقوى والورعُ ، وهما من أعمال القلوبِ ، وأحسنُ أعمال الجوارح ألاّ تزال مائلاً فاكَ بذكر الله سبحانه .

٩٨٩ — اللهمّ فرّغني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفّلت لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذبني وأنا أستغفرك.

٩٩٠ — سُبحان من ندعوه لحظّنا فيسرع! ويدعونا لحظّنا فنبطئ! خيرُه إلينا نازلٌ، وشرُّنا إليه صاعدٌ! وهو مالكٌ قادرٌ!

٩٩١ — اللهمّ إنا نعوذ بك من بَياتِ غفلةٍ وصباحِ ندامةٍ.

٩٩٢ — اللهمّ إني أستغفرُك لما تبتُ منه إليك ثمّ عدتُ فيه، وأستغفرك لما وعدتُك من نفسي ثمّ أخلفتك، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليّ فتقويتُ بها على معصيتك.

٩٩٣ — اللهم إني أعوذُ بك أن أقول حقًّا ليس فيه رضاك ألتمسُ به أحدًا سواك، وأعوذُ بك أن أتزين للناس بشيء يشينني عندك، وأعوذُ بك أن أكون عبرةً لأحدٍ من خلقك، وأعوذُ بك أن يكون أحدٌ من خلقك أسعد بما علّمتني مني.

٩٩٤ — يامن ليسَ إلّا هوَ، يامن لا يعلمُ ماهو إلّا هو، اعفُ عنّي.

٩٩٥ — اللهمّ إن الآمال منوطةٌ بكرمك، فلا تقطعْ علائقها بسخطك. اللهم إني أبرأ من الحول والقوة إلّا بك، وأبرأ بنفسي عن التوكل على غيرك.

٩٩٦ — اللهم صلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ كلما ذكره الذاكرون، وصلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ كلّما غفل عن ذكره الغافلون، اللهم صلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ عددَ كلماتك، وعددَ معلوماتك، صلاةً لا نهايةَ لها، ولا غايةَ لأمدِها.

٩٩٧ — سبحانَ الواحدِ الذي ليس غيرُه، سبحان الدائم الذي لا نفادَ له، سبحانَ القديم الذي لا ابتداء له، سبحانَ الغنيّ عن كلِّ شيء ولا شيء من الأشياء يغني عنه.

٩٩٨ — يا أللهُ يا رحمنُ يا رحيمُ ، يا حيُّ يا قيُّومُ ، يا بديعَ السموات والأرض يا ذا الجلالِ والإكرامِ اعفُ عنّى[1] .

* * *

وهذا حينُ ننهى القولَ في شرح نهج البلاغة ، وقد تداركَ ما أدركناهُ منهُ بقوّتنا وحولنا ، فإنّا عاجزون عمّا هو دونهُ ، ولقد شرعنا فيه وإنّهُ لدينا كالطّودِ الأملسِ تَزِلُّ الوُعولُ العُصْمُ[2] عن قَذَفاتِه[3] ، بل كالفلكِ الأطلسِ[4] لا تبلغُ الأوهامُ والعقولُ إلى حدودِ غاياته ، فما زالتْ معونةُ الله سبحانهُ وتعالى تُسهِّلُ لنا حَزْنَه ، وتُذلِّلُ لنا صعبَهُ ، حتّى أصحبَ أبيُّهُ ، وأطاعَ عصيُّهُ ، وفُتحتْ علينا بخلوص النّيّة ، وإخلاص الطّويّةِ ، في تصنيفِهِ أبوابُ البركاتِ ، ويسّرتْ علينا مطالبُ الخيراتِ ؛ حتّى لقد كان الكلامُ ينثالُ علينا انثيالاً ، ونواتيهِ بديهةً وارتجالاً ، فتمَّ تصنيفُهُ في مدّةٍ قدرها أربعُ سنينَ وثمانيةُ أشهرٍ ، وأوّلها غرّةُ شهرِ رجب من سنة أربع وأربعين وستمائة وآخرُها سَلْخُ صفر من سنة تسعٍ وأربعين وستمائة ، وهو مقدار مدّة خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، وما كان في الظنّ والتقدير أنّ الفراغَ منهُ يقعُ في أقلّ من عشرِ سنينَ ؛ إلاّ أنّ الألطافَ الإلهيّةَ والعنايةَ السماوية ، شحذت بارتفاع العوائقِ ، وانتفاء الشّواغلِ ، وشحذَتْ بصيرتنا فيه ، وأرهفتْ همّتنا في تشييدِ مبانيهِ ، وتنضيدِ ألفاظه ومعانيه .

وكان لسعادة المجلس المولويّ المؤيّديّ الوزيريّ أجرى اللهُ بالخير أقلامهُ ، وأمضى

---

(١) كذا كان عدد هذه الحكم على حسب المخطوطات التي وقعت بيدنا . وقد أشار المؤلف إلى أن عددها ألف ، ولعل بها سقطاً ؛ أو أن حكمتين قد امتزجتا فجعلتا حكمة واحدة ؛ ونرجو حين تقع بيدنا نسخ أخرى في الطبعة الثانية أن نصل إلى العدد الصحيح .

(٢) الوعل : تيس الجبل ، والأعصم منه ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

(٣) القذفات : جمع قذفة ، وهو ما أشرف من رءوس الجبال .

(٤) هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي وزير المستعصم بالله ، وانظر ترجمته في حواشي الجزء الأول ١ : ٤ .

فى حَلْقِ الأعداء حُسامهُ فى المعونة عليه أوفرُ قِسطٍ ، وأوفى نصيب وحظ ؛ إذ كان مصنوعاً لخزانته ، وموسوماً بِسِمَتِهِ ؛ ولأنَّ همتهُ أعلاها اللهُ ما زالت تتقاضى عبدهُ بإتمامه وتحثُّهُ على إنجازه وإبرامه ، وناهيك بها من همةٍ راضت الصعب الجامح ، وخففت العبء الفادحَ ، ويسّرت الأمر العسير ، وقطعت مَدَى الطويل فى الزمن القصير .

وقد استعملتُ فى كثيرٍ من فصوله فيما يتعلقُ بكلام المتكلمين . والحكماء خاصة ألفاظ القوم ، مع علمى بأنّ العربية لا تجيزُها ، نحو قولهم : المحسوساتُ ، وقولهم : الكلُّ والبعضُ ، وقولهم : الصفاتُ الذاتيةُ ، وقولهم : الجُسمانياتُ ، وقولهم أمّا أوّلاً فالحال كذا ؛ ونحو ذلك مما لا يخفى عمّن له أدنى أنسٍ بالأدبِ ؛ ولكنّ استهجنتُ تبديل ألفاظهم وتغيير عباراتهم ، فإن كلّ قوماً كلّمهم باصطلاحهم ، ومَن دخل ظَفارِ حمّر[1] .

والنسخة التى بُنِيَ هــذا الشرحُ على فصها أتمُّ نسخةٍ وجدتُها بنهج البلاغة فإنها مشتملةٌ على زياداتٍ تخلو عنها أكثرُ النسخ .

وأنا أستغفرُ الله العظيم من كلِّ ذنبٍ يُبْعِدُ من رحمته ، ومن كل خاطرٍ يدعُو إلى الخروج عن طاعته ؛ وأستشفعُ إليــه بمن أصبتُ حسدِى ، وأسهرتُ عينى ، وأعملت فكرى ، واستغرقتُ طائفةً من عمرى ، فى شرح كلامِهِ ، والتقرُّبِ إلى الله بتعظيم منزلته ومقامه ، أن يعتق رقبتى من النّارِ ، وألاّ يبتليني فى الدُّنيا ببلاء تضعفُ عنه قوّتى ، وتضعفُ عنه طاقتى ، وأن يصون وجهى عن المخلوقين ، ويكفَّ عنّى عاديةَ الظالمين ، إنه سميعٌ مُجيبٌ ، وحسْبُنا اللهُ وحدهُ وصلواتُهُ على سيدنا محمّدٍ النبيِّ وآلِهِ وسلامُه !

﴿ آخر الجزء العشرين وبه تمّ الكتاب ﴾

(ولله الحمد كما هو أهله حمداً دائماً لا انتهاء له ولا نفاد له آمين)

---

(١) ظفار : قرية باليمن . وحمّر : تكلم بالحميرية ؛ وهو مثل يضرب للرجل يدخل فى القوم فيأخذ بزيهم (الميدانى ٢ : ٣٠٦) .

فهرس الموضوعات

صفحة

***

تنبيـــه

وقع خطأ في أرقام الحكم القصيرة مابين صفحتي ٣٩ و ٢٥١ والصواب أن يكون الرقم في ص ٣٩ هو ٤١٤ ثم تصلح بقيـة الأرقام لتصل إلى ٤٨٨ في ص ٢٥٥ بدلا من ٤٨٥ .



مراجع التحقيق فى جميع الأجزاء

إتحاف فضلاء البشر للدمياطى : (حنفى ١٣٥٩)

إحياء علوم الدين للغزالى : (نشرة المكتبة التجارية)

أخبار أبى تمام للصولى : (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦)

الأخبار الطوال لابن قتيبة : (عيسى الحلبى ١٩٦٠ م)

أدب الكاتب لابن قتيبة : (السلفية ١٣٤١)

أسباب النزول للواحدى : (مطبعة هندية ١٣١٥)

الاستيعاب لابن عبد البر : (حيدر آباد ١٣٣٦ ، نهضة مصر ١٣٨٠).

أسد الغابة فى أسماء الصحابة ، لابن الأثير : (المطبعة الوهبية ١٢٨٦)

الأشباه والنظائر للسيوطى : (حيدر آباد ١٣١٦)

الاشتقاق لابن دريد : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨ م)

الإصابة فى أسماء الصحابة لابن حجر : (نشرة المكتبة التجارية ١٩٣٩ م)

الأصمعيات : (دار المعارف ١٣٧٠)

إعجاز القرآن للباقلانى : (دار المعارف ١٩٥٤ م)

الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى : (مطبعة التقدم ١٣٢٣ م ، ومطبعة دار الكتب المصرية)

الاقتضاب لابن السيد البطليوسى : (بيروت ١٩٠١ م)

الألفاظ المعربة لأدى شير : (بيروت ١٩٠٨ م)

أمالى ابن الشجرى : (حيدر آباد ١٣٤٩)

أمالى القالى : (دار الكتب ١٣٤٤)

أمالى المرتضى : (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٤ م)

أمالى اليزيدى : (حيدر آباد ١٣٦٩)

الإمامة والسياسة لابن قتيبة . (مطبعة النيل ١٣٢٢) .
إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٠ م)
أنساب الأشراف للبلاذرى . (دار المعارف ١٩٥٩ م)
إيمان أبي طالب : (النجف ١٩٥٦ م - ضمن مجموعة نفائس المخطوطات)
البداية والنهاية لابن كثير : (السعادة ١٣٢٨) .
بغداد ، لأحمد بن طاهر المعروف بابن طيفور . (عزت العطار ١٣٦٨) .
البيان والتبيين للجاحظ . (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ م) .
تاج العروس للمرتضى الزبيدى : (القاهرة ١٣٠٦) .
تاريخ الطبرى : (الحسينية ، ١٣٢٦ دار المعارف) .
تاريخ ابن الأثير = الكامل
تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : (مطبعة السعادة ١٣٤٩)
تاريخ المسعودى = مروج الذهب
تاريخ ابن الوردى : (المطبعة الوهبية ١٢٨٥) .
التبيان فى شرح الديوان للعكبرى : (مصطفى الحلبى ١٣٥٥) .
تبيين كذب المفترى لابن عساكر (دمشق ١٣٤٧) .
تفسير ابن كثير : (عيسى الحلبى) .
تقديم أبي بكر لابن حجة الحموى : (المطبعة الخيرية ١٣٠٤) .
تكملة الغرر والدرر للشريف مرتضى . (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٤ م) .
تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطى : (مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) .
تنزيه الأنبياء ، للشريف المرتضى : (المطبعة حيدرية بالنجف ١٣٥٢ هـ) .
تنقيح المقال فى أحوال الرجال لعبد الله المامقانى : (طبع العجم ١٣٤٩) .

تهذيب التهذيب لابن حجر : (طبع الهند ١٣٢٥).

ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى : (مطبعة الظاهر ١٣٢٦).

الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله القرطبى : (طبع دار الكتب).

الجامع الصحيح للترمذى : (بولاق ١٢٩٢).

الجامع الصحيح للبخارى : (مطبعة عيسى الحلبى).

الجامع الصغير للسيوطى : (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٥ م)

جمهرة أشعار العرب : (بولاق ١٣٠٨).

جمهرة الأمثال للعسكرى – على هامش مجمع الأمثال : (مطبعة الخيرية ١٣١٠ هـ).

حاشية البقرى على متن الرحبية فى الفرائض : (طبع مصر سنة ١٣١٠).

حلية الأولياء لأبى نعيم (مطبعة السعادة ١٩٣٣ م)

الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة : (طبعة المكتبة العربية ببغداد).

الحيوان للجاحظ : (مصطفى الحلبى ١٣٥٧).

خزانة الأدب للبغدادى : (بولاق ١٢٩٩)

درة الأسلاك فى دول الأتراك لابن حبيب الحلبى (مصورة دار الكتب رقم ٦١٧٠ ح)

درة الغواص للحريرى : (الجوائب ١٣٥٠).

ديوان الأخطل : (بيروت ١٨٩١ م).

ديوان أبى الأسود الدؤلى – ضمن مجموعة نفائس المخطوطات : (بغداد ١٩٥٤ م).

ديوان الأعشى : (فينا ١٩٢٧ م).

ديوان امرئ القيس : (دار المعارف ١٩٥٨ م).

ديوان أوس بن حجر : (دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠ م).

ديوان البحترى : (هندية ١٩١١ م).

ديوان بشار بن برد : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ م).

ديوان بشر بن أبي حازم : (دمشق ١٩٦٠)

ديوان أبي تمام : (دار المعارف بمصر ١٩٥١ م ، بيروت ١٣٢٣ هـ) .

ديوان تميم بن المعز : (طبعة دار الكتب).

ديوان جرير : (مطبعة الصاوي ١٣٥٣).

ديوان جميل : (دار مصر للطباعة).

ديوان حاتم الطائي — ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٠ هـ).

ديوان حسان بن ثابت : (الرحمانية ١٩٢٩ م) .

ديوان الحطيئة : (التقدم بالقاهرة).

ديوان الحماسة (شرح التبريزي : مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٣٨ م ، شرح المرزوقي : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م)

ديوان حميد بن ثور : (مطبعة دار الكتب)

ديوان ابن حيوس : (المجمع العلمي بدمشق).

ديوان الخنساء . (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م).

ديوان دعبل الخزاعي : (النجف ١٩٦٢ م)

ديوان أبي دواد الإيادي : (بيروت ١٩٥٩ م).

ديوان ذي الرمة : (كمبرج ١٩١٩ م) .

ديوان ابن الرومي : (مخطوطة دار الكتب رقم ١٣٩ — أدب).

ديوان زهير بن أبي سلمى : (طبع دار الكتب ١٣٦٣ هـ).

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس : (مطبعة دار الكتب).

ديوان السري الرفاء : (القدسي ١٣٥٥).

ديوان السموءل : (مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٥ م).
ديوان الشريف الرضى : (مصورة دار الكتب رقم ٢٦٣٢ ا ر ، مطبعة نخبة الأخبار بالهند ١٣٠٦ ، المطبعة الأدبية ببيروت ١٩٠٧ م)
ديوان الشنفرى - ضمن مجموعة الطرائف الأدبية، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م)
ديوان الشماخ : (السعادة ١٣٢٧)
ديوان أبى طالب = غاية المطالب
ديوان طرفة بن العبد : (قازان ١٩٠٩، الأعلم ١٩٥٨ م)
ديوان الطرماح : (ليدن ١٩٢٧ م)
ديوان العباس بن الأحنف : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٤م)
ديوان عبيد بن الأبرص : (مصطفى الحلبى ١٩٥٧ م)
ديون أبى العتاهية : (بيروت ١٩١٤ م)
ديوان العجاج : (ليبسك ١٩٠٢ م)
ديوان العرجى : (بغداد سنة ١٩٥٦ م)
ديوان عروة بن الورد - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ)
ديوان على بن الجهم . (الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ م)
ديوان عمر بن أبى ربيعة : (مطبعة السعادة ١٩٦٠م)
ديوان عنترة بن شداد من مجموعة العقد الثمين : (ليدن ١٨٧٠ م)
ديوان أبى فراس الحمدانى : (بيروت ١٩٢٥ م)
ديوان الفرزدق : (الصاوى ١٣٥٤)
ديوان قيس بن الخطيم : (مطبعة مدنى ١٩٦٢ م)
ديوان كعب بن زهير . (طبع دار الكتب المصرية)

ديوان لبيد : (الكويت ١٩٦٢ م)

ديوان المتنبي ـ شرح العكبري : (مصطفى الحلبي ١٩٣٦ م)

ديوان مجنون ليلى : (دار مصر للطباعة)

ديوان المعاني للعسكري : (القاهرة ١٣٥٢)

ديوان معن بن أوس المزني : (مطبعة النهضة ١٩٢٧ م)

ديوان النابغة الذبياني ـ ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣)

ديوان أبي نواس : (العمومية ١٨٩٨ م)

ديوان مهيار الديلمي : (طبع دار الكتب المصرية)

ديوان ابن هانئ الأندلسي : (دار المعرف ١٣٥٢ ، المطبعة الأميرية ١٢٧٤ هـ)

ديوان الهذليين : (طبع دار الكتب المصرية)

الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد محسن : (مطبعة النجف ١٩٣٦ م)

الرجال للنجاشي : (طبع العجم ١٣١٧)

رسائل أبي حيان التوحيدي (دمشق ١٩٥١)

الرسالة القشيرية : (الميمنية ١٣٣٠)

رغبة الآمل من كتاب الكامل للمرصفي : (مطبعة النهضة ١٣٤٦)

الروض الأنف للسهيلي : (الجمالية ١٣٣٢)

روضات الجنات لمحمد باقر الخوانساري : (طبع العجم سنة ١٣٠٤)

الرياض النضرة لمحب الطبري : (المطبعة الحسينية ١٣٢٧)

زهر الآداب للحصري : (عيسى الحلبي سنة ١٩٥٣ م)

سر الفصاحة للخفاجي : (الرحمانية ١٩٣٢ م)

سرح العيون فى شرح قصيدة ابن زيدون لابن نباتة : (مطبعة الموسوعات ١٣٢١
مدنى ١٩٦٣ م)

سقط الزند : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ م)

سلوان المطاع فى عدوان الأتباع : (تونس ١٢٧٩)

سنن أبى داود : (مطبعة السعادة ١٩٥٠ م)

السهيلى = الروض الأنف

سير أعلام النبلاء للذهبى . (مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح) .

سيرة ابن هشام : (مطبعة حجازى بالقاهرة ١٣٥٦ هـ)

الشافى فى الإمامة للشريف المرتضى . (طبع النجف ١٣٠١)

الشاهنامة للفردوسى (مطبعة دار الكتب المصرية)

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى . (مكتبة القدسى سنة ١٣٥٠)

شرح شواهد العينى على هامش خزانة الأدب (بولاق ١٢٩٩)

شرح شواهد المغنى للسيوطى : (المطبعة البهية ١٣٢٢)

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)

شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى : (طبع النجف ١٢٧٦)

شروح سقط الزند للتبريزى والبطليوسى والخوارزمى : (مطبعة دار الكتب ١٩٤٥ م)

الشعر والشعراء لابن قتيبة . (عيسى الحلبى ١٣٦٤)

شعراء النصرانية : (بيروت ١٩٢٦ م)

شفاء الغليل للشهاب الخفاجى : (المطبعة منيرية ١٩٥٢ م)

صبح الأعشى للقلقشندى : (طبع دار الكتب)

صحاح الجوهرى : (دار الكتاب العربى سنة ١٩٥٦ م)

صحيح مسلم : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٥ م)

صفة الصفوة لابن الجوزي : (حيدر آباد ١٣٥٦)

صفين لنصر بن مزاحم : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٥)

طبقات الشافعية للسبكي : (المطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ)

طبقات الشعراء لابن سلام : (دار المعارف ١٩٥٢ م)

طبقات الشعراء لابن المعتز : (دار المعارف ١٩٥٦)

طبقات الصوفية للسلمي : (دار الكتاب العربي ١٩٥٣ م)

طبقات فقهاء اليمن للجعدي : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٧ م)

طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : (مطبعة السعادة ١٩٥٤ م)

الطرائف الأدبية لعبد العزيز الميمني : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٧ م)

العثمانية للجاحظ : (دار الكتاب العربي ١٩٥٥ م)

العقد لابن عبد ربه : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ)

العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين : (ليدن ١٨٧٠ م)

عقد الجمان للعيني : (مخطوطة دار الكتب ١٥٨٤ تاريخ)

العلويات السبع لابن أبي الحديد : (مصر ١٣١٧)

العمدة لابن رشيق : (مطبعة السعادة ١٩٥٥ م)

عوارف المعارف للسهروردي – على هامش الإحياء : (نشرة المكتبة التجارية)

عيون الأخبار لابن قتيبة : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣)

عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي : (مخطوطة دار الكتب ١٤٩٧ تاريخ)

غاية المطالب من ديوان أبي طالب : (طنطا ١٩٥١ م)

غرر الخصائص الواضحة للوطواط : (بولاق ١٢٨٤ هـ)

الفاخر للمفضل بن سلمة : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)

الفاضل للمبرد : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٦)

الفائق فى غريب الحديث والأثر : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤ هـ)

الفخرى فى الآداب السلطانية لابن طباطبا : (مطبعة الموسوعات ١٣٤٧)

الفرق بين الفرق للبغدادى : (المعارف ١٣٢٨)

الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد : (طبع الهند سنة ١٣٠٩) .

فهرست ابن النديم : (ليبسك ١٨٧١ م)

فوات الوفيات لابن شاكر : (مطبعة السعادة ١٩٥١ م)

القاموس المحيط للفيروز آبادى : (المطبعة الحسينية ١٣٣٠ هـ)

اللآلى لأبي عبيد البكرى : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ)

لزوم مالا يلزم : (مطبعة الجمالية ١٩١٥ م)

لسان العرب لابن منظور : (المطبعة الأميرية ١٣٠٠ هـ)

لسان الميزان لابن حجر : (طبع الهند ١٣٢٩ هـ)

الكامل لابن الأثير — فى التاريخ : (إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ)

الكامل للمبرد : (ليبسك ١٨٦٤ م ، نهضة مصر ١٩٥٦ م)

الكتاب لسيبويه : (بولاق ١٣١٦ هـ)

الكشاف للزمخشرى : (مطبعة الاستقامة ١٩٥٣ م)

كشف الظنون لحاجى خليفة : (طبع إستانبول سنة ١٩٤٣ م)

الكناية والتعريض للثعالبي : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)

ما هو نهج البلاغة ، للسيد هبة الله الشهرستانى : (مطبعة العرفان بصيدا)

مجمع الآداب لابن الفوطى : (ترجمة ابن أبي الحديد فى ذيل الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة طبعة الحلبى سنة ١٣٢٩ هـ)

المثل السائر لابن الأثير : (مصطفى الحلبى ١٣٥٨ هـ)

مجمع الأمثال للميدانى : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥ م)

مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣)

مجموعة المعانى : (الجوائب ١٣٠١)

المحاسن والمساوى للبيهقى : (نهضة مصر ١٩٦١ م)

محاضرة الأبرار لابن عربى : (مطبعة السعادة ١٩٠٦ م)

محاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى : (الشرقية ١٣٢٦ هـ)

المختار من شعر بشار للخالديين : (الاعتماد ١٣٥٣ هـ)

مختارات ابن الشجرى : (الاعتماد ١٩٢٥ م)

مرآة الجنان لليافعى : (طبع الهند ١٣٣٤ هـ)

مراصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادى : (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٥٤ م)

مروج الذهب للمسعودى : (مطبعة السعادة ١٩٤٨ م)

المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى : (مطبعة عيسى الحلبى ١٩٦٢ م)

المعارف لابن قتيبة : (المطبعة الإسلامية ١٣٥٣ هـ ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٠ م)

معانى الشعر لابن قتيبة : (طبع الهند سنة ١٩٤٩ م)

معاهد التنصيص للعباسى : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)

المعتمد لابن رسولا الغسانى : (المطبعة الميمنية ١٣٢٧ هـ)

معجم الأدباء لياقوت : (نشرة دار المأمون ١٩٣٦ م)

معجم البلدان لياقوت : (مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ)

معجم الشعراء للمرزبانى : (عيسى الحلبى ١٩٦٠ م)

معجم ما استعجم للبكرى : (لجنة التأليف ١٣٦٤ ﻫ)

المعلقات ـ بشرح التبريزى : (مطبعة مدنى ١٩٦٢ م)

مغازى الواقدى : (برلين ١٨٨٢ م)

مغنى اللبيب لابن هشام : (نشرة المكتبة التجارية)

المفردات لابن البيطار : (طبع بولاق)

المفضليات : (دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م)

مقاتل الطالبيين لأبى الفرج الأصفهانى : (مطبعة عيسى الحلبى ١٣٦٨ ﻫ)

مقاييس اللغة لابن فارس : (عيسى الحلبى ١٣٦٨ ﻫ)

مقصورة ابن دريد : (مصر ١٣١٩ ﻫ)

الملل والنحل للشهرستانى : (مطبعة مخيمر ١٩٥٦ م)

المنتخب من كنايات الأدباء للجرجانى : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)

المنتظم لابن الجوزى : (طبع الهند ١٣٥٧ ﻫ)

المنهاج لابن جزلة الطبيب : (مخطوطة دار الكتب برقم ١٠٧ ـ طب)

المؤتلف والمختلف للآمدى : (عيسى الحلبى ١٩٦١ م)

الموشح للمرزبانى : (السلفية ١٣٤٣)

النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى : (مطبعة دار الكتب ١٣٤٨)

نسب قريش لمصعب بن عبد الله الزبيرى : (دار المعارف ١٩٥٣ م)

نسمة السحر فى ذكر من تشيع وشعر ، ليوسف بن يحى الصنعانى : (مصورة دار الكتب رقم ١٣٨٤٩ ح)

نقائض جرير والفرزدق : (ليدن ١٩٠٥ م)

النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى : (باريس ١٨٩٧م)

نهاية الأرب للنويرى : (طبع دار الكتب)

النهاية فى غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير (المطبعة العثمانية ١٣١١)

نوادر أبى زيد : (بيروت ١٣٤٤)

الهاشميات للكميت : (شركة التمدن ١٣٣٠)

وفيات الأعيان لابن خلكان : (المطبعة الميمنية ١٣١٠)